

# FOR CHRIST'S SAKE

Tom Harpur



McCLELLAND & STEWART

## من أجل المسيح

دعوة لمعرفة المسيح وفهم رسالته من خلال نصوص الإنجيل

المؤلف: توم هاربور

الناشر: ماكلياند وستيوارت

أول نشر 1986، الطبعة الحالية 1993

# الفهرس

## Table of Contents

3.....	الفهرس
4.....	مقدمة المترجمين
5.....	نبذة عن المؤلف
7.....	المقدمة
11.....	نوع المياه الحية: هو مثل لعصرنا
14.....	المشكلة
14.....	الأزمة التي تواجه الكنيسة المسيحية
18.....	لاهوت العدا
19.....	لاهوت عنصري ذكوري
20.....	ملخص
22.....	الغريب الذي من الجليل
23.....	ما نعرفه بالفعل
25.....	الرسالة
25.....	على الرغم من كل المظاهر، الله هو المسيطر
26.....	للإنقاذ من الخوف
29.....	أسطورة الميلاد العذراوي
33.....	إنسانية يسوع
37.....	تعاليم يسوع
37.....	عن الجنس
39.....	عن الصلاة
42.....	عن تناول المقدس
45.....	حول اللاعنف
48.....	يسوع كنبي
48.....	كيف رأى التلاميذ يسوع
49.....	الخصلتان
52.....	نهاية الدين؟
54.....	الإنجيل الرابع
57.....	أعمال الرسل
60.....	معجزات يسوع
60.....	المعجزات في العهد القديم

61.....	المعجزات في زمن يسوع.....
64.....	ألقاب يسوع .....
64.....	المسيح وابن الله .....
66.....	ابن الإنسان .....
68.....	موت يسوع.....
73.....	قيامه يسوع.....
73.....	هذا يسوع الذي أقامه الله .....
75.....	العناصر الأسطورية في قصة القيامة.....
77.....	الجدور اليونانية واليهودية للرأي الأرثوذكسي.....
77.....	الكلمة الإلهية ((Logos).....
78.....	المخلص الكوني.....
83.....	يسوع من الآن فصاعدا.....
83.....	إصلاح جديد.....
83.....	من هو يسوع المسيح بالنسبة لنا اليوم؟.....
84.....	ادعاءات يسوع بالسلطة .....
85.....	يسوع ومملكة الله.....
86.....	هل كان يسوع فريداً؟.....
87.....	ملخص.....
90.....	خاتمة.....
93.....	قراءات مختارة.....
94.....	SELECTED READINGS.....

## مقدمة المترجمين

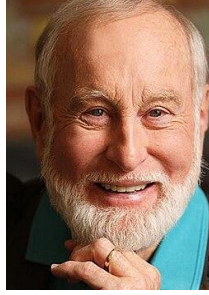
هذا الكتاب المتميز (من أجل المسيح) لذلك المؤلف المتميز (توم هاربور: كاهن وقسيس مُرسم في الكنيسة وأستاذ جامعي في اللاهوت وإعلامي شهير في الصحافة والتلفزيون الكندي) هو محاولة صادقة وجريئة في طريق إعادة فهم شخصية ورسالة المسيح عليه السلام، تجرد فيها من الهالات والزخارف الخادعة التي أحاطت بتلك الشخصية وتلك الرسالة حتى خنقتها وطمست معالمها. غير أننا لو رجعنا وقرأنا الإنجيل بتجرد ورغبة في الوصول للحق فإننا سنلمح في نصوصه عبق الحقيقة رغم ما حدث له من تدخلات اليد البشرية ولن نجد فيه أي دليل على كثير مما يمارسه المسيحيون اليوم من عقائد وطقوس ومراسيم أصّل لها البشر خلال تاريخ تطور الكنيسة ومعتقداتها وخلال الصراعات الهائلة التي نشبت بين المنتمين إليها. فالإنجيل بصورته الحالية لا يزال يحمل ما يصور المسيح النبي ورسالته التوحيدية التي جاء بها كما أراد الله وكما جاء به المرسلين من قبله ومن بعده. ويمكن من خلال قراءة متجردة للإنجيل الحالي نفض ما زاده وغيّره البشر فيما يخص المسيح ورسالته الإلهية.

بالطبع نحن كمسلمين لا نُقرّ كل ما توصل إليه الكاتب مما يخالف نصوص عقيدتنا (كالصلب والقتل والقيامة التي تحتاج المزيد من التدقيق في مصادرها) إلا أن الكتاب يمثل بداية جيدة لتصحيح المفاهيم الخاطئة. فقد ناقش المؤلف ببراعة بعض المسائل المعمول بها في المسيحية الحالية مثل عقيدة التثليث وتجسد الإله وتعدد الأقانيم المعبودة ومسئولية البشر عن الخطيئة الموروثة والفداء عن طريق سفك دم الإله تحديداً وتناول دم وجسد المسيح والاعتراف بالذنوب أمام بشر مثلك لئتم غفرانها وغيرها من المعتقدات التي لا دليل كتابي يؤيدها بل هناك الكثير من الأدلة في الكتاب تدحضها. لكن يجب أن يتلو هذا الجهد المشكور للمؤلف المزيد من التصحيح والتجريد للحقيقة بعيداً عن صخب وسلطان الكهنوتيين الذين يحتكرون الفهم والسلطة الدينية ويرمون من حاول التفكير الحر بالهرطقة والخروج من الدين، فقط لأنه قرأ الإنجيل بشكل لا يناسب ثوابتهم التي وضعوها وتوارثوها.

فريق الترجمة

حراس العقيدة

## نبذة عن المؤلف



**توماس ويليام هاربور** (١٤ أبريل ١٩٢٩ - ٢ يناير ٢٠١٧) كان باحثًا كنديًا في الكتاب المقدس، وكاتب عمود، ومذيعًا. كاهنًا أنجليكانيًا مُرسَّمًا، أَلَّف عددًا من الكتب، منها "من أجل المسيح" (١٩٨٦)، و"الحياة بعد الموت" (١٩٩٦)، و"المسيح الوثني" (٢٠٠٤)، و"المولود من جديد" (٢٠١١ و٢٠١٧). وُلِد هاربور في شرق تورنتو، أونتاريو، لعائلة إنجيلية، في 14 أبريل 1929. حصل على درجة البكالوريوس في الآداب مع مرتبة الشرف عام 1951 من كلية جامعة تورنتو، حيث فاز بمنحة جارفيس في اللغتين اليونانية واللاتينية، ومنحة موريس هوتون في الدراسات الكلاسيكية، ومنحة السير ويليام مولوك في الدراسات الكلاسيكية، والميدالية الذهبية في الدراسات الكلاسيكية. تابع دراسته في كلية أورييل بجامعة أكسفورد، وحصل على منحة رودس من عام 1951 إلى عام 1954، حيث قرأ أعمال المؤرخين القدماء (هيرودوت، وثوسيديديس، وتاسيتوس) كاملةً في نصوصهم الأصلية. تخرج عام 1954 بدرجة البكالوريوس، ثم حصل على درجة الماجستير في الآداب بعد عامين. بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٦، درس اللاهوت في كلية ويكليف بجامعة تورنتو، حيث عمل مدرسًا للغة اليونانية. في ويكليف، فاز بجوائز في علم الوعظ واللغة اليونانية، وكان الطالب في الصف الأخير والمتفوق في عام تخرجه. عاد إلى أكسفورد عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ لإكمال دراساته العليا، حيث قرأ كتابات آباء الكنيسة.

### المسيرة المهنية

رُسم هاربور كاهنًا في الكنيسة الأنجليكانية الكندية عام ١٩٥٦. عمل قسيسًا في كنيسة سانت جونز يورك ميلز، شمال يورك، من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٥٧. ومن عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٤، خدم رعية سانت مارغريت إن ذا باينز في سكاربورو، أونتاريو. وخلال هذه الفترة، حاضر في الفلسفة القديمة بدوام جزئي في كلية ويكليف. من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٣، أمضى عامًا إضافيًا في كلية أورييل بجامعة أكسفورد، حيث أجرى أبحاثًا للدراسات العليا في آباء الكنيسة ودراسات العهد الجديد.

### الأوساط الأكاديمية

من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٧١، كان هاربور أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا متفرغًا للعهد الجديد واليونانية في جامعة ويكليف، ومن عام ١٩٨٤ إلى عام ١٩٨٧ كان محاضرًا بدوام جزئي في مقرر اللاهوت وممارسة وسائل الإعلام الجماهيرية في كلية تورنتو للاهوت بجامعة تورنتو.

### الصحافة

عمل هاربور صحفيًا في صحيفة تورنتو ستار لمدة ثلاثين عامًا، منها اثنا عشر عامًا محررًا للقسم الديني في الصحيفة. التقى بزوجته سوزان في صحيفة ستار، حيث كانت تعمل في القسم القانوني، وتزوجها عام ١٩٨٠. بعد تركه منصب محرر الشؤون الدينية عام ١٩٨٤، واصل المساهمة بعمود منتظم حول القضايا الدينية والأخلاقية. ألف هاربور أيضًا عددًا من الكتب في الدين واللاهوت، عشرة منها أصبحت من أكثر الكتب مبيعًا في كندا، واثان منها حوّلًا إلى مسلسلات تلفزيونية على قناة VisionTV. لفترة من الوقت، كان لديه برنامج الإذاعي الخاص، "جنة وجحيم هاربور"، واستضاف مجموعة متنوعة من البرامج الإذاعية والتلفزيونية حول موضوع الدين، وخاصة على VisionTV. كان، على مر السنين، معلقًا متكررًا على الأحداث الإخبارية الدينية لمعظم الشبكات الكندية، وخاصة CBC. في سنواته الأخيرة، كتب هاربور أيضًا مقالات رأي عرضية على شبكة Postmedia Network وعمودًا في Sun Media.]] في عام 1996، حوّل كتابه الأكثر مبيعًا "الحياة بعد الموت" حول تجارب الاقتراب من الموت إلى مسلسل تلفزيوني من عشر حلقات قدمه هاربور بنفسه. وقد اختارت صحيفتا Toronto Star و The Globe and Mail كتاب هاربور الصادر عام 2004، "المسيح الوثني"، كأفضل كتاب غير روائي مبيعًا في كندا لهذا العام.

### الزمالات والجوائز

كان هاربور زميلًا في المجلس الأمريكي للعلاقات العامة الدينية، وفي عام 1976 فاز بالميدالية الفضية لدولة إسرائيل للصحافة المتميزة. أُدرجت سيرته الذاتية في قائمة "من هو من الشخصيات الأمريكية في الدين"، و"من هو من الكنديين"، و"رجال الإنجاز". في عام ٢٠٠٨، فاز الفيلم الوثائقي "المسيح الوثني" لهيئة الإذاعة الكندية، والمقتبس من كتاب هاربور، بجائزة ريمي البلاتينية في مهرجان هيوستن السينمائي الدولي، وجائزة الكاميرا الذهبية في مهرجان الولايات المتحدة الدولي للأفلام والفيديو في ريدونو بيتش، كاليفورنيا. كان هاربور عضوًا في الرابطة الكندية لعلماء رودس واتحاد الكتاب.

### الوفاة

توفي هاربور في ليونز هيد، أونتاريو، في ٢ يناير ٢٠١٧، عن عمر يناهز ٨٧ عامًا.

[https://en.wikipedia.org/wiki/Tom\\_Harpur](https://en.wikipedia.org/wiki/Tom_Harpur)

## المقدمة

يسعدني جداً أن تتاح لي فرصة كتابة هذه المقدمة لطبعة ماكليلاند وستيوارت الجديدة من كتابي " من أجل المسيح". تُعدّ هذه الطبعة، بطباعتها الأدقّ والأوسع ، وغلافها الأكثر ملاءمةً، بمثابة بعث أدبي. فهي تجمع بين عنصرين أساسيين لطالما أمنت بهما المسيحية فيما يتعلق بإحياء كل فردٍ في أحد الأيام: وهما التحوّل المتزامن مع الاستمرارية الواضحة! بالإضافة إلى ذلك، تُسعدني هذه الطبعة بشكلٍ خاص لأنها تُتيح لي امتيازاً نادراً ما يحظى به كاتب ، وهو القدرة على وضع عملي الأصلي في سياقٍ جديدٍ وأوسع بكثير. قبل أن أوصل، أود أن أنبّه القارئ . هذا الكتاب ليس لمن " يشعرون بالارتياح ناحية الصهيونية". بمعنى آخر، ليس مُوجّهًا لمن يرتاحون تمامًا للنسخة التقليدية من الإيمان المسيحي، والذين لا ينوون تعريض أنفسهم لما يُطلق عليه الخبراء "التنافر المعرفي"، أي القلق عند قبول أفكار جديدة . أما من لا يساورهم الشك، ولا يعانون من القلق، ولا يخشون طبيعة وطريقة إيصال المواقف الأرثوذكسية للكنيسة في السنوات الأخيرة من هذه الألفية، فعليهم التوقف عن القراءة . لا أرغب في إزعاج أي شخص يُفضّل عدم الاضطراب الفكري .

منذ ربيع عام ١٩٨٦ ، حين صدر كتاب "من أجل المسيح" لأول مرة ، مسببًا موجة من الجدل ، طرأ الكثير على العالم نفسه، وعلى المشهد الديني (وخاصة دراسة هوية يسوع وطبيعة رسالته)، وأخيرًا على الكتاب. أودّ التعليق بإيجاز على كلٍّ من هذه الأبعاد الثلاثة، بالترتيب العكسي:

**هذا الكتاب:** أثار كتاب "من أجل المسيح" جدلاً حادًا ومريرًا في بعض الأحيان في جميع أنحاء كندا بعد أيام من نشره في منتصف فبراير 1986. وصدرت طبعته الثالثة بعد أقل من ستة أسابيع، وبيع منه الآن أكثر من 30000 نسخة، مما جعله أحد أكثر الكتب مبيعًا في الدين التي كتبها شخص كندي . (كتاب بيير بيرتون " المقعد المريح"، الذي مولته الكنيسة الأنجليكانية في كندا ونشرته دار ماكليلاند آند ستوارت عام 1965 ، يحمل الرقم القياسي عند 139000). في عام 1987، أنشأت كلية هنتنغتون بجامعة لورينتيان سلسلة من سبعة أجزاء من البرامج التلفزيونية مدة كل منها ثلاثون دقيقة، وتسمى أيضًا "من أجل المسيح" ، والتي تضمنت محادثات معي حول الموضوعات الرئيسية للكتاب. تم إعداد البرامج لاستخدامها في أعمال التوسع بالكلية في جميع أنحاء الشمال، وبعد ذلك تم توفير مقاطع فيديو لمجموعات دراسة الكنيسة . عندما انطلقت قناة Vision /TV، أول شبكة تلفزيونية عالمية للحوار بين الأديان ، عام ١٩٨٨ ، حصلت على ترخيص للمسلسل ، وبنته من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي لأكثر من خمسة ملايين مشترك في الكابل عدة مرات. جددت Vision الترخيص عام ١٩٩٢ ، وسيُبت من حين لآخر خلال الأشهر والسنوات القادمة . \* خلال الأسابيع المضطربة التي تلت ظهوره الأول ، أشاد الكثيرون بالكتاب باعتباره نسمة هواء منعشة متحررة وانتقده آخرون باعتباره مثالاً متعجرفًا وصارخًا للهرطقة. شنت مجموعة قوية من الأصوليين على الساحل الغربي، وخاصة في ساري وما حولها، حملة هاتفية صاخبة طويلة المسافة لطرد من صحيفة تورنتو ستار ، حيث كنت كاتب عمود مستقل في الدين والأخلاق منذ عام 1984، ومن كلية تورنتو للاهوت، حيث كنت لمدة خمس سنوات محاضرًا بدوام جزئي في اللاهوت وممارسة وسائل الإعلام . قام وزراء آخرون، على سبيل المثال، أحد قادة جيش الخلاص في أوين ساوند ، أونتاريو، بنشر إعلانات في صحفهم المحلية يعلنون فيها عن خطب ومحاضرات تدين الكتاب وأطروحتي الرئيسية بأن يسوع لم يكن مسيحيًا. رفضت معظم المكتبات المسيحية المحافظة للغاية تحمّله أو تحمل أي من كتبي اللاحقة .

كانت هناك سيل من الرسائل الموجهة إلى محرري العديد من الصحف ، وقد طُبع العديد منها، حتى تلك التي شغلت صفحة كاملة في أقسام الدين في عطلة نهاية الأسبوع. المنشورات الدينية ومعظم الصحف الرئيسية

نشرت الصحف مراجعاتٍ، وأحياناً قصصاً إخبارية أيضاً. نشرت صحيفة "أخبار اليهود الكنديين"، التي هاجمتني لاحقاً بسبب آرائي حول القتل الحلال (انظر: "الله يعيننا" ، ماركس وسبنسر، ١٩٩٢) ، مراجعتين إيجابيتين بقلم حاخامين بارزين. وأدت المقابلات في برنامج "مورنينج سايد" والعديد من البرامج الحوارية الإذاعية والتلفزيونية الرئيسية الأخرى، إلى جانب الدعاية الأخرى، إلى تدفق هائلٍ من الرسائل الشخصية. ولا تزال هذه الرسائل تصل ، وظلت إيجابيةً للغاية على مر السنين . ولكن كان هناك أيضاً قدرٌ كبيرٌ من النقد اللاذع . ليس للجحيم غضب كمثل غضب المتدينين الذين أُجبروا على إعادة النظر في أعمق معتقداتهم - أو انحيازاتهم .

وكما ألمحت سابقاً، كان رد الفعل الأكثر شيوعاً من قِبل أعضاء الكنيسة والغرباء على حد سواء هو: "شكراً لتعبيرك عن رأيك؛ إنه ما شعرتُ به بشكل غامض لسنوات، لكنني لم أستطع التعبير عنه كما ينبغي". كثيرون، من مختلف مناحي الحياة ومن خلفيات طائفية متنوعة، لم يُصرِّح أحدٌ منهم بأنهم ما كانوا ليتركوا كنائسهم لو أُتيحت لهم هذه الرؤية لحياة يسوع وتعاليمه قبل سنوات. وكان رد فعل الشباب ، وخاصةً طلاب الجامعات ، مُرضياً للغاية . باستثناء ، على سبيل المثال، اتصال أحد علماء اللاهوت في إحدى أكبر كلياتنا الكاثوليكية الرومانية بعد سماعه مقابلة حول كتاب "من أجل المسيح" في برنامج "البيت المفتوح" الإذاعي الديني على قناة CBC ، ليُخبر جميع طلابه - وبعضهم طلاب لاهوت مستقبلين - بقرائه. قال: "لقد كتبت ما يود معظمنا قوله بصوت عالٍ، لكننا لا نستطيع ذلك خوفاً من أن نمنع من التدريس أصلاً".

رأى بعض اللاهوتيين الذين اتفقوا مع استنتاجاتي الرئيسية أن الكتاب كان ينبغي أن يكون أطول بكثير . وأنا أتفق، كان من الممكن أن يكون مجلداً أكبر بكثير . الموضوع ضخم ، والقضايا التي يُطرحها بالغة الأهمية . ولكن ، على مر السنين ، رأيتُ العديد من الأعمال العلمية الضخمة عن يسوع تبدو وكأنها مهمة في المكتبات اللاهوتية. أردتُ أن يقرأ الكتاب أكبر عدد ممكن من الناس، ولذلك تعمدتُ اختصاره. إذا كان هناك من يعتقد أن هذا سهل المهمة، فيجب أن أشير إلى أن قول ما تعنيه وفهمه في وقت قصير أصعب بكثير من وقت طويل. وكما قال الرجل الذي طُلب منه فجأة إلقاء خطاب: "متى تريد ذلك، وكم يجب أن يكون طوله؟ إذا أردتني أن أتحدث لعشر دقائق، فلن أكون مستعداً إلا غداً . أما إذا أردتني أن أتحدث لساعة ، فأنا مستعد الآن

**كتب عن يسوع:** صدرت سلسلة كتب منذ عام ١٩٨٦، وخاصةً في العام الماضي تقريباً . ليس هذا هو الوقت ولا المكان المناسبين لمراجعة أيٍّ منها بالتفصيل. لكن هناك أمران أعجباني في هذه الظاهرة. لم يكن الاهتمام بيسوع المسيح يوماً أكبر من هذا. ومع ذلك ، بالنظر إلى معظم الكتب الحديثة، يبدو أن المؤلفين المختلفين يسعون جاهدين للتفوق على بعضهم البعض في سيناريوهاتهم الخيالية، والتي قد تكون مسيئة أحياناً - كما في كتاب غور فيدال " الحياة من الجلجثة " الصادر عام ١٩٩٢ . بشكل عام، وتتسم النبوة فيه بالسلبية والاختزالية. يسوع فيها، في أحسن الأحوال، ليس سوى "شخص عظيم" آخر ، نبي أو فيلسوف متجول لقي حقه قبل أوانه. يُعد كتاب "يسوع : حياة" لكاتب السيرة البريطاني أ. ن. ويلسون ، الصادر عام ١٩٩٢ ، تبريراً مخيباً للآمال لعدم إيمان المؤلف . لكن ما أزعجني أكثر في معظم كتب يسوع الأخيرة هو الافتقار شبه الكامل للأدلة الكتابية لبعض النظريات المطروحة - على سبيل المثال ، أن يسوع كان لديه

أطفال من مريم المجدلية، الذين أصبحوا فيما بعد "الكأس" للدم الملكي في أوروبا، أو أنه كان "معلم البر" المذكور في مخطوطات البحر الميت .

لقد ساعدت المخطوطات نفسها، وخاصة الآن بعد أن أصبحت المخطوطات المتبقية متاحة للعامه بسرعة، في تأجيج التكهنات المتجددة حول يسوع وحول أصول المسيحية بشكل عام. ومع ذلك ، يجب القول هنا مرة أخرى أنه في حين أن المخطوطات تخبرنا بالكثير عن اليهودية قبل المسيح وفي زمنه ، إلا أنها تكشف القليل جدًا مما يغير بشكل مباشر طريقة تفكيرنا في هذه الشخصية المحورية. ربما كان يوحنا المعمدان ينتمي لفترة من الوقت إلى مجتمع قمران، مصدر المخطوطات، الواقع في الطرف الشمالي للبحر الميت، لكن تأثيره على يسوع ضئيل، على الأقل في ضوء تلك المخطوطات المنشورة حتى الآن. وكان التطور الأكثر أهمية منذ عام 1986 في هذا الصدد هو اكتشاف لقب "ابن الله" في إحدى برديات قمران المستخدمة فيما يتعلق بشخص آخر غير يسوع. وفيما يتعلق بكتاب من أجل المسيح ، فإن هذا يعزز ببساطة الجدل بأن تسمية الشخص بابن الله في البيئة اليهودية في القرن الأول لا يعني بأي حال من الأحوال أن يكون متطابقًا مع الله نفسه .

إن فكرة أن الفاتيكان يكتب نشر المخطوطات، كما زعم كتاب شائع صدر مؤخرًا على الأقل، سخيفة للغاية. كان التأخير الطويل نتيجة تنافسات علمية، وليس مؤامرات مستوحاة من الكنيسة. وأود أن أضيف أنني أجد باربرا ثيرينغ، مؤلفة كتاب "يسوع ولغز مخطوطات البحر الميت"، الذي نُشر أيضًا عام ١٩٩٢، من أكثر مؤرخي يسوع إبداعًا - وأقلهم إقناعًا - على الإطلاق. فهي ترى أن العهد الجديد بأكمله هو في الحقيقة شفرة لا شيء فيها كما يبدو . بل هو سلسلة من الرموز التي تخبرنا عما يجري في جماعة الإيسينيين في قمران. يبدو أن الجمهور الجاهل يلتهم هذا النوع من الدراسات المشكوك فيها ، ومع ذلك لا بد من القول إنه "في أعماقه سطحي للغاية" . هذا يذكرني بالمحاولة الفاشلة والمُفقدّة تمامًا التي قام بها البروفيسور البريطاني الراحل جون أليجرو لإثبات أن الكتاب المقدس بأكمله كان شفرةً لطائفة تُكرس لفطرٍ مُسبب للهلوسة ! (في الواقع، أصدر الناشرون اعتذارًا لاحقًا لفرضهم كتاب "الفطر المقدس والصليب" على جمهور غافل ) .

**عالمنا المتغير :** لم يمض سوى سبع سنوات منذ نشر كتاب " من أجل المسيح" لأول مرة. ومع ذلك، ففي ذلك الوقت انتهت الحرب الباردة ، وسقط جدار برلين، واختفت الشيوعية تقريبًا ، وانهارت القوة العظمى السابقة ، الاتحاد السوفيتي، إلى مجموعة من الجمهوريات المنقسمة وشبه المفلسة. وفي الوقت نفسه، كان هناك تجدد للأصولية المتشددة في معظم الديانات العالمية الرئيسية . ولكن، بينما لا يزال الإسلام والمسيحية ينموان بسرعة في أفريقيا وأجزاء أخرى من العالم الثالث، استمر تراجع نفوذ الكنائس وأعدادها في الدول المتقدمة بلا هوادة. وهناك أعراض على كل جانب من جوانب الفراغ الروحي والأخلاقي الهائل الذي خلفه فشل المعتقدات القديمة في تلبية أعمق رغبات الرجال والنساء المعاصرين. الاستراتيجية الرئيسية للعديد من الجماعات المسيحية هي الاستمرار في قول ما قالته دائمًا ولكن بصوت أعلى ، وهذا لا ينجح .

"من أجل المسيح" في الأصل ليس لإثارة الجدل أو إزعاج المؤمنين ، بل كمحاولة لإعادة النظر في الدليل الوحيد الذي لدينا عن يسوع، ألا وهو العهد الجديد. أردتُ أن أرى إن كان من الممكن إعادة صياغة رسالته، التي خضعت للتغيير والتعديل على مر السنين لتتناسب مع مجموعة من المصالح السياسية وغيرها، بأسلوب يفهمه عامة الناس اليوم. بعبارة أخرى، هل يحمل الكتاب بشارة لجيل مضطرب روحيًا وخالي من المشاعر، وهل يمكن إيصالها للصغار والكبار على حد سواء؟

وبخلاف الدراسات الليبرالية الأخرى لحياة يسوع، لا ينحاز كتاب "من أجل المسيح" إلى افتراضات مسبقة تقضي برفض أي شيء يوجي ولو عن بُعد بما هو خارق للطبيعة أو معجزي على الفور. في الواقع، من أهم الانتقادات الموجهة للكتاب من قبل اللادريين والليبراليين وغيرهم أنه ليس جذرياً بما يكفي. على سبيل المثال، يُسيء إيماني بالقيامة إلى مطلبهم باختزال قصة يسوع إلى قصة أخلاقية أسطورية (بالمعنى المسيء) مثيرة للإعجاب، وإن كانت مبالغاً فيها إلى حد كبير. من ناحية أخرى، يرى المحافظون المتدينون أن الكتاب يتجاوز الحدود بكثير. بالطبع، لم يُكلف معظمهم أنفسهم عناء قراءته. لو فعلوا ذلك، لاكتشفوا سريعاً أنه مهما كانت عيوبه - ولا أدعي أنني توصلت إلى الحقيقة النهائية حول مسألة بهذا الحجم والتعقيد - فإن كتاب "من أجل المسيح" لا يتناول تكهنات مجردة عن يسوع، بل يتناول ما تقوله النصوص اليونانية للإنجيل والرسائل بالفعل. أي شخص يتخذ موقفه بشأن "ما يقوله الكتاب المقدس" يلزمه على الأقل بأخذ هذا الادعاء على محمل الجد والتحقق من الحجج بنفسه.

هذا كتابٌ عن جذور الإيمان المسيحي. إنه يتعلق بكسر حواجز العقيدة وتغليب التقاليد البالية بروية وعمل يسوع المسيح نفسه. إنه دعوةٌ ليس فقط لتحديث طيف في المسيحية الحديثة، بل لإصلاح جديد جذري قائم على إدراك أن الكنيسة نفسها مسؤولةٌ إلى حدٍ كبير عن عزز الناس عن سماع والانتباه للإنجيل في عصرنا. فالتوبة، كما يقول الكتاب المقدس نفسه، يجب أن تبدأ من "بيت الرب".

إن الناس اليوم جائعون أو عطشى روحياً أكثر من أي وقت مضى في العصر الحديث. إنهم لم يفقدوا اهتمامهم الحيوي بالأمور الروحية لمجرد أنهم لا يحضرون الكنيس أو المعبد أو الكنيسة بقدر ما كانوا يفعلون هم أو آباؤهم في السابق. وكما قال نائب رئيس دار نشر أمريكية رائدة لموظفيه منذ وقت ليس ببعيد، فإن شركته وحدها تتلقى حالياً 10000 اقتراح كتاب سنوياً لكتب حول مواضيع دينية - وقد فعلت ذلك لمدة خمس أو ست سنوات. وهذا يعادل 27.3 مخطوطة في اليوم، بما في ذلك أيام السبت والأحد! ولهذا السبب أعتقد أن كتاب "من أجل المسيح" له أهمية ملحة اليوم. فهو يحاول سرد قصة يسوع المسيح بنزاهة كتابية، بأفضل الأفكار التي يمكن أن تقدمها الدراسات الحديثة، مع التركيز على الأسئلة الروحية التي يطرحها الرجال والنساء المعاصرون. حتى لو كان الكتاب يحفز القراء فقط على التفكير في البشارة المسيحية بطرق لم يفعلوها من قبل، فإنه سيكون قد أنجز مهمته.

أخيراً، بالنسبة لأولئك الذين سمعوا أن هذا الكتاب ينكر ألوهية يسوع المسيح، أود أن أقول إن هذا لا يمكن أن يكون أكثر خطأ. صحيح أنني أفسر هذه الألوهية، على أساس النص وفي سياق سعينا الروحي الحديث، بشكل مختلف تماماً عما فعلته الكنيسة تقليدياً. ولكن هذا بعيد كل البعد عن القول بأن يسوع لم يكن حاملاً ومُظهراً للإله. لقد كان كذلك، وكذلك نحن، وإن كان من المسلم به بدرجة أقل بكثير. وهنا تكمن دعوتنا وأملنا. ما حاولت القيام به هو إظهار أن ألوهية يسوع تكمن، على نحو متناقض، في كونه إنساناً كاملاً. إذا كنت تعتقد، كما حاولت أن أوضح، أن فهم العهد الجديد لما يعنيه أن تكون إنساناً كاملاً هو إدراك الإمكانيات الكاملة للمرء ككائن روحي، فإن يسوع كان بالفعل رائداً وسابقاً لهذا النوع من الإنسانية المُكتملة. إنه يمد إلينا اليوم بالتحدي والدعوة لاتباع طريقه.

توم هاربور

\* ملاحظة الناشر: يمكن شراء أو استئجار أشرطة الفيديو الخاصة بالسلسلة المكونة من سبعة أجزاء من أجل المسيح من مركز الروحانية والصحة، كلية هنتنغتون ، جامعة لورينتيان ، طريق رامزي ليك، سودبوري، أونتاريو ، P3E 2C6، هاتف: 1-800-461-6366 .

" ... الحرف يقتل، ولكن الروح يحيي."  
كورنثوس الثانية 3 : 6

### التقديم

مجهول!!  
يسوع الذي  
يظل يقول "أنا يسوع"  
"انظروا إليّ ،  
لا يوجد بديل عني"  
هو دجال . لا تثق  
بالطائفة المسيحية الخاصة بالشخصية.  
لقد جننت  
لتشغيلك وليس  
لإيقافك ،  
لجعلك حرا وليس  
لربطك .  
لقد كان طوقى سهلا  
وحملتي خفيف  
حتى صنعوا  
حقوق ملكية للخلاص ،  
وكل ذلك بإسم يسوع .  
لذلك انسى  
كان اسمي دائماً يسوع .  
من الآن فصاعدا  
أنا مجهول.

سيدني كارتر<sup>1</sup>

## نبع المياه الحية: هو مثل لعصرنا

هناك أوقات لا يمكن فيها سرد أعمق الحقائق عن الحالة الإنسانية إلا من خلال الأمثال. لا تعتمد قوة هذه القصص على كونها واقعية حرفياً أو تاريخياً - على سبيل المثال ، لا تتوقف "حقيقة" مثل يسوع عن الابن الضال بأي حال من الأحوال على مسألة ما إذا كان يشير إلى أب وابنه محددتين في وقت محدد . دعونا نستخدم خيالنا إذن، ولنر ما يلي :

كانت هناك في يوم ما بريبة صخرية شاسعة، خالية من أي نبات سوى أشواك وحوذان قاسية. امتد في وسط الصحراء طريق وعر كانت البشرية بأسرها تسير عليه. كانوا يتخبطون، أقدامهم متقرحة وعطشى، مرهقين وخائفين من مخاوف لا تُحصى .

وفي نقطة ما على الطريق، انبثق نبع ماء صافٍ جارٍ من صخرة عارية. لا أحد يعلم من اكتشفه أولاً ؛ فقد فقد هذا السر منذ زمن طويل . ومع ذلك، لأجيال لا تُحصى ، توقف المسافرون على طول الطريق هناك ليستعيدوا طاقتهم . وبينما كانوا يفعلون ذلك، وجدوا، لدهشتهم وسعادتهم، أن المياه لم تُرو عطشهم فحسب ، بل أشبعت أيضاً احتياجات أعمق. بطريقة ما، وهم يشربون من ذلك المصدر، وجدوا أن عقولهم وأجسادهم قد شُفيت، وآمالهم وشجاعتهم قد ازدادت قوة من جديد. أصبحت الحياة غنية بمعنى جديد. ووجدوا أنهم يستطيعون حمل أعبائهم المختلفة والانطلاق في الطريق مرة أخرى بقلوب جديدة . أطلقوا على المكان اسم " موضع المياه الحية"، والنبع نفسه اسم " ماء الحياة".

مع مرور الوقت، بدأ العديد من الناس بتدوير الصخور حول النبع كمنصب تذكارية. ومع مرور الأجيال والقرون، أصبحت هذه المنصب التذكارية أكثر فخامة وزخرفة، حتى أصبح النبع أخيراً مُحاطاً بالكامل بكاتدرائية عظيمة تشبه القلعة، ومحمياً بجدران حجرية عالية. ونشأت طبقة خاصة من الرجال، بأردية خاصة ولغة خاصة بهم، لوضع قواعد للحفاظ على نقاء البئر . لم يعد الوصول متاحاً للجميع، واشتد الخلاف حول من يُسمح له بالشرب هناك، ومتى، وكيف، لدرجة أن الحروب اندلعت بسببها .

كان المنتصرون يُشيدون المزيد من المنصب التذكارية والحواجر امتناناً لهم ، وهكذا، ومع مرور السنين، غمرت مياه النبع نفسه بالطوب واختفى عن الأنظار. لم يتذكر أحد متى حدث ذلك تحديداً أو من قام به. ولكن عندما اشتكى الحجاج من الخسارة ، ووجد الكثيرون مغمى عليهم أو حتى على وشك الموت على الطريق ، سخر المسؤولون آنذاك من صرخاتهم أو تجاهلوا ببساطة. أُقيمت احتفالات جميلة، والتي تم إجراؤها داخل المكان المقدس للاحتفال بما فعلته البئر للحجاج قبل سنوات عديدة ، بينما كان الناس على الأبواب ذاتها يموتون من العطش.

في النهاية، نُقلت مياه أخرى عبر الأنابيب، بتكلفة باهظة، من أماكن بعيدة، لكنها بدت مجرد وهم مقارنةً بالواقع الذي كان موجوداً في السابق ليتمتع به الجميع. من حين لآخر، كان يأتي رجال غرباء من البرية قائلين إن على حراس البئر القديمة أن " يتوبوا " ويزيلوا جميع العوائق حتى يتمكن الناس من الشرب والشفاء . لاحقاً، سُموا أنبياء، وكُرموا تكريماً عظيماً في الضريح. لكن في لحظة احتجاجهم، رُفضوا . والحقيقة أنه ، أعدم الكثيرون منهم.

وهكذا، في النهاية، تجنبت الغالبية العظمى من الناس الذين سلكوا هذا الطريق "مكان المياه الحية" المقدس الآن ، وذلك للبقاء على قيد الحياة قدر الإمكان. كثيرون ، عندما مروا بالضريح واستذكروا القصص التي تعلموها في شبابهم عن النبع الخفي، انتابهم حنين وشوق عميقان لا يوصفان. واصل آخرون حياتهم

بصعوبة، وقد ساورهم شكٌ ساخرٌ في وجود تلك المياه الشافية. لكن في بعض الأحيان، في الليل، عندما تهدأ جميع الترانيم والطقوس ، كان أولئك الحجاج القلائل الذين تسللوا إلى الضريح ليستريحوا للحظة في زاوية بعيدة عن الأنظار، على يقين من أنهم يسمعون صوتاً يكاد يكون معجزة. من مكان ما عميقاً تحت أساسات هذا البناء الصخري العظيم، كان صدى الماء الجاري الخافت ينبعث . وكانت عيونهم تذرف الدموع<sup>2</sup>.

يزعم هذا الكتاب أن يسوع كان له مهمة إلهية لإزالة جميع العوائق والعقبات التي تقف في طريق عطش البشرية لماء الحياة. لقد لقي المصير الذي يصيب دائماً أولئك الذين يجرؤون على تحدي الأرثوذكسية الجامدة والمتجذرة في التقاليد للوضع الراهن الديني والسياسي والاقتصادي : لقد صلبته السلطات الدينية والسياسية . ولكن بعد وفاته لم يمض وقت طويل قبل أن يجد الخلفاء الروحيون لمعذبيه أنه من المفيد تنويجه ملكاً وإلهاً. لقد جاء معلناً بالقول والفعل رسالة بشارة عن ملكوت الله على الأرض . لقد أعلن رسالة محبة كانت لإنقاذنا ليس من الخطيئة ولكن من الخوف . في أيدي السلطات الجديدة أصبحت الوسيلة هي الرسالة ، ونتيجة لهذا التشويه تم تجاهل الرسالة نفسها إلى حد كبير .

كيف حدث كل هذا؟ قصة طويلة ومعقدة . إنه يمثل انتصار شهوة الثوابت على ضرورة الغموض؛ وانتصار شهوة السلطة على الدعوة إلى الروحانية الداخلية ودور العبودية؛ وانتصار إغراءات التجريدات الفلسفية اليونانية على المزاج التاريخي الملموس للفكر اليهودي. وفوق كل شيء ، فهو يجسد إشارة، وإن كانت مألوفة، إلى انتصار الطقوسي والهرمي على الكاريزماتي والغفوي في التجربة الدينية. وكما لم يكن بوذا بوذياً (ولا سيغmond فرويد فرويدياً)، كذلك لم يكن يسوع مسيحياً - على الأقل ليس كما عرّفته المسيحية الأرثوذكسية أو الأصولية .

يسوع هو بلا شك أعظم شخصية وأكثرها تأثيراً في التاريخ ؛ واليوم، يُطلق على ما يقرب من مليار شخص من كل قبيلة ولون ولسان اسم مسيحيين، لأنهم تعهدوا - على الأقل بالمعمودية - باتباعه. لكن حياتي كلها من الالتزام الديني والمشاركة فيه ، إلى جانب الصلاة والدراسة الجادة، أقتنعتني بأن يسوع ليس أعظم شخص عاش على كوكب الأرض فحسب، بل هو أيضاً الأكثر تعرضاً لسوء الفهم .

---

1. سيدني كارتر، الحب أكثر أو أقل (كليرمونت، كاليفورنيا: جالارد برس ، 1971 ) .

2. أنا مدين بالإلهام لهذه القصة إلى القس هربرت أودريسكول ، العميد السابق لكاتدرائية كنيسة المسيح في فانكوفر، الذي ينسبها إلى إيرا بروجوف، البئر والكاتدرائية ؛ ومع ذلك، يجب أن أتحمّل المسؤولية عن هذه النسخة .

## المشكلة

وما يترتب على ذلك ربما يربك البعض، لكن هذا ليس قصدي. هذا الكتاب مُوجَّهٌ إلى أعضاء الجماعة المُفكِّرين الذين يشعرون ببعض القلق حيال معتقداتهم، وإلى الغالبية العظمى من الناس الذين لا يجدون في الإيمان المسيحي الآن أي معنى. كان همي الرئيسي، منذ أن عرفتُ أنني مسيحي، هو من يُسمَّون " خارج المسيحية ". والأناجيل تُوضِّح أن هذا كان همَّ يسوع الرئيسي أيضًا .

وكما أن القضية النووية بالغة الأهمية بحيث لا يمكن تركها للسياسيين ، فإن مسألة توضيح هوية يسوع - وما معنى أتباعه كتلميذ أو متعلم - بالغة الأهمية بحيث لا يمكن تركها لعلماء الدين ورجال الدين المحترفين الذين تتجه حواراتهم، مهما بلغت درجة علمهم، في الغالب نحو من هم في نفس المجال. لذا ، وبينما أحاول تناول القضايا المعقدة بأسلوب علمي ، بذلت قصارى جهدي لمخاطبة عامة الناس بأسلوب يسهل عليهم فهمه. وإن بدا بعض الكتاب هجومًا على معتقدات عزيزة، فالمقصود به إيجابيًا، كما هو الحال مع الجراح الذي قد يضطر إلى إجراء عملية جراحية لتعزيز الشفاء. أمل أن يتوصل القارئ إلى رؤية أوضح لـ " ربه " ، فيجد بذلك معنى أعمق ورضا أعمق في عيش ملكوت الله والعمل مع الآخرين لجعله واقعًا ملموسًا للجميع هنا " كما في السماء كذلك على الأرض " .

## الآزمة التي تواجه الكنيسة المسيحية

قد تكون المسيحية مزدهرة في أجزاء من أفريقيا وآسيا اليوم، إلا أن الإيمان المسيحي في الغرب يتآكل بمعدل يندر بالخطر. وتتحول العلمانية الإنسانية بسرعة إلى "الدين" السائد في العالم الغربي.<sup>1</sup> أقل من نصف سكان الولايات المتحدة يحضرون الكنيسة بانتظام الآن، على الرغم من أن الرسالة المسيحية تُعلن بصوت أعلى وأكثر استمرارية عبر الأثير مقارنةً بأي مكان آخر في العالم .

في حين تكبدت جميع الكنائس الرئيسية خسائر فادحة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الأمريكية الأكثر تضررًا في السنوات القليلة الماضية . ففي عام ١٩٧٨، واستجابةً لاستطلاع رأي خاص أجرته مؤسسة غالوب، قال ٧٤٪ من الكاثوليك إنهم ذهبوا إلى الكنيسة في فترة الأيام السبعة السابقة. وبعد خمس سنوات ، بلغت النسبة ٥٢٪. واليوم، تبلغ حوالي ٤٦٪ . وعلى الرغم من أن موقف الفاتيكان من الإجهاض سلبي بشكل قاطع، إلا أن ٧٢٪ من النساء الكاثوليكيات الأمريكيات اللواتي شملهن استطلاع رأي في أوائل عام ١٩٨٦ قلن إنهن سيفكرن فيه على الأقل كخيار، بينما عارضته ١٠٪ فقط بشكل قاطع في جميع الظروف . وكان الانخفاض في صفوف الكهنة والراهبات كارثيًا. وفي الحقيقة، لم يعد من الدقيق وصف معظم الدول الغربية بأنها "مسيحية" لأن الغالبية العظمى من مواطنيها ليس لديهم روابط تقليدية مع أي هيئة دينية على الإطلاق. في كندا، يحضر أقل من 30% من الناس الكنيسة بانتظام

اليوم - مقارنةً بحوالي 70% عام 1956 - وفي إنجلترا ومعظم الدول الأوروبية، فإن المتوسط العام أسوأ من ذلك. أغلقت كنيسة إنجلترا تسعمائة كنيسة أبرشية منذ عام 1974! فلا عجب أن يصف علماء اللاهوت وغيرهم من المفسرين في المشهد الديني هذا العصر بأنه "عصر ما بعد المسيحية"، ويشيرون إلى أن مفهوم "المسيحية" قد عفا عليه الزمن. أضف إلى ذلك أن نسبة ضئيلة فقط من الأطفال والشباب يتلقون الآن أي تعليم ديني، ويبدو التكهن بمستقبل عام 2000 قائمًا للغاية .

هناك العديد من الأسباب المعقدة لتراجع الإيمان المسيحي - النجاحات المبهرة التي حققها العلم والتكنولوجيا، والهجرة شبه الشاملة من الريف إلى المدينة، واستيلاء الدولة على معظم الهيئات الاجتماعية التي كانت تديرها الكنائس سابقًا، والرسائل المتنوعة بشكل محير التي تبثها لنا وسائل الإعلام المختلفة، والخيارات المتزايدة التي تواجهنا كلما كان هناك وقت فراغ، هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر. ولكن هناك مشكلة أكثر جوهرية يجب مواجهتها. تدعي كنيسة يسوع المسيح أنها تحمل بشرة بشرى سارة للرجال والنساء المعاصرين. ونظرًا لتناقص عدد من ينجذبون لهذه الأخبار، فمن الواضح أن هناك خطأ فادحًا في طريقة نشرها. في الواقع، هناك فشل مدمر في التواصل. ولن يُحل هذا بمجرد تعيين المزيد من الوعاظ على التلفزيون أو الراديو. لدى ما يسمى بالكنائس الرئيسية الكثير لتتعلمه حول استخدام وسائل الإعلام في توصيل رسالتها، ولكن لن يكون هناك أي قدر من التطور التقني ما لم تكن الرسالة نفسها ذات معنى. إذا كانت المفاهيم الأساسية غير ذات صلة وغير مفهومة للجمهور الحديث، وإذا كانت، والأسوأ من ذلك، أنها تشوه بالفعل البشارة الأصلية التي أعلنها يسوع وسجلتها في الأناجيل، فلا يمكن أن يكون هناك حل فعال للأزمة الحالية. بدون جهد شامل لإعادة النظر في الجذور المسيحية بهدف تعزيز فهم معاصر ودقيق للإنجيل، فإن جميع محاولات التبشير محكوم عليها بالفشل قبل أن تبدأ. ومن المهم في هذا الصدد أن الظهور الواضح للكنائس الإنجيلية الأصولية هو فقط: أكثر وضوحًا من الواقع. إنهم يجذبون بعض الأعضاء من كنائس أخرى، ويتمسكون بشبابهم بشكل أفضل من نظرائهم الليبراليين، لكن نجاحهم في الوصول إلى من هم "خارج" الإيمان كان محدودًا.<sup>2</sup> وبالمثل، يبشر المبشرون التلفزيونيون لجمهور ينتمي في الغالب إلى معتقداتهم الخاصة. يطلبون المال للوصول إلى "غير المؤمنين"، لكن نادرًا ما يستمع إليهم أحد من مجتمع "غير المؤمنين". وعندما يتابع هؤلاء، غالبًا ما يكون ذلك رغبةً في الاستمتاع بتصرفات المبشرين الإلكترونيين أكثر من اهتمامهم الحقيقي بالمحتوى المتواضع لعروضهم .

وبصراحة، الحقيقة هي أن الكنيسة المسيحية تُقصر في توصيل حقيقة يسوع للبشرية، وما جاء لأجله . فمعظم اللغة والعقائد التقليدية المتعلقة بيسوع غير مفهومة لجيل شهد هبوط البشر على سطح القمر . تأمل في المقطع التالي من قانون الإيمان النيقاوي، والذي يُستخدم بانتظام في عبادة القربان المقدس في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، والكاثوليكية الرومانية، والأسقفية في جميع أنحاء العالم :

"أؤمن بإله واحد، الأب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى .

"وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من مريم العذراء، وصار إنسانًا، وصلب أيضًا من أجلنا على عهد بيلاطس البنطي. وتألّم ودفن، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب ..."

قد يستطيع البعض فهم هذا البيان المتعلق بالمعتقدات الجوهرية، لكنني لا أستطيع ذلك- على الأقل ليس بالمعنى الحرفي العادي للكلمات والمفاهيم المستخدمة. وأنا لست وحدي في هذا بالتأكيد .

تتجلى هذه المشكلة بشكلٍ مُتطرف في قانون عقيدة القديس أثناسيوس، الذي لا يزال يُذكر في العبادة الأنجليكانية، ويُستخدم على نطاق واسع في كنائس غربية أخرى منذ أن وضعه مؤلف مجهول حوالي عام ٤٠٠ ميلادي. التكرار مُملّ ، وتعقيدات اللغة مُربكة، على أقل تقدير . لكنني سأوضح ذلك هنا ليتمكن القراء من رؤية ما نتحدث عنه بأنفسهم :

"من أراد الخلاص يحتاج قبل كل شيء إلى التمسك بالإيمان الكاثوليكي .  
 أي إيمان لا يحفظه الإنسان سليماً وغير مدنس، فهو بلا شك سوف يهلك إلى الأبد.  
 إن الإيمان الكاثوليكي هو هذا ، أننا نعبد إلهًا واحدًا في الثالوث ، والثالوث في الوحدة ؛  
 لا يخلط بين الأشخاص ولا يقسم الجوهر .  
 لأن هناك شخص واحد للآب، وآخر للابن، وآخر للروح القدس ؛  
 ولكن لاهوت الآب والابن والروح القدس هو واحد، والمجد متساو ، والجلال أبدي.  
 كما أن الآب كذلك الابن ، وكذلك الروح القدس ؛ الآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق ؛  
 الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود؛ الآب أبدي، والابن أبدي ، والروح القدس أبدي ؛

ولكن ليس هناك ثلاثة أديين، بل واحد أبدي ؛  
 كما أنه ليس هناك ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير محدود وواحد غير مخلوق .  
 كذلك الآب قادر على كل شيء، والابن قادر على كل شيء، والروح القدس قادر على كل شيء.  
 ومع ذلك فليس هناك ثلاثة قديرون، بل واحد قدير .  
 فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله ؛  
 ومع ذلك فليس هناك ثلاثة آلهة بل إله واحد .  
 فالآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.  
 ولكن ليس هناك ثلاثة أرباب، بل رب واحد .  
 فكما أننا ملزمون بموجب الحقيقة المسيحية بالاعتراف بأن كل شخص في ذاته هو إله ورب ؛  
 لذلك فإن الدين الكاثوليكي يمنعنا من التحدث عن ثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب .  
 الآب ليس مصنوعًا من أحد، ولا مخلوقًا، ولا مولودًا.  
 الابن هو من الآب وحده، ليس مصنوعًا ولا مخلوقًا، بل مولود .  
 الروح القدس هو من الآب والابن، ليس مصنوعًا، ولا مخلوقًا، ولا مولودًا، بل منبثقًا .  
 هناك إذن أب واحد، وليس ثلاثة آباء؛ وابن واحد، وليس ثلاثة أبناء؛ وروح قدس واحد، وليس ثلاثة أرواح قدس .

وفي هذا الثالوث ليس هناك ما قبل أو بعد ، ولا أعظم أو أصغر؛ ولكن الأشخاص الثلاثة هم أزيون معًا ، ومتساوون .

بحيث أنه في جميع الطرق ، كما ذكرنا سابقًا، يجب أن يُعبد كل من الثالوث في الوحدة، والوحدة في الثالوث .  
 فمن أراد أن يخلص فليفكر هكذا في الثالوث .

وبالإضافة إلى ذلك، فمن الضروري للخلاص الأبدي أن نؤمن أيضًا بإيمان بتجسد ربنا يسوع المسيح .

والإيمان الصحيح هو أن نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله هو إله وإنسان . فهو الله من جوهر الأب، المولود قبل الدهور؛ وهو الإنسان من جوهر أمه، المولود في العالم؛ إله كامل، إنسان كامل، ذو روح عاقلة وجسد بشري قائم؛ مساوٍ للأب في ما يتعلق بألوهيته، وأقل من الأب في ما يتعلق ببشريته . الذي بالرغم من أنه إله وإنسان، إلا أنه ليس اثنين، بل هو المسيح واحد ؛ ولكن ليس بتحويل لاهوته إلى جسد، بل باتخاذ الناسوت إليها ؛ واحد تماما؛ ليس عن طريق خلط الجوهر، بل عن طريق وحدة الشخص . فكما أن النفس والجسد هما إنسان واحد ، كذلك الله والإنسان هما مسيح واحد. الذي تألم من أجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم، وقام من بين الأموات ؛ صعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب ، الذي من حيث يأتي ليدين الأحياء والأموات . وعند مجيئه سيقوم جميع الرجال بأجسادهم، وسيعطون حساباً عن أعمالهم . والذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية . هذا هو الإيمان الكاثوليكي، الذي لا يستطيع الإنسان أن يخلص إلا إذا آمن به بإخلاص وثبات" . كتاب الصلاة المشترك (كندا)

قبل فترة ليست ببعيدة، كنت أناقش قانون الإيمان الرسولي البسيط للغاية مع رجل دين متدين ومخلص لأكثر من ستين عاماً.<sup>3</sup> وقد خدم مساعداً ومسؤولاً عن كنيسة في إحدى أكبر الكاتدرائيات الأنجليكانية في كندا، وكان دائماً واقفاً في حالة تأهب قصوى كلما تُلّيت أو تُنشد قوانين الإيمان . سألته: كم فهم منه حقاً؟ أجاب: "القليل" إن وجد" .

في الواقع، قليلٌ جداً من الوعاظ يستطيعون تقديم شرح معقولٍ لعقيدة الثالوث أو عقيدة التجسد ، أي أن يسوع كان إنساناً حقاً ومع ذلك إلهاً كاملاً. إنهم يرددون صيغاً وضعت ، بكثيرٍ من الجدل والمرارة، في القرنين الرابع والخامس الميلادي على يد رجالٍ كانت احتياجاتهم ورؤاهم وفهمهم للكون مختلفاً اختلافاً كبيراً عن احتياجاتنا ورؤانا وفهمنا . لم تعد هذه الصيغ مفيدة، بل إنها تُشكّل حاجزاً لا يُقهر للكثيرين ممن كان من الممكن أن يصبحوا تلاميذاً ليسوع في عصرنا .

إن أكثر ما يُخرج الكنيسة هو صعوبة إثبات أيٍّ من هذه الأقوال العقائدية من وثائق العهد الجديد. ببساطة، لا يُمكنك العثور على عقيدة الثالوث مُوضحة في أي مكان في الكتاب المقدس. يتبنى القديس بولس رؤيةً أُسمى لدور يسوع وشخصه ، ولكنه لا يُسمِّه إلهاً في أي مكان .<sup>4</sup> كما أن يسوع نفسه لا يدّعي صراحةً في أي مكان أنه الشخص الثاني في الثالوث، المُساوي تماماً لأبيه السماوي. بصفته يهودياً تقياً، لكان قد صُدم وأُسيء إليه من هذه الفكرة .

على مدى العقد الماضي أو نحو ذلك، تحدثت مطولاً وبقدر الإمكان عن هذه العقائد الخاصة مع عامة الناس الأذكياء ورجال الدين من جميع الطوائف، وقد وجدت ارتباكاً واسع النطاق - سيئاً بما فيه الكفاية في حد ذاته. ولكن هناك ما هو أسوأ قادم. لقد قادني هذا البحث إلى الاعتقاد بأن الغالبية العظمى من رواد الكنيسة المنتظمين هم ، لجميع الأغراض العملية، من المؤمنين بالتثليث . أي أنهم يدعون الإيمان بإله واحد، لكنهم في الواقع يعبدون ثلاثة. فلا عجب أن المسيحية واجهت دائماً صعوبة في محاولة تحويل اليهود والمسلمين. إن أعضاء كلتا الديانتين لديهم مثل هذا الاشتمزاز من أي شيء يتعارض مع توحيدهم، أو إيمانهم بوحدة الله، لدرجة أن الإنجيل الذي يبدو متعدد الآلهة ليس له جاذبية كبيرة بالنسبة لهم .

منذ أن كتبت ما سبق، ناقشت مشكلة الكنيسة في فهم وجهة النظر التقليدية عن يسوع باعتباره إلهًا وإنسانًا مع أحد كبار القساوسة في أحد أكبر مستشفيات كندا ومع رئيس أحد أقدم المعاهد اللاهوتية وأكثرها احترامًا في كندا.

قال كلاهما إن المسيحية الأرثوذكسية لم تُشكل لهما أي صعوبة لأنهما أخذتا العقائد كلها "رمزيًا" لا حرفيًا. وعندما سُئلا عما إذا كانت رعيتهما على دراية بذلك، ابتسما وهزا رأسيهما؛ فكان الجواب بوضوح "لا". أذكر هذا لأنه يُثير مسألة جوهرية، وهي الفجوة بين رجال الدين والرعية في مسائل الإيمان والعقيدة. قلة قليلة من رجال الدين ينقلون ما تعلموه في المدرسة اللاهوتية عن الدراسات المعاصرة حول الكتاب المقدس - أو أي شيء آخر، في هذا الشأن. لا شك أن الوقت قد حان لمزيد من الصراحة من على المنبر.

## لاهوت العداء

كما سنرى لاحقًا، يقدم العهد الجديد إجابات مختلفة كثيرة على السؤال ، من هو يسوع المسيح وماذا جاء ليفعل؟ ومع ذلك، ولأسباب دينية وفلسفية وسياسية متنوعة، فإن ما يسميه البعض بالرأي المطلق - يسوع باعتباره رب الخليقة السابق الوجود الذي جاء في جسد بشري ليكفر عن خطايا العالم ثم يصعد إلى المجد مساوٍ للآب - قد تغلب على جميع الآراء الأخرى. ومن السهل أن نفهم لماذا اهتم أباطرة القرنين الرابع والخامس اهتمامًا بالغًا بنتيجة المناقشات حول علم المسيح (الاسم التقني للمحاولة العقلانية لتحديد من كان يسوع وما هو عليه). ومن الواضح أن مفهوم نائب الله الإلهي، الجالس على عرش سماوي، قد أعطى مبررًا لاهوتيًا كافيًا لمجموعة سلطتهم الأرضية. لقد كان ترتيبًا مفيدًا استمر حتى التفكك النهائي للإمبراطورية الرومانية المقدسة. وكان حجر الزاوية للصرح المعروف باسم المسيحية. يكتب دون كوبيت، المحاضر الجامعي في اللاهوت وعميد كلية إيمانويل في كامبريدج: "في المسيحية، توج المسيح الإمبراطور ، خطوة أعلى في مقياس كونه مجرد انحناء طفيف لمنح السلطة لمن هو أدنى منه . في الأيقونات المسيحية [تصوير المسيح] حتى نهاية العصر البيزنطي، كان المسيح والإمبراطور لا يمكن التمييز بينهما تقريبًا.... أصبحت المسيحية حتمًا، أو بالأحرى، أصبحت، مطلقة واستبدادية. فُقدت يهودية تعاليم يسوع...." <sup>5</sup>

لكن ادعاء الكنيسة، منذ ذلك الحين، بأن يسوع كان إلهًا كاملاً في حين أنه كان إنسانًا كاملاً - " شخص واحد في طبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال" <sup>6</sup> - أدى إلى عواقب وخيمة أخرى. إن الرأي القائل بأن يسوع كان الله ، إلى جانب القراءة الحرفية لمقاطع الكتاب المقدس مثل "أنا الطريق والحق والحياة . لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي " يعني أن الكشف الذاتي النهائي والفريد لله يمكن العثور عليه في المسيحية وحدها. إذا كان الأمر كذلك، فإن جميع المعتقدات والأديان الأخرى يجب أن تكون في أحسن الأحوال غير مكتملة بشكل رهيب، وفي أسوأ الأحوال مجرد خرافات وثنية، ونسيج من الوهم. وهذا يفسر، على الرغم من أنه لا يمكن أن يعذر أبدًا، التعصب المروع والعنف الذي ارتكب على مر القرون ضد أولئك خارج الحظيرة المسيحية. إن أهوال الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش سيئة السمعة ليست سوى جزء صغير من هذه القصة المأساوية. على الرغم من مرور عقود منذ وقوع الحدث ، إلا أن علماء اللاهوت المسيحيين يدركون الآن المدى الكامل لتواطؤ المسيحيين في محرقة ما يقرب من ستة ملايين يهودي على يد النازيين. لم يكن من الممكن أن تحدث هذه المحاولة المذهلة للإبادة الجماعية لولا قرون من معاداة السامية التي عززتها ادعاءات الاستبداد المسيحية. ما عليك سوى قراءة بعض من حديث المائدة لمارتن

لوثر لترى كيف يمكن حتى للعقري الروحي أن يلوث بالتعصب الديني. في عام 1543 كتب لوثر ما لا يقل عن ثلاث رسائل مطولة يهاجم فيها اليهود . في كتابه ضد اليهود وأكاديبهم ، استحضر جميع الشائعات الكاذبة القديمة - "إنهم يسممون الآبار ويسرقون الأطفال المسيحيين ويعذبونهم للحصول على دمائهم" - وذهب إلى حد الدعوة إلى حرق المعابد اليهودية وهدم منازل اليهود والاستيلاء على كتبهم ومنع حاخاماتهم من التدريس ومنعهم من الوصول إلى الطرق العامة . كان يجادل بأنه يجب مصادرة ذهبهم وفضتهم ، لأنهم "سرقوها وسلبوها منا بالربا". ولأنه كان يعتقد أنهم رفضوا المسيح، فقد أصبح مهووساً بفكرة اليهود في سنواته الأخيرة . وكتب: "سأقطع ألسنتهم من حناجرهم". " باختصار ، لا ينبغي التسامح مع اليهود . لا ينبغي لأحد أن يأكل أو يشرب معهم"<sup>7</sup>. ليس من الصعب الانتقال من هذا القدر إلى معسكرات الموت في بيلسن وأوشفيتز .<sup>8</sup>

العديد من المسيحيين اليوم، وخاصة أولئك المنتمين إلى الجناح الإنجيلي ، يعتقدون أن اليهود موجودون ليتحولوا إلى المسيحية. بل إن بعضهم يفترض أن نسمي تلك المجموعة الصغيرة من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية "يهوداً كاملين" . لكن ليس حفنة من المتعصبين فقط هم من يتخذون هذا الموقف. يقترح كتاب الصلاة المشتركة للكنيسة الأنجليكانية في كندا الصلاة الخاصة التالية ليوم الجمعة العظيمة : " يا إلهي الرحيم، الذي خلقت جميع البشر، ولا تكره شيئاً مما خلقته ، ولا ترضى موت الخاطئ ، بل أن يهتدي ويحيا؛ ارحم شعبك القديم، وكل من يرفض ابنك وينكرونها؛ انزع عنهم كل جهل وقساوة قلب وازدراء لكلمتك؛ وأعدهم، أيها الرب المبارك، إلى رعيتك، ليكونوا قطيعاً واحداً تحت راع واحد، يسوع المسيح ربنا ؛ الذي يحيا ويملك معك ومع الروح القدس ، إلهاً واحداً، إلى دهر الدهور . أمين" (ص ١٧٤) .

في عام ١٩٧٩ ، وفي رسالة إلى جميع رجال دينه، طلب رئيس الأساقفة آنذاك ، القس " تيد " سكوت، الذي كان أيضاً رئيساً لمجلس الكنائس العالمي، إلغاء هذه الصلاة الجماعية في أيام الجمعة العظيمة القادمة. لكن وجود مثل هذه الصلاة يُعد فضيحة مأساوية . فبدلاً من اعتبار الديانات الأخرى جزءاً لا يتجزأ من قصة كفاح الجنس البشري المستمر من أجل السموا، أو الله، يرى المسيحيون الأرثوذكس أنها حقول خصبة للمشروع التبشيري . صحيح أن مجلس الكنائس العالمي حاول فتح حوار بين المسيحيين والمسلمين، والهندوس، والبوذيين، واليهود ، والسيخ، وغيرهم، ولكن كما أعلن المتظاهرون الأصوليون في جمعية فانكوفر عام ١٩٨٣ بصوت عالٍ، فإن ملايين المرشحين يعتبرون هذا الموقف خيانة. ومع ذلك، من المهم جداً إدراك أن عدم تسامحهم مع الديانات الأخرى يتناسب طردياً مع تصلب موقفهم تجاه العقيدة المسيحية التقليدية . تؤكد دراسات عديدة حول العنصرية والتعصب هذا التقييم. إذا كان " المؤمن الحقيقي" وحده على حق، فإن الجميع على خطأ، وليس فقط على خطأ، بل عدو كامن.

هذا النوع من الاستبداد بخصوص ادعاءات أن يسوع قد "شرعن علاقات العداة والعزلة والدفاعية" تجاه الطوائف الأخرى ووجهات النظر المختلفة داخل الكنيسة المسيحية نفسها<sup>9</sup>. بعبارة أخرى، نشأت عقلية، وجو يُنظر فيه إلى عدم التسامح مع التعددية أو الاختلافات أيًا كانت أنها تبدو ليس أمراً طبيعياً فحسب، بل هو ، على مستوى أعمق، المسار الوحيد للواجب. وهنا أيضاً، يمكن للمرء أن يلاحظ القاعدة التالية: كلما تعمق الالتزام بالصواب الكتابي أو العقائدي، ازداد العداة تجاه المسيحيين الآخرين المختلفين . هذا الميل يُفسر المرارة التي يهاجم بها الإنجيليون المحافظون بشدة مجلس الكنائس العالمي، وحتى بيلى غراهام، لـ " شراكتة " مع الليبراليين والكاثوليك . لكن نفس النوع من العقلية سائد في جميع الطوائف إلى حد ما، وهو السبب الرئيسي وراء توقف الحركة المسكونية حالياً والتي طالما تم التباهي بها.<sup>10</sup>

## لاهوت عنصري ذكوري

بالإضافة إلى المساهمة في خلق لاهوت العدا، فإن النظرة المطلقة - القائلة بأن يسوع لم يكن وكيلاً أو رسولاً فريداً مرسلًا من الله، بل هو نفسه "إله حق من إله حق" متجسداً - قد توجت تقريباً لاهوتاً عنصرياً ذكورياً كملك. كان يسوع ذكراً بوضوح، وكما تقول الحجة (بوعي أو بغير وعي) ، إذا كان هو أيضاً إلهاً، فلا بد أن يكون الله ذكراً أيضاً. هذا الخط الفكري هو أساس جميع الادعاءات بأن الكهنة يجب أن يكونوا ذكوراً لتمثيل المسيح تمثيلاً صحيحاً أمام أبيه وأمام شعب الله.<sup>11</sup>

لقد جادلت في موضع آخر بأن يسوع كان نسوياً متطرفاً، كاسراً معظم المحرمات المناهضة للإناث في عصره.<sup>12</sup> لا شك لديّ أنه رغم استخدامه مصطلح "الأب" عند الحديث عن الله، إلا أنه لم يرَ فيه كائناً جنسياً على الإطلاق. بعض الأمثال التي رواها تُصوّر الله بوضوح من خلال امرأة. (على سبيل المثال، في لوقا 15 : 8 وما يليه ، حيث يروي يسوع مثل الدرهم المفقود، الشخصية المحورية امرأة . في بحثها الدؤوب عن قطعة الفضة المفقودة، تُصوّر محبة الله لكل من فقده وانفصلوا عنه). لم يكن ليسوع صعوبة في قبول مقولة البابا يوحنا بولس الأول المثيرة للجدل : "من اللائق بنا أحياناً أن نتحدث عن الله كأمن لنا". في الواقع ، يفعل العهد القديم ذلك. والحقيقة هي أنه حتى لو كان يسوع هو الله المتجسد بالمعنى التقليدي، فإن ذكورته لا تُملّي بأي حال من الأحوال أن يتمتع الله، ككائنٍ خالص، بصفات جنسية ذكورية .

كما يُصرّ إنجيل يوحنا، فإن الله روح، ويجب أن يُعبّد بالروح والحق. مهما كانت طبيعة يسوع، كان لا بد أن يكون إما ذكراً أو أنثى. لو جاء في زمن مختلف، وفي ظروف مختلفة، لكان بسهولة امرأة. من المُعْزِي التكهّن بمدى اختلاف مسار التاريخ الغربي لو كان الأمر كذلك. لو ركّز أتباعه على الجانب الأمومي في تعامل الله مع البشرية، بدلاً من إسقاط جميع الصفات العدوانية والنتافسية عليه، التي غالباً ما نجدها في المجتمعات التي يهيمن عليها الذكور، هل كان الرجال ليتمكنوا بهذه السهولة من استجداء بركاته في الحرب؟

في نفس اليوم الذي كتبتُ فيه هذه الفقرة لأول مرة - 23 مايو/ أيار 1984 - ظهر عنوان رئيسي على الصفحة الأولى من صحيفة تورنتو ستار يقول: "الله ذكر، وهذا كل شيء". روى الخبر كيف رفضت الجمعية العامة للكنيسة المشيخية في اسكتلندا دراسةً استغرقت عامين حول أمومة الله ، أجرتها فرقة عمل خاصة مكونة من سبعة رجال وأربع نساء. ذكرت الدراسة أن الله ليس له جنس، وأنه في حين أنه من غير اللائق اقتراح التخلي عن استخدام كلمة "أب" في الصلوات، إلا أن هناك أسساً كتابية كافية لاستخدام كلمات مرتبطة بالأمومة أيضاً . وقد عبّرت الجمعية ، التي غلب عليها الذكور، عن استيائها الشديد من المشروع برمته (الذي كان مطروحاً للدراسة فقط في صفوف الكتاب المقدس للطائفة)، وأرسلت رسالة واضحة للعالم مفادها أن الله في نظرهم ذكراً لا محالة. ونظراً لهذا النوع من المواقف القديمة والمُجسّدة، فليس من المستغرب أن العديد من أذكى النساء في مختلف الكنائس قد غادرن أو يُفكّرن في المغادرة . وليس من المستغرب أن يظل الدين أحد آخر معاقل الهيمنة الذكورية في عصرنا .

## ملخص

المدافعون عن العقيدة الأرثوذكسية التقليدية حول يسوع، بمن فيهم رئيس أساقفة كانتربري الحالي، القس روبرت رانسي، على الرد على سؤال من كان يسوع وما هو عليه بصيغة من الافتراض التالي: إما أن

يسوع كان مجنونًا أو شريرًا ، أو أنه كان كما ادعى، ابن الله الإلهي الكامل، الله نفسه في الجسد. ولكن - بغض النظر عن مسألة ما إذا كان يسوع في الحقيقة قد ادعى أنه الله، فهذه الإجابة هي طريقة غير عادلة لطرح الخيارات. فإذا خُيّر بين الجنون، أو الشر، أو الله، سيُشعر معظم الناس بأنهم مجبرون على اختيار الأخير. ومع ذلك، هناك بديل آخر على الأقل. ربما أُسيء فهم يسوع جزئيًا أو حتى كليًا من قبل بعض أولئك الذين، بعد سنوات عديدة من الحدث ، أخذوا على عاتقهم تفسيره . أطروحتي هي أن هذا ما حدث بالفعل. ولهذا السبب، إذا أردنا اكتشاف جذور الإيمان من جديد، فيجب أن نطرح بعض الأسئلة الأساسية للغاية . ماذا نعرف عن يسوع؟ ما هي رسالته؟ ما الذي كان يؤمن به عن نفسه؟ ما هي أهميته بالنسبة لنا اليوم؟ يجب أن ننقل الآن إلى هذه القضايا .

1. انظر كتاب هاربور " الجنة والجحيم " (تورنتو: مطبعة جامعة أكسفورد ، ١٩٨٣) ، ص ١٠-١١ .  
(يُشار إليه فيما بعد باسم "الجنة والجحيم" ) .
2. انظر ريجينالد بيبلي، " انتشار القديسين " ، مجلة الدراسة العلمية للدين ، سبتمبر 1973 ؛ وتقريره المحدث " إعادة النظر في انتشار القديسين " ، المصدر نفسه ، سبتمبر 1983 .
3. هذه العقيدة ، الشائعة الاستخدام اليوم في الكنيسة الأنجليكانية وغيرها من الكنائس، وُجدت لأول مرة حوالي عام ٣٩٠ ميلادي. ومن المؤكد أنها ليست ذات أصل رسولي . انظر: ف. ل. كروس وإ. أ. ليفينغستون، محرران، قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية، الطبعة الثانية (أكسفورد : مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٧٤ [ أعيد طبعها عام ١٩٧٧ ] )، ص ٧٥ .
4. انظر الجنة والنار ، 19 .
5. دون كوبيت، " المسيح في المسيحية " ، في جون هيك، محرر، أسطورة الله المتجسد (لندن: مطبعة إس سي إم، 1977 ) ، 140-141 .
6. انظر " خلقيدونية، تعريف"، في قاموس الكنيسة المسيحية، 263.
7. مقتبس من Luther ، HG Haile (نيويورك : Doubleday، 1980) ، ص 287 وما يليها.
8. في القرن الرابع، قال يوحنا الذهبي الفم، الواعظ العظيم في القسطنطينية، في عظة: "إن الكنيس مكان للدعارة... وكر للصوم ومخبأ للحيوانات البرية " . انظر القس فيكتور شيبارد، " بذور المحرقة في المسيحية " ، مجلة الكنائس المتحدة. United Church Observer ، يونيو 1985 ، 43 وما يليها ، (كليفلاند: مطبعة جامعة ولاية واين، 1982)، في كل مكان.
9. القس ديفيد لوكهيد، خطابه إلى مشاورة ناراماتا بين الأديان، يونيو 1983.
10. للاطلاع على حركة "الولادة الجديدة" في كندا والولايات المتحدة ، انظر كتاب جوديث هايفن، "الإيمان والأمل - لا صدقة" (فانكوفر : دار نشر نيو ستار ، ١٩٨٤). تُوثق هايفن عدم تسامح الأصوليين تجاه الآخرين. وراء الود الأولي هناك حاجز صلب كالفولاذ أمام أولئك الذين لا يتفقون مع تفكيرهم وعقلية "نحن ضدهم"... إنهم محاربون مقدسون محاصرون في معركة مميتة " (ص 16).
11. في الرسالة الرعوية للكاردينال جي. إيميت كارتر بتاريخ 8 ديسمبر 1983 (التي نشرتها أبرشية تورنتو)، يزعم أن تقييد الكهنوت بالذكور متجذر في عقيدة الثالوث: " إن التمايز النوعي بين الرجال والنساء مقدس وليتورجي. وهو جزء لا يتجزأ من الخلق الصالح، والعهد ، والعبادة التي تتكون بها الكنيسة كجسد وعروس المسيح . هذا التمايز الجنسي النوعي متجذر ليس في علم وظائف الأعضاء ولكن في

الصورة البشرية المخلوقة للثالوث في المسيح ، كما تشهد تجسده " (ص 41). إن لغة هذه الوثيقة معقدة للغاية - على سبيل المثال، " إن تطبيق الرمزية الجنسية، والأسرار الجنسية، على فهم الأوامر الكهنوتية هو أمر جوهري للأسرار " (ص 52) - ومليئة بالمصطلحات اللاهوتية التي وجدها حتى كهنة الأبرشية صعبة، ولكنها تستحق القراءة لأي شخص يحتاج إلى مزيد من الأدلة على أن ذكورة المسيح قد شكلت بعمق التفكير الثالوثي

12. الجنة والجحيم، 137 وما بعدها.

## الغريب الذي من الجليل

أي شخص جاد يحاول اكتشاف يسوع من جديد لديه عقبة هائلة يجب أن يتغلب عليها. وسواء كنت تذهب إلى الكنيسة أم لا، فهذا لا يُحدث فرقاً يُذكر . إن معظمنا مُثقل ببساطة بالأمثلة المتراكمة من أنصاف الحقائق والتشوهات والأكاذيب الواضحة، وإن كانت حسنة النية، التي استقينها من أيام مدرسة الأحد والخطب ونصوص الكتاب المقدس التي لم نتذكرها جيداً ، بالإضافة إلى الروايات والمسرحيات والأفلام والصحف. وعلى طول الطريق، أصبحت العقيدة التقليدية عن يسوع جزءاً من تفكير كل فرد في المجتمع الغربي - حتى أولئك الذين ليس لديهم إيمان حيوي على الإطلاق . علينا بطريقة ما أن نحاول التخلص من كل ذلك، مؤقتاً على الأقل ، وأن نقرر الوصول إلى مصادرنا الحقيقية الوحيدة - الأناجيل الأربعة - بعقول مفتوحة قدر الإمكان. لا يمكن لأحد أن يتخلص من جميع أفكاره المسبقة حول مثل هذا الموضوع المعقد، هذا صحيح. ولكن إذا أردنا أن نلتقط رؤية جديدة ، رؤية ذات صلة بنا اليوم ، فعلينا أن نبذل الجهد .

عند قراءة العهد الجديد لنكتشف بأنفسنا ما يمكن معرفته عن يسوع، يجب علينا أولاً أن نندش من الفجوات الهائلة في المعلومات المتاحة. فيسوع على الرغم مما يبدو أن بعض الوعاظ المشهورين يلحون إليه، إلا أنه لا يزال من نواح عديدة غريباً تماماً. لا نعرف تاريخ ميلاده الدقيق ولا عمره الدقيق في ساعة خيانتة وصلبه. لا نعرف شكله ، سواء كان لديه لحية أو لون شعره أو عينيه. يعتقد المعجبون بكفن تورينو أنهم يحملون في ذلك الوجه الغريب المطبوع الإجابة النهائية على مظهر يسوع ، وقد رسم بعض الفنانين منه ما يدعون أنه صورة حقيقية . لسوء الحظ ، فإن عددًا من الخبراء مقتنعون الآن بأن الكفن هو تزوير تقيّ - يقول علماء الطب الشرعي في شيكاغو المتخصصون في الاحتيال الفني إنهم وجدوا آثاراً للصبغة على الكتان. حتى يسمح الفاتيكان (الذي امتنع بحكمة عن إعلان الكفن كأثر أصيل ليسوع) بإجراء اختبار الكربون 14 الكامل ، فلن يكون لدينا أي سبب لتأريخه قبل تاريخ القرن الرابع عشر ، وهو تاريخ أول ذكر له في أي مصدر تاريخي. وحتى لو أظهرت الأبحاث أنه يعود إلى القرن الأول الميلادي، فإن هذا لا يثبت أنه كفن يسوع نفسه، إذ صلب الرومان آلاف اليهود خلال تلك الفترة .

أما بالنسبة لسنوات تكوين يسوع المبكرة ، فباستثناء حادثة صعوده إلى اورشليم مع والديه في سن الثانية عشرة ، والتي ورد ذكرها فقط في إنجيل لوقا (2: 41 وما يليه) - عندما وجده يوسف ومريم في الهيكل يستمع إلى الكتبة ويطرح عليهم الأسئلة، فإننا لا نعرف شيئاً على الإطلاق. لا نعلم ما إذا كان قد تلقى أي تعليم رسمي، أو ما كان يعمل فيه، أو بمن رافق . كل الاهتمام منصب على خدمته ، ووفاته ، وقيامته، وهي فترة زمنية تتراوح بين سنة ونصف وثلاث سنوات، حسب كيفية إعادة بناء التسلسل الزمني. وبالتالي، من

المستحيل تأليف سيرة ذاتية ليسوع بالمعنى الحديث للكلمة. لم يكن كُتَّاب الأناجيل مؤرخين أو كُتَّاب سيرة في المقام الأول - بل كانوا يندرون بالبشارة ويكتبون من إيمان إلى إيمان. من الواضح إذن أننا بحاجة إلى الحذر من أولئك الذين يستعرضون نفسية يسوع المزعومة أو يجروون على إخبارنا بدقة عن جميع دوافعه ونواياه. المواد التفصيلية التي تستند إليها مثل هذه التصريحات غير موجودة.<sup>1</sup>

## ما نعرفه بالفعل

إذا وضعنا جانباً مسألة طريقة تأليف الأناجيل ومصادقيتها العامة جانباً للحظة، يمكننا الجزم بما يلي: وُلد يسوع<sup>2</sup> يهودياً في بيت لحم، على بُعد حوالي ستة أميال جنوب القدس، ونُقل في سن مبكرة إلى الناصرة، وهي بلدة صغيرة تقع على تلة في الجليل، على بُعد حوالي مائة ميل شمال المدينة المقدسة. وبعد حوالي ثلاثين عاماً، عمده يوحنا في نهر الأردن. وبعد فترة قضاها في التأمل في البرية، بدأ يبشر ويشفي المرضى، ويطرد "الشياطين" من كثيرين. واختار اثني عشر رجلاً - يُذكرون بأسباط إسرائيل الاثني عشر القديمة - ليكونوا تلاميذه، وكلفهم بالتبشير بالبشارة والشفاء أيضاً. وكان الفقراء والمرضى والمنبوذون والمضطهدون والخطاة هم أهم اهتماماته. كان يُعَلِّم بالكلام والفعل، وكان حديثه بسيطاً مُتَجَدِّراً في واقع الحياة اليومية الملموس، وكان مولعاً بالأمثال والرسوم التوضيحية الواقعية القائمة على الضروريات المشتركة: الخميرة، والملح، والماء، والنور.

في البداية، قوبلت خدمته، التي كانت محصورة فعلياً في اليهود والأراضي اليهودية، بحماس عام. ويعتقد بعض العلماء أنه لبعض الوقت كان يُنظر إلى الفريسيين أيضاً على أنهم أصدقاء. ولكن سرعان ما بدأت سحب المعارضة العاصفة في التجمع. وظل يسوع لفترة من الوقت ينتقل من مخبأ ريفي إلى آخر مع تزايد انتقادات المؤسسة الدينية. وأخيراً، مدرِّكاً أن لحظة المواجهة النهائية قد حانت، ذهب إلى القدس عشية عيد الفصح. وبعد أن خيب آمال الحشود التي استقبلته بالهتافات، على أمل أن يدخل المدينة المقدسة ويعلن نفسه المسيح السياسي الذي سيحرر شعب الله من نير روما، تناول وجبة وداع خاصة مع أتباعه. ثم، عندما خطت القوى الدينية والسياسية للتخلص من هذا المغرور المزعج، خانته يهودا، أحد الاثني عشر، بإخبار السلطات بالمكان الذي يمكنهم أسره فيه دون إثارة الغوغاء.

ربما كان يهودا عضواً سراً في جماعة الغيورين (الحزب اليهودي المتمرد على الحكم الروماني)، والذين، بعد أن رأوا قدرات يسوع المعجزية، شعروا أن سيده قادر، بل سيفعل، على كشف نواياه واللجوء إلى العنف السماوي (جحافل الملائكة؟) لتأسيس المملكة المسيحانية. لذا، فإن إلقاء القبض عليه في البستان كان بمثابة حافز لدفع يسوع إلى التحرك. كل هذا، بالطبع، مجرد تكهنات. حتى كُتَّاب الأناجيل يبدو أنهم غير متأكدين من دوافع يهودا. (الآية في يوحنا ١٢: ٦ التي تُصرِّح بأنه كان لصاً - أي أنه كان أمين صندوق الجماعة - لا تدعمها الأناجيل الثلاثة الأولى، ويبدو أنها تمثل محاولة لاحقة لتشويه سمعته.)

على أي حال، أُلقي القبض على يسوع، وجُلد، وسُخر منه، وفي النهاية عُلق على الصليب حيث مات. ورغم أن السلطات الدينية اتهمته بالتجديف، إلا أن الرومان أعدموه، على الأرجح بتهمة الخيانة، بحجة أنه بصفته "ملك اليهود" يُمثل تهديداً للنظام العام. والجدير بالذكر أنه عندما سأل بيلاطس يسوع عما إذا كان يعتقد أنه ملك أم لا، فإن يسوع تهرب من السؤال قائلاً: "أنت تقول إنني ملك"، أي: "هذا كلامك وليس كلامي" (يوحنا 18: 37).<sup>3</sup>

أخيرًا، على الرغم من أن التلميذات قد شاهدن يسوع يموت - فقد تخطى عنه الآخرون جميعًا وهربوا لإنقاذ حياتهم - إلا أنه في اليوم الثالث، جاءت بعض هؤلاء النساء أنفسهن راكضات لإخبار بطرس والآخرين بأنهن رأين يسوع حيًا مرة أخرى . وسرعان ما اقتنعت الفرقة بأكملها بأنهم قد التقوا أيضًا بالقائم من بين الأموات، وبدأوا يعلنون الخبر بجرأة في الشوارع. فبينما كانوا خائفين ومنهزمين في السابق، أصبحوا الآن مستعدين للمخاطرة بحياتهم من أجله. لم يُطلق عليهن اسم مسيحيات بعد - بل كن يُعتبرن طائفة يهودية متعصبة - ولكن الحركة التي ستُعرف لاحقًا بالمسيحية قد بدأت<sup>4</sup>.

1. تتفق دراسات العهد الجديد اليوم على أن يسوع الناصري قد تعمد على يد يوحنا المعمدان ، وأن يسوع، ك معلم ومعالج، اجتذب التلاميذ ، وأنه أُعدم صلبًا . وقد جعلت الأبحاث الكتابية أي شيء آخر موضع شك تاريخي. " (الأستاذ. فان هارفي رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة ستانفورد ، نقلًا عن صحيفة تورنتو ستار، 18 مايو 1985).

2. الاسم مشتق من يشوع ( يشوع ) ويعني "المخلص" .

3. ما لم يُذكر خلاف ذلك ، فإن الترجمات الكتابية هي ترجمتي الخاصة .

4. يخبرنا سفر أعمال الرسل أنهم أطلقوا عليهم أولاً اسم "كريستيانوي" - الأشخاص الذين يتبعون المسيح - في مدينة أنطاكية .

## الرسالة

### على الرغم من كل المظاهر، الله هو المسيطر

إن محاولة قراءة الأناجيل دون قيود الحكمة التقليدية أو عقائد الماضي تؤدي إلى استنتاجات مذهلة. ويتجلى هذا جلياً عندما نطرح السؤال المحوري: ما هي رسالة يسوع؟ لا تزال الكنائس المختلفة تؤمن بأن رسالته تخصه شخصياً. ها هم، كما يقولون، الله المتجسد، الشخص الثاني من الثالوث الأقدس، يتجول في الأرض المقدسة مع مجموعة من الصيادين السابقين، معلناً نفسه الطريق الوحيد للخلاص. إنه نفسه محتوى رسالته؛ أو بالأحرى، هو الرسالة نفسها.

لكن، كما أدركت، عندما استطعت قراءة العهد الجديد بجدية، وقبل أن أقرأ كلمة واحدة من النقد العلمي الحديث، لم يكن هذا ما تقوله الأناجيل إطلاقاً. إذا بدأت بإنجيل القديس مرقس - أقدم الأناجيل الأربعة، والذي كُتب حوالي عام ٦٤ ميلادياً، أي بعد حوالي ثلاثين عاماً من صلبه<sup>1</sup> - فستجد أن يسوع جاء يبشر بـ"بشارة الله" قائلاً: "لقد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا [غيروا قلوبكم] وآمنوا بالإنجيل" (١: ١٤-١٥).

يختلف إنجيل يوحنا اختلافاً كبيراً عن الأناجيل الثلاثة الأولى من حيث الأسلوب والمحتوى، ولذلك سيتم تناوله لاحقاً. ولكن إذا نظرنا إلى شهادة مرقس ومتى ولوقا مجتمعة<sup>2</sup>، يتضح أن يسوع جاء ليعلن ما يُترجم إلى ملكوت الله أو السماء، فالاثنتان مترادفان. لم تكن رسالته تتعلق في المقام الأول بنفسه، بل بالله الذي دعاه أباً. هذه الرسالة تُعتبر إنجيلاً (باليونانية: euangelion) أو بشارة، لأنها تؤكد بشكل مُذهل أن الله، على الرغم من كل المظاهر التي تُشير إلى عكس ذلك، مُسيطر على شؤون البشر. ورغم أنه يبدو أن الشر أو الشيطان يحكم العالم وإمبراطورياته - وإلا فكيف يُمكن تفسير التاريخ المأساوي لشعب يسوع، وهم اليهود، وهزيمتهم المستمرة على يد أعدائهم السابقين، وظلمهم الحالي تحت وطأة روما؟ - العكس تماماً هو الصحيح. الله ملكوت، أي أنه هو صاحب السيادة المطلقة. يقول يسوع إن هذه الحقيقة الخفية قد اقتربت، ويمكن أن يختبرها حتى أكثر الناس تواضعاً أو رفضاً. وسيُكشف عنها قريباً بكل عظمتها ومجدها.

لأن ملكوت الله حقيقة روحية (مع أنه يتجلى في أفعال ملموسة، ويجب ألا يُضفى عليه طابع روحي بحيث يقتصر على مجال آخر، بعيداً عن نطاق الحياة البشرية)، فهو في جوهره لغز، أو يتجاوز مجرد الوصف الحرفي. ولذلك، استخدم يسوع سلسلة غنية من الاستعارات والتشبيهات والأمثال والقصص الرمزية لتعليمه. أسلوبه الأكثر تميزاً في التواصل هو القياس: "ملكوت الله يشبه...". عند قراءة الأناجيل، يتضح سريعاً أن فكرة التحدث عن الله حرفياً أو واقعياً، على غرار العديد من المبشرين والوعاظ اليوم، كانت غريبة تماماً على يسوع. لقد كان يعلم، أكثر من أي شخص آخر، أن كل لغة تتحدث عن الحقيقة المطلقة التي دعاها أباً يجب أن تكون رمزية بالضرورة. ولهذا السبب، لم تكن وسائله الرئيسية لنشر الرسالة التي شعر بدعوته الفريدة لتقديمها هي العقائد أو التأكيدات العقائدية، بل قصصاً متجذرة في التجارب اليومية. كان من الممكن تجنب معظم الأخطاء الفادحة التي ارتُكبت باسمه لاحقاً لو أن أتباعه استقوا هذه المعلومة

من معلمهم. إن الإصرار على الحرفية الفجة والأرثوذكسية العقائدية، حيث لا سبيل إلى ذلك، هو ما قسم الكنيسة المسيحية إلى هذا العدد الكبير من الطوائف والمذاهب، وهو ما جعلها في كثير من الأحيان نصيرة متحمسة لمبادئ وقضايا لم يكن ليسوع أن يتغاضى عنها قط.

إن أمثال الملكوت تقضي إلى ما أوضحتها قصص تجربته في البرية (مرقس ١: ١٢، مُوسَع في متى ٤ : ١٢-١٧ ولوقا ٤: ١-١٣). بتأمله في دعوته وخدمته، يرفض يسوع استخدام الإعانات المعجزية للفقراء - تحويل الحجارة إلى خبز - وإغواء السلطة السياسية الدنيوية، مع ما يترتب على ذلك من خطر العنف لا محالة. لقد جاء ليطلق شرارة ثورة اجتماعية، وإقامة ملكوت الله على الأرض إقامة مجتمع قائم على الحق والصالح للبشرية جمعاء . وهو مقتنع بأن هذا لا يتحقق إلا بالوسائل السلمية، بثورة في القلب والإرادة. بداياته صغيرة ومتواضعة - كحبة خردل، أو خميرة مخبأة في عجينة. لكنه في النهاية سينمو وينتشر حتى يملأ العالم أجمع . علينا أن نسعى إليه فوق كل اعتبار، كلؤلؤة ثمينة ؛ ندخله بثقة بسيطة، كطفل صغير. هذه المملكة مبنية على السلام - ليس سلام ملاذ تقوي "أمن بين أحضان يسوع " من هذا العالم، بل ذلك النوع الذي تُشير إليه الكلمة العبرية " شالوم": سلام اجتماعي قوامه العدالة للجميع، وخاصةً من هم في أسفل الهرم. هذه المملكة مستلهمة من الله الحي ، لكنها راسخة الجذور في هذا العالم. مجيء الملكوت هو تحقيق مشيئة الله "كما في السماء كذلك على الأرض". من الجدير بالملاحظة أن من يدخلون الملكوت، وفقاً ليسوع ، ليسوا من يتدينون ظاهرياً ومتباهين. فهو يخصص أفسى إيدانته للكتابة والفريسيين والصدوقيين - رجال الدين المحترفين في ذلك الوقت. أما العاهرات وجباة الضرائب ، وجميع أنواع "الخطاة" الآخرين، فيقبلون أولاً لإدراكهم العميق لحاجتهم، وحرصهم على نيل عطية الله المتمثلة في البر - أي الصلة به، وبأنفسهم، وبإخوانهم، وعدم توهمهم بمزاياهم أو مكائنتهم. بصفته طبيبياً، جاء يسوع لشفاء من يدركون مرضهم . أما العشار الذي يقف في الهيكل مطأطئ الرأس، يصلي قائلاً: " اللهم ارحمني أنا الخاطيء"، فله بر الملكوت؛ أما الفريسي ، المفتخر بتدينه ، فيُرفض

## للإنقاذ من الخوف

تقول التعاليم المسيحية التقليدية إن مهمة يسوع كانت إنقاذنا من خطايانا - "رفع خطايا العالم". ولكن إذا قرأت الأناجيل بعقل منفتح ، فستكتشف أن هذا الادعاء الأرثوذكسي غير مؤكد . كان إعلانه للبشارة عن الملكوت مصحوباً بدعوة للتوبة ، أي إجراء تغيير جذري في القلب والعقل والإرادة . نعم، هذا يعني أن هناك خطأ جوهرياً فينا كبشر. نحتاج إلى طبيب؛ نحتاج إلى خلاص - أي شفاء أو سلامة . ولكن مع استمرارنا في القراءة، نرى أن المشكلة لا تكمن في الخطيئة عموماً ولا في خطايا محددة . موقف يسوع من الخطيئة هو أن لها علاجاً - يمكن غفرانها، بل تُغفر بالفعل. وكما قال جون ماكموري ذات مرة: "ربما يكون هذا أكثر تعاليمه ثورية. فهو يقترح التعامل مع الخطيئة بمغفرتها، بدلاً من معاقبتها"<sup>3</sup>. لقد علمنا أن لنا أيضاً الحق في غفران الخطايا، وأنه لا ينبغي أن تكون هناك حدود لاستخدامنا لهذا الحق. إذا دققنا النظر، نجد أن يسوع لم يكن يعترض على خطايا التلاميذ، بل على نقص إيمانهم . يُقال إنه يوبخهم باستمرار على خوفهم وقلقهم: "كيف لا إيمان لكم؟" " لماذا أنتم خائفون هكذا؟" ويحثهم مراراً وتكراراً على التحلي بالشجاعة والثقة والثقة (انظر، على سبيل المثال، متى 8: 26 ، مرقس 4: 40، لوقا 12: 32 ) . إن ما يُلفت الانتباه حقاً في استخدام يسوع المتكرر للإيمان والخوف هو أن كلمة "إيمان" في معظمها لا تحمل

غرضًا محددًا - فلا وجود للإيمان في العقائد أو المبادئ أو غيرها من الحقائق الافتراضية . يستخدم "الإيمان" أو "الثقة" بمعنى عام لوصف منظور عاطفي وذهني أساسي. وبالمثل، فإن الخوف الذي يتحدث عنه يسوع ليس له غرض محدد. يرى أن المشكلة أو المرض البشري المحوري هو حالة ذهنية يسودها الخوف وعدم الثقة - موقف ونهج قلق ودفاعي تجاه الحياة نفسها. عندما نشعر بالخوف ، نتصرف كالخادم في المثل الذي قال : "كنت خائفًا، فأخفيت المال في الأرض " ؛ فقد طُرح مجازيًا في " الظلام الخارجي ". هذا الخوف نفسه، المُسقط على نطاق عالمي، هو ما أوصلنا اليوم إلى الكابوس النووي . يؤدي الخوف إلى هوس "بالأمن"، وبالتالي إلى انعدام أمن متزايد للجميع . كان يسوع يعلم أن الحياة في نهاية المطاف تتلخص في العلاقات الشخصية والمجتمع والصدقة ( انظر يوحنا ١٥ : ١٢-١٥ ). لكن هذه العلاقات تعتمد على الثقة ، وألد أعدائها هو الخوف. يُطور ماكموري هذا الموضوع: يقول إن الخوف "يميل إلى خلق ما نخشاه. أي علاقة حميمة مع شخص آخر تعتمد على الثقة المتبادلة. إذا خشيت فقدان العلاقة ، فقد قلت من الثقة بالفعل . إذا اتخذت موقفًا دفاعيًا خوفًا من فقدان صديقي؛ إذا فعلت شيئًا لمنع ما أخشاه، فسأسم العلاقة وأجعل فقدانها أكثر احتمالية"<sup>4</sup>. يميل الأشخاص الخائفون إلى الانسحاب من الحياة، ومن الآخرين ، ومن أنفسهم. تصبح حياتهم متكلفة، تفتقر إلى العفوية أو الطاقة . يصبحون أقل من أنفسهم، أقل مما كان من المفترض أن يكونوا عليه دائمًا. على النقيض من ذلك، عندما نبدأ في الثقة ، والاسترخاء في معرفة أن هذا هو عالم الله وفي يديه - أي عندما ندخل إلى الملكوت - تبدأ الحياة في التدفق. لم نعد نبحث عن الخطر ولكننا منفتحون، ومتقبلون للآخرين ، وغير مقيدين. لقد ذهب القيد وبدأت الحياة، بدلاً من التهديد ، في التألق بالفرصة. كما قال يسوع، بوضوح: "تجري من أعماق الإنسان أنهار ماء حي" (يوحنا 7 : 38). وهكذا، يمكننا تعريف نية يسوع أو رسالته بأنها تحرير الناس من خوفهم وإعادة إرساء الإيمان والثقة اللذين يسمحان للحياة بالتدفق. ولكن إذا اتفقنا على هذا التشخيص للمشكلة الإنسانية المركزية (الذي أكدته في عصرنا محللون نفسيون مثل كارل يونغ)، فإن السؤال هو: كيف يُمكن علاجها؟ لا يكفي مجرد إخبار الناس ألا يخافوا ، أو حثهم على التحلي بالصبر . لا شك أن شعور يسوع بالثقة في الحياة نابع من إحساسه العميق بحضور الله وقدرته أو ملكوته على كل شيء. لذا، فإن أمره بالإيمان، بمعنى عميق، يستند لاهوتيًا إلى رؤية الله التي آمن بها والتي كشفت عنها في حياته وتعليمه .

لكن هناك المزيد . إذا كانت وصيته الأولى هي الإيمان، فإن وصيته الثانية كانت "أن نحب بعضنا بعضًا". في الواقع، المحبة هي ترياق يسوع للخوف؛ فقد التزم بما أسماه هنري دراموند " القوة الطاردة لعاطفة جديدة"<sup>5</sup>. يطلب من أتباعه أن يحبوا بعضهم بعضًا "كما أحببتكم". وفي وقت لاحق من العهد الجديد، نتعلم أن "المحبة الكاملة تطرد الخوف" (يوحنا الأولى 4 : 18). من يملك محبة كاملة؟ لا أحد منا يجروء على ادعاء ذلك. لكن التلاميذ رأوا تلك المحبة فاعلة في حياة يسوع، وخاصةً في طريقة موته . وعلى مر العصور، احتفظت بقدرتها الشافية. إن المحبة الكاملة والغفران اللذين أظهرهما يسوع يمنحاننا لمحة عن جوهر وجودنا ، وإدراك هذه الحقيقة يوقظ فينا رد فعل محبة : " نحن نحبه لأنه أحبنا أولاً " (يوحنا الأولى 4 : 19). إنها هذه المحبة التي لا تطرد الخوف فحسب ، بل تنشر قوة المصالحة في المجتمع بأسره. إنه يحب قريبه كما يحب نفسه. أي كنيسة مبنية على هذه المبادئ ، في النهاية، لا يجب أن توجد لنفسها أو لأعضائها ، بل للعالم .

١. هناك العديد من الأسباب التقنية للاعتقاد بأن إنجيل مرقس هو أول إنجيل. سأتناول هنا الأساسيات فقط. وكما هو الحال في أقدم الوعظات المسجلة في أعمال الرسل ١ : ٢٢ وما بعدها ، لا يتضمن إنجيل مرقس أي قصة ميلاد ، ولا بعض الأمثال، ولا عظة الجبل (متى) أو عظة السهل (لوقا). بمعنى آخر، يشير نطاقه المحدود إلى أنه مادة بدائية. كما أن حقيقة أن مرقس يسجل بعض التفاصيل (ربما المحرجة) التي إما خففها متى ولوقا أو أغفلها تمامًا؛ انظر، على سبيل المثال، إشارات مرقس المتكررة إلى عدم قدرة التلاميذ على فهم ما كان يحدث (4: 13 ، 6: 52 ، 8: 17 وما يليها ، 9: 10 ، 32 ، 34 ، إلخ) وتصريحه في 3: 21 (تم حذفه من قبل الاثنتين الآخرين) بأن أقارب يسوع جاءوا ذات مرة ليأخذوه بيده بالقوة لأنهم قالوا ، " إنه خارج عن نفسه"، أي مجنون أو مختل عقلياً . كما تقدم اللغة في مرقس دليلاً على الأصول الآرامية (كانت الآرامية هي لغة فلسطين في زمن يسوع)، مما يشير إلى مصدر أو مصادر فلسطينية مبكرة. بابيلاس، أسقف هيروبوليس في آسيا الصغرى حوالي 125 م ، يسجل التقليد أن مرقس مدين بمعظم ما كتبه للرسول بطرس : " لما أصبح مرقس مترجماً لبطرس، كتب بدقة كل ما تذكره ، دون أن يسجل بالترتيب ما قاله المسيح أو فعله . لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه؛ ولكن بعد ذلك ... حضر بطرس الذي كيف تعليماته مع احتياجات سامعيه ولكن لم يكن لديه نية لإعطاء سرد مترابط لأقوال الرب" (مقتبس في AS Peake ، تعليق على الكتاب المقدس ، الطبعة الثانية مع الملحق [لندن: نيلسون ، 1937] ، 681؛ التشديد من عندي . )

بابيلاس، الذي يُبالغ في احتجازه على دقة مرقس، يُخبرنا بالكثير هنا . فبالإضافة إلى قوله إن مرقس لم يعرف يسوع شخصياً، يُقر بما يجب على أي قارئ أن يلاحظه - أن مرقس يفترق تقريباً إلى التسلسل الزمني، بل سلسلة من الحكايات المترابطة بشكل فضفاض بعبارات مثل "في الحال" أو "وحدث ذلك". بل أكثر من ذلك، يقول إن بطرس كيف وعظه واستخدامه لأقوال يسوع وأفعاله مع احتياجات سامعيه؛ بمعنى آخر، ما يُقدمه لنا مرقس هو ببساطة ما يتذكره من مواد أعاد بطرس صياغتها. لو ترجمنا هذه الرواية إلى اليونانية ثم إلى الإنجليزية، لوجدنا أنفسنا على بُعد ثلاث أو أربع مراحل على الأقل من الحقائق ( تذكر أن يسوع نفسه كان سيتحدث الآرامية) .

2. يمكن لأي شخص يرغب في استكشاف ما يُعرف بالمشكلة الإزائية بالتفصيل - العلاقات بين الأناجيل الثلاثة الأولى - الرجوع إلى القراءات أدناه . باختصار ، تجدر الإشارة إلى أن العلماء متفقون إلى حد ما في وجهة نظرهم على أن كلاً من متى ولوقا كان لديهما رواية مرقس أمامهما أثناء كتابتهما وأنهما استخدمتا فيما بينهما معظم مادة مرقس. بالإضافة إلى ذلك، استخدم كلاهما مصدرًا مكتوبًا مشتركًا يتكون من أقوال يسوع؛ ويشار إلى هذا عادةً باسم "Q" (من الكلمة الألمانية Quelle ، المصدر) . إلى جانب " Q " ، يُفترض أن كلاً من متى ولوقا لديهما مصدرهما الخاصة، حيث يتضمن كل منهما بعض المواد التي لا يربها الآخر - على سبيل المثال ، الاختلافات في رواياتهما عن القيامة. هذان المصدران معروفان تقنيًا باسم "م" و"ل". وبالتالي فإن إنجيل متى يتكون من إنجيل مرقس ( المعدل) بالإضافة إلى إنجيل " Q " بالإضافة إلى إنجيل "م"؛ أما إنجيل لوقا فيتكون من إنجيل مرقس بالإضافة إلى إنجيل " Q " بالإضافة إلى إنجيل "ل". إن الأصوليين الذين يصرون على أن كل كلمة في الكتاب المقدس هي كلمة الله الموحى بها حرفياً لا يعرفون ماذا يفعلون بحقيقة أن متى ولا لوقا نظروا إلى رواية مرقس بهذه الطريقة غير الواقعية . لقد استخدموا مادته، لكنهم لم يشعروا بأي تحريم على الإطلاق ضد تغيير أو حذف أي شيء إما أنهم لا يوافقون عليه أو لا يشعرون بالحاجة إليه .

3. انظر جون ماكموري، الإنقاذ من الخوف (لندن: دار الأصدقاء ، يوليو 1964)، 4. تم تقديم هذه الدراسة لأول مرة على شكل أربع محادثات على هيئة الإذاعة البريطانية، الصوم الكبير 1964 .
4. المرجع نفسه .
5. انظر هنري دروموند ، "أعظم شيء في العالم " (أولد تابان، نيوجيرسي: فليمنج هـ. ريفيل، ١٩٨١ [الطبعة الخامسة عشرة]). لعرض معاصر للفكرة نفسها، انظر جيرالد ج. جامبولسكي ، "الحب هو التخلي عن الخوف" (نيويورك : بانتام ، ١٩٨١) .

## أسطورة الميلاد العذراوي

في صيف عام ١٩٨٤، اندلع جدل لاهوتي حاد في بريطانيا حول تنصيب القس ديفيد جينكينز أسقفًا لدورهام ، رابع أهم مقعد أسقفي في كنيسة إنجلترا (بعد كانتربري ويورك ولندن). وخلال المراسم، تظاهر المتظاهرون خارج الكاتدرائية، وصرخ أحدهم بصوت عالٍ: "هذا تجديف على المسيح!" .

سبب الضجة هو شكوك جينكينز المعروفة في بعض النقاط الرئيسية للعقيدة الأرثوذكسية. وقد صرح أستاذ اللاهوت السابق بجامعة ليدز صراحةً بشكوكه حول ميلاد العذراء والمعجزات وقيامه يسوع، قائلاً إن هذه الأحداث ربما لم تحدث كما هو موصوف في الكتاب المقدس. وكشف استطلاع لاحق لأساقفة إنجلترا التسعة والثلاثين أنه لم يكن وحيداً. أفاد حوالي ثلثهم أنهم يشاركونه شكوكه . ووقع أكثر من اثني عشر ألفاً من الأنجليكانيين، معظمهم من الطرفين المتطرفين - حزب الكنيسة العليا والإنجيليين - على عريضة احتجاج ، لكن رئيس الأساقفة الذي ترأس حفل التكريس أخبرهم وأعضاء وسائل الإعلام أنه راضٍ تماماً عن إيمان جينكينز. كانت كاتدرائية يورك مينستر هي موقع الخدمة ، وعندما احترقت الكاتدرائية العظيمة بعد ذلك بوقت قصير ، كان هناك الكثير ممن قالوا إن الحريق كان علامة واضحة على استياء الله .

الحقيقة هي أن الأسقف ومن وافقوه لديهم أدلة دامغة إلى حد ما ، على الأقل فيما يتعلق بالميلاد العذراوي . لم يذكر الرسول العظيم القديس بولس هذه " المعجزة" في أي مكان ، ولا حتى أقدم الأناجيل، إنجيل مرقس؛ أما الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، فلا يتضمن أي سرد للميلاد على الإطلاق. تنتمي هذه القصة حصرياً إلى لوقا ومتى، وحتى إنجيلاهما لا يتفقان دائماً<sup>1</sup> في الواقع، كلما قرأت الإنجيلين المعنيين، أدركت أن أساطير الميلاد هي زخارف دينية على القصة الرئيسية. بعد أن آمنوا بيسوع، بعد أحداث القيامة ، بصفته الله المتجسد، كان لدى كُتّاب الأناجيل اندفاعٌ للبحث عن أسسٍ لمفهومٍ خارقٍ للطبيعة مناسب، وللعثور عليها، لجأوا إلى الكتاب المقدس الوحيد الذي كان لديهم : العهد القديم. نعلم من العظات الرسولية الواردة في سفر أعمال الرسل أن الاثني عشر قضوا وقتاً وجهداً كبيراً في قراءة العهد القديم وإعادة تفسيره.<sup>2</sup> وكانوا سريعين في تحديد الآيات والنبوءات التي يمكن تطبيقها على يسوع، حتى لو تطلب ذلك إخراجها من سياقاتها الأصلية، بل وتحريفها في بعض الحالات .

إشعياء ٧:١٤ مثال على ذلك. ففي سياق نبوءة للملك آحاز ، الذي يخشى تحالفاً بين سوريا وأفرايم ضده ، تقول الآية : "لذلك يُعطيكم الرب نفسه آية : ها هي فتاة تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل". اسم عمانوئيل يعني "الله معنا". تجدر الإشارة إلى أن الكنيسة الأولى، باعتبار هذه الآية إشارةً إلى يسوع، كما فعل متى (٢:٢٣)، لم تستخدم النص العبري الأصلي ، الذي يتحدث عن فتاة في سن الزواج ( 'almah )،

بل اعتمدت على الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية . في اليونانية، كانت الكلمة المستخدمة هي parthenos ، والتي قد تعني عذراء .

لا يتحدث إشعياء عن عذراء - التي وُجدت لها كلمة عبرية صحيحة تمامًا ( بثُولَة ) (bethulah)- بل عن شابة قد تكون متزوجة أو لا . ولذلك، فإن معظم الترجمات الحديثة تقول ببساطة "شابة". لا يوجد أي إشارة إلى ميلاد يسوع بعد أكثر من سبعمائة عام . يُظهر السياق بلا شك أن النبوءة ستتحقق - سيولد الطفل - في المستقبل القريب ، لأن هذه "العلامة " مقصودة كاستجابة لحالة طارئة مُلحة. يُوبَّخ عدم ثقة الملك بالرب باسم الطفل ، "الله معنا " . لا تُهم هوية الطفل أو الأم بدقة بالنسبة للنبي؛ المهم هو الاسم نفسه وكيف يُعبر عن إيمان الأم. ومع ذلك، فإن الآية ، بعد انتزاعها من سياقها ، وترجمتها بشكل خاطئ ، ووضعها في رواية متى لميلاد يسوع ، لعبت دورًا رئيسيًا في تكوين الأسطورة .

للحصول على تحليل كامل للطبيعة الأسطورية لدورة قصص الطفولة الكاملة في لوقا ومتى، أحيل القراء إلى أحدث وأشمل تعليق على إنجيل متى بقلم الراحل القس ف. و. بير Rev. F. W. Beare، الأستاذ الفخري في كلية ترينيتي، تورنتو ، والذي أقتبس منه ما يلي: "إن روايات متى عن الطفولة هي تنويعات على مواضيع قديمة من الأساطير والخرافات التي تتكرر على نطاق واسع في الشرقيين الأدنى والأوسط. إن اكتشاف الطفل، ونجاته المعجزة من الأعداء الذين يهددون حياته - هذه هي العناصر الأساسية للقصص في حد ذاتها؛ ويتقاطع معها الانشغال اللاهوتي للإنجيلي - وتحقيق النبوءة، ورفض حكام إسرائيل للمخلص ، واعتراف الغرباء بعهود الوعد به ، وبشارة الأمم الذين سيُجمعون في الكنيسة التي سنُقام... لا جدوى من مناقشة تاريخية هذه السلسلة من القصص؛ فمهما كانت أهميتها، فإنها لا تكمن في أي جوهر تاريخي محتمل قد يكون متضمنًا فيها ، بل في الهدف الذي تهدف إلى تحقيقه كما فهمها متى."<sup>3</sup>

فيما يتعلق بقصة النجم الغامض - التي كُتبت عنها مجلدات من التكهانات السخيفة من قِبل من غلبت سذاجتهم على الفطرة السليمة - يُشير بيير، مُحققًا، إلى أن مُدنبًا أو أي نوع من النجوم لن يُجدي نفعًا في إرشاد الناس من القدس إلى بيت لحم ، وهي مسافة تُقارب ستة أميال؛ ولن "يستقر" فوق منزل مُحدد. إن فكرة ظهور نجم جديد في السماء مُبشرًا بميلاد رجل عظيم ، كما يُشير بيير أيضًا ، تُعتبر سمة شبه روتينية في الأساطير الهلنستية في ذلك الوقت. كما أن موضوع التهديدات لحياة الطفل قديم جدًا. يُذكرنا بيير أنه في أسطورة أوزوريس العظيمة، تُهدد حياة الطفل حورس من قِبل ست. "وفي بابل، حُفظ الطفل سرجون بأعجوبة من هجمات أعدائه القاتلة . كل ما عليك فعله هو إعادة قراءة قصة الخروج لرؤية أوجه التشابه في حياة موسى. بالنسبة لمتى، يسوع هو موسى الثاني وأكثر من ذلك."<sup>4</sup>

من الجدير بالذكر أن أوريغانوس ( 185-254 )، أحد أوائل علماء المسيحية العظام، ردّ حوالي عام 250 ميلاديًا على الهجمات الموجهة ضد فكرة الميلاد العذراوي باستشهاده بأحداث مماثلة في قصص وثنية عن آلهة أو أشباه آلهة. في كتابه "ضد سيلسوم"، يقول بصراحة إنه عند التحدث إلى اليونانيين، من غير اللائق الاستشهاد بالأساطير اليونانية ، "لئلا يبدو أننا الأشخاص الوحيدون الذين رووا هذه القصة المذهلة . " ثم يواصل إخبارنا كيف أنه عندما ولد أفلاطون، مُنع أريستون من ممارسة الجنس مع والدته حتى أنجبت الطفل الذي أنجبته من الإله أبولو.<sup>5</sup> إن شجار أوريغانوس مع سيلسوس (الناقد الوثني للمسيحية الذي عاش قبل حوالي سبعين عامًا) يعطي دليلاً كافيًا على أنه في تلك الأيام يمكن أن يُطلق على أي شخص يُعتبر غير عادي بأي شكل من الأشكال اسم "إلهي" ويكون موضوعًا لقصص ليس فقط عن الولادة المعجزة، ولكن أيضًا عن معجزات الشفاء والتأليه ، وفي النهاية، الظهور بعد الموت.

بالنسبة لي، ومع ذلك، فإن ما يؤكد قناعة أن ولادة العذراء هي أسطورة محضة هو دليل الإنجيل على أن مريم نفسها لم يكن لديها أدنى فكرة عن هوية ابنها الحقيقية. إذا تركت قصص الطفولة جانباً ونظرت إلى بقية الأناجيل، فإن افتقار مريم للوعي أمر مدهش. لا تتجرب النساء أطفالاً دون جماع أو شكل من أشكال التلقيح الاصطناعي. لو كانت قد حملت بالفعل بأعجوبة لكانت قد عرفت ذلك وكانت ستمتلك على الأقل بعض البصيرة في طبيعة ابنها الفريدة المزعومة. لم تُظهر أي شيء. في الواقع، في مرحلة مبكرة من خدمة يسوع، جاءت مريم وبعض أقاربها المقربين لإلقاء القبض عليه وأخذته إلى المنزل لأنهم اعتقدوا أنه مجنون (مرقس 3: 21). "عندما سمعوا أنه كان هناك، جاء أفراد عائلته بهدف صريح لتولي رعايته. وقالوا إن سببهم هو أنه كان "خارجاً عن نفسه".<sup>6</sup> لا يمكن استخدام ترنيمة مريم العذراء والمقاطع الأخرى من الفصول الافتتاحية لإنجيل متى وإنجيل لوقا كدليل على أن مريم قد عرفت، لأن تاريخيتها نفسها هي موضع شك.

المعرفة الحديثة في التكاثر والوراثة تستبعد، بطبيعة الحال، الولادة من عذراء. نعلم أن تكوين شخص جديد يتطلب المادة الوراثية - بكل تاريخها - من أبوين. وتشتت العقيدة الأرثوذكسية ألا يحمل يسوع أي صفات وراثية طبيعية من أي أسلاف ذكور. في الواقع، لو حدث التوالد العذراوي (الولادة من عذراء)، لكان الناتج أنثى فقط، إذ لن يكون هناك كروموسوم Y في الحيوان المنوي الذكري.

إن قصة كيف تطورت عبادة مريم من أصولها الهشة إلى عبادة مريمية كاملة بحلول نهاية القرن الرابع هي دراسة رائعة في نمو الأسطورة.<sup>7</sup> بحلول وقت القديس أوغسطين (354-430 م) كانت الصلوات تُوجه إليها وكان يُعتقد على نطاق واسع أن ولادتها كانت معجزة؛ وأن رحمها لم يتغير بأي حال من الأحوال بالولادة (جادل أوغسطين أنه إذا كان بإمكان المسيح أن يمر عبر الأبواب المغلقة بعد قيامته، فلا يوجد سبب يمنعه من مغادرة رحمها دون انتهاكه بأي شكل من الأشكال)؛ وأنها ظلت بلا خطيئة إلى الأبد. ومع ذلك، كان لبعض العلماء آراء مختلفة في وقت سابق. على سبيل المثال، عارض ترتليان (حوالي 160-230) وإيريناوس وإكليمدس الإسكندري في عقيدتهما بأن ولادة مريم كانت خالية من المخاض البدني الطبيعي أو الأم الولادة. كما أصر أيضاً على أنها استمرت في ممارسة علاقات جنسية طبيعية مع يوسف بعد ولادة يسوع، على الرغم من أن أوريجانوس (الذي خصى نفسه لاحقاً للهروب من خطر الخطيئة الجنسية) جادل بأنها ظلت عذراء بعد الولادة وبقية حياتها؛ اعتبر الإشارة إلى "إخوة" يسوع في النص اليوناني للعهد الجديد إشارة إلى إخوة يوسف غير الأشقاء، وليس إلى مريم. كانت الجدليات حول مواضيع مثل براءة مريم من الخطيئة وكمالها الأخلاقي طويلة ومعقدة. على أي حال، بحلول منتصف القرن الخامس، عندما بلغت النقاشات حول مسألة تفسير ألوهية المسيح وإنسانيته ذروتها، بدأت مريم تُدعى والدة الإله. ويمكن الاستدلال على أن البعض كان يعاملها كإلهة من ملاحظة نسطور (توفي حوالي عام 451) بأنه لم يكن يمانع أن يُطلق الناس عليها لقب والدة الإله طالما أنهم لا يقدمون عبادة كاملة لها، "كما لو كانت إلهة"<sup>8</sup>.

إن لقب "ثيوتوكوس" (أم الله) في المسيحية الأرثوذكسية هو في نظري تجديف على الله القدير، وهو ما كان يسوع نفسه ليكرهه، كما كان أي يهودي متدين ليكرهه. في الواقع، ووفقاً للأناجيل، فإن معاملة يسوع لمريم، وإن كانت تتسم بالاحترام، إلا أنها كانت في بعض الأحيان لاذعة. على سبيل المثال، انظر قصة تحويل الماء إلى خمر (يوحنا ٢: ١ وما يليه) - عندما أخبرته مريم أن الخمر قد نفذ، أجاب يسوع: "ما لي ولك يا امرأة؟" - والمقاطع في الأناجيل الإزائية حيث قيل ليسوع إن أمه وإخوته في الخارج يسألونه، فأجاب بسؤاله: "من أمي وإخوتي؟"، يُضيف قائلاً إن عائلته الحقيقية هي كل من يعمل بمشيئة الله، الأب

السماوي. لا يوجد في النص أي دليل يُذكر على أن يسوع قد نسب أي نوع من المكانة الخاصة لأمه. صحيح أنه في إنجيل يوحنا يطلب من "التلميذ الحبيب" أن يأخذ مريم من على الصليب إلى بيته ويعاملها كأمه، لكن هذا لا يبدو أكثر مما يطلبه أي ابن عاقل.

هناك عوامل مهمة عديدة مؤثرة في عقيدة الميلاد العذراوي. فهناك محاولة من جانب الإنجيليين لتوفير أساس لاهوتي مناسب لإيمانهم بالطبيعة السامية ليسوع. وهناك أيضاً تحيز عميق ضد الجنس، وهو شعور بأن الجماع في حد ذاته شر (على الرغم من أن سفر التكوين يعلم بوضوح صلاح النظام المخلوق بأكمله). ويمكن رؤية هذا التحيز بشكل صارخ في الطريقة التي أشادت بها الكنائس - ولا سيما الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الرومانية - من ناحية بمريم كمثال لجميع النساء على العفة والأنوثة الطاهرة بينما جردتها من ناحية أخرى من كل أثر للجنس الأنثوي الحقيقي. في مثل هذا اللاهوت لا يوجد في الواقع سوى العذاري والزانيات، ولا مجال لأي شيء بينهما. في الوقت نفسه، كان تطور عبادة مريم، القائم على الإيمان الحرفي بالميلاد العذراوي، دليلاً على محاولة - لا شعورية أو حتى غير واعية - لتعويض نقص المبدأ الأنثوي في عقيدة الله. كما أشار المعالج النفسي العظيم كارل يونغ في نقده للمسيحية الأرثوذكسية، فإن عبادة مريم تُلبّي حاجة نفسية عميقة، لا سيما بين الكهنة العُزَّاب، إلى الجانب الأنثوي الذي أسماه "الأنثيما" (مع ذلك، اعتقد يونغ أن عقيدة الثالوث مُوجَّهة نحو الذكورة بشكل مفرط). ومع ذلك، فإن دعم أسطورة يُمكن أن تلعب دوراً إيجابياً في النفس لا يعني بالضرورة تجاهل أسسها غير التاريخية.<sup>9</sup>

- 
1. انظر الجنة والجحيم ، 20 .
  2. يعتقد بعض العلماء أن " خدمة الكلمة" (أعمال الرسل 6: 4) التي كرس الاثنا عشر أنفسهم لها تشير جزئياً إلى دراسة العهد القديم .
  3. ف. و. بير ، إنجيل متى ( نيويورك : هاربر ورو ، 1981 )، 72 .
  4. المرجع نفسه، ص75 .
  5. مثال استشهدت به فرانسيس يونج في كتابها " جذران أم كتلة متشابكة؟" في أسطورة الله المتجسد، ص 89
  6. انظر الجنة والجحيم ، 12 .
  7. انظر جيه إن دي كيللي، العقائد المسيحية المبكرة ، الطبعة المنقحة (نيويورك : هاربر ورو ، 1960)، ص 490 وما بعدها .
  8. المرجع نفسه ، ص 498 .
  9. انظر جون دورلي ، المرض الذي نحن عليه: نقد يونغ للمسيحية ( تورنتو : كتب المدينة الداخلية ، 1984 ) .

## إنسانية يسوع

بغض النظر عما قد يعتقده المرء بشأن يسوع، فمن الواضح من وثائق العهد الجديد ومن عقائد الكنيسة الأولى أنه كان إنساناً كاملاً. لقد عرف الجوع والعطش والتعب؛ وتحمل الألم والحزن وعذاب الشك؛ وشهد الولادة والموت. لا بد أن مظهره كان عادياً، لأنه في عدة مناسبات عندما كانت المشاكل تختمر كان قادراً ببساطة على فقدان نفسه وسط الحشود. لم تجد كنيسة القرون القليلة الأولى صعوبة في تسويق فكرة الله - في صورة بشرية - لجمهور غير يهودي: كان هذا النوع من الأساطير شائعاً في ذلك الوقت. تكمن الصعوبة الحقيقية في إقناع الناس بأن إنسانيته كانت حقيقية، وأن الله يمكن أن يعاني ويموت حقاً. تم التغلب على العقبة الفكرية بالنسبة للكثيرين في البدعة المعروفة باسم الدوسيتية، من الكلمة اليونانية *dokein*، والتي تعني الظهور. اتخذت الحجة خطأ مفاده أنه على الرغم من أن يسوع بدا وكأنه إنسان، إلا أن هذا كان مجرد وهم. لقد كان في الواقع إلهاً متنكراً في صورة إنسان. (لقد وصفت هذه المتلازمة في مكان آخر بأنها نمط تفكير سوبرمان - كلارك كينت : يسوع هو الزائر السماوي الذي يأتي من الفضاء الخارجي، ويعيش على الأرض متنكراً في هيئة واحد منا، ثم يعود إلى منزله المجيد في السماء . )

يقول علماء اللاهوت اليوم إن العائق الرئيسي أمام الإيمان ليس إنسانية يسوع بقدر ما هو ألوهيته. قد يكون الأمر كذلك، لكن الفحص الدقيق يكشف أن الدوسيتية لا تزال حيةً وناشطةً بالحياة في الأوساط المسيحية. تُصرّ الكنائس على صحة كلامها عن كونه إنساناً كاملاً، لكنها ترفض اتباع منطق ادعاءاتها: فمسيحهم الذي يبشرون به هو شخصيةً خارقةً للطبيعة، بعيدة كل البعد عما نعتبره بشراً في نظر معظمنا. فهو يبقى إلهاً مُتنكراً، تجسيدا للكمال الفكري والأخلاقي في أيامه على الأرض، مُطلقاً كل القيود التي تُقيد البشر العاديين. لقد قُدمت إنسانيته ذبيحةً على مذبح الألوهية.

يمكن بسهولة اكتشاف الموقف الحقيقي للكنائس من خلال طرح بعض الأسئلة حول ميول يسوع الجنسية. الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وأولئك الأنجليكان المعارضون لرسامة النساء للكهنوت يبالغون في حقيقة أن يسوع كان ذكراً. ولكن هنا حيث يتغاضون عن الأمر. إن أول رد فعل من رجال الدين والعلمانيين على حد سواء هو الارتباك المحرج عندما يجرؤ أي شخص على مناقشة إمكانية زواج يسوع. على الأرجح أنه لم يكن كذلك، ولكن لا ينبغي أن تكون الفكرة مسيئة كما تفعل. لقد تجرأ واحد أو اثنان من علماء اللاهوت على الإشارة إلى أنه إذا كان يجب أن تؤخذ إنسانية يسوع بأي جدية، فيجب على المرء أن يكون مستعداً للقول إنه عرف الرغبة الجنسية، وأنه كذكر ربما اختير انتصاباً ليلياً، وأن اللحظة التي جففت فيها مريم المجدلية قدميه بشعرها ربما كانت مشحونة جنسياً. لقد تسببت هذه الاقتراحات في صدمة عميقة بين المؤمنين. لماذا يجب عليهم ذلك؟ هنا، كما هو الحال في النظرة التقليدية لأمه مريم على أنها "عذراء أبدية"، جُرّدت

الأعماق الحقيقية للجنس البشري، ولم يبق سوى ظلٌ لأي إنسانية حقيقية من لحم ودم. من السهل القول إنه بما أن الكتاب المقدس لا يقدم أي دليل على أي نشاط جنسي من جانب يسوع، فقد كان "بلا خطيئة" في هذا الجانب من الحياة؛ ومن الصعب تمامًا إنكار أنه اختبر الإثارة والمشاعر الجنسية الطبيعية التي تُعد عنصرًا بدائيًا لما يعنيه أن تكون إنسانًا. تشير رسالة العبرانيين في عدة مواضع إلى أن يسوع قد جُرِّب بجميع الطرق التي نُجرب بها نحن أنفسنا (2: 16-18)؛ كما تنص على أنه كان عليه أن "يتعلم الطاعة" لله من خلال التجارب المختلفة التي مر بها (5: 8).

الأمر الأكثر إثارة للريبة لدى الكثيرين من موضوع مشاعر يسوع الجنسية هو فكرة أنه ربما كان قد شارك في أي من القبوض التي يتعرض لها جميع البشر - أي أنه ربما كان متحيزًا أو متحاملاً في مواضيع معينة، أو جاهلاً في مواضيع أخرى، أو عُرضة للأخطاء التي تُعد جزءًا من أي تطور بشري حقيقي. ولأن العقيدة الرسمية، على الرغم من جميع التحفظات، تدور في الواقع حول إله مُتَنكر، يُنظر إلى يسوع الأرضي عادةً على أنه كائن كامل من جميع النواحي، أخلاقياً وفكرياً. يبدو أنه مجرد إنسان؛ في الحقيقة، هو إنسان خارق له كل كمال وقدرة الله نفسه. ومع ذلك، فمن المؤكد أن هذه قراءة لاحقة لحياة يسوع لعقائد عصر لاحق.

لقد ألحقت عقيدة النموذج المثالي البريء الذي لم يخطئ قط ضرراً نفسياً جسيماً بمن اعتقدوا أن كون المرء مسيحياً يعني أن يكون "يسوعاً آخر". هذا الطموح المفرط ينطوي على كمال وعدم قدرة على تقبل إنسانيته بفرح، وهما مصدران رئيسيان للاكتئاب، بل والانهايار، بين رجال الدين والمؤمنين على حد سواء. في الواقع، من المسلمات الروحية أنه إذا لم تأخذ إنسانيتك كمؤمن بصدق وجدية كاملين، فستجد أنه من شبه المستحيل تقبل إنسانيتك. المثير للاهتمام هو أنه على الرغم من أن مؤلفي العهد الجديد كانوا يكتبون من منظور الإيمان، ولتعزيز الإيمان بالرب القائم من بين الأموات - وهو الإيمان الذي صبغ جميع أعمالهم - إلا أن رواياتهم تُظهر مراحل نمو، ونضجاً تدريجياً في فكر يسوع.

إنجيل لوقا وحده يُقدم لنا رواية وحيدة عن يسوع بين ولادته ومعمودية يوحنا قبيل بدء خدمته. في لوقا ٢: ٤١ وما يليه، نقرأ عن زيارة مع والديه إلى هيكل أورشليم عندما كان في الثانية عشرة من عمره. يفترض معظم من لديهم معرفة سطحية بهذا المقطع أنه عندما بقي يسوع في الهيكل - بعد أن غادر والداه، مفترضين أنه كان مع مجموعتهم من الناصرة ثم اضطروا للعودة إلى المدينة بحثاً عنه - كان يُعلم الأساتذة هناك. ومع ذلك، وفقاً للنص، لم يكن يفعل شيئاً من هذا القبيل. يقول النص إنه كان يستمع إلى المعلمين وي طرح عليهم أسئلة - أي أنه كان في حالة تعلم. يختتم لوقا المقطع بالقول إن يسوع استمر في التقدم في الحكمة والقامة "ووجد نعمة عند الله والناس" (٢: ٥٢؛ قارن ٢: ٤٠).

خلال خدمته نفسها، كانت هناك عدة مناسبات فقد فيها يسوع أعصابه أو عبّر بوضوح عن غضبه. من أبرز الأمثلة لعن شجرة التين العقيمة وتطهير الهيكل. قصة شجرة التين غريبة جداً. لوقا يغفلها تمامًا، بينما يحاول مرقس تخفيف وقع الحادثة ببضع كلمات عن المغفرة. يخبرنا أنه بينما كان يسوع وتلاميذه يسيرون من بيت عنيا - القرية الصغيرة الواقعة شرق أورشليم، حيث كان يعيش أصدقاؤه لعازر ومرثا ومريم، شعر يسوع بالجوع. فرأى شجرة تين مغطاة بالأوراق على جانب الطريق، فذهب ليرى إن كانت تحمل أي ثمر. فلم يجد شيئاً، "لأنه لم يكن وقت التين". فلعن يسوع الشجرة قائلاً: "لا تثمري بعد!". وعندما مرَّ بالمكان نفسه بعد يوم أو نحوه، كانت الشجرة قد ذبلت. فتذكر بطرس الحادثة، فقال ليسوع: "يا معلم، انظر كيف يبست شجرة التين التي لعنتها". ثم نصحه يسوع بأن يؤمن بالله، لأن الإيمان "يُحرِّك الجبال". ولعل مرقس قد أثار قلق يسوع من احتمال استخدام قرائه لهذا المقطع لتبرير لعن أعدائهم، فأضاف إليه نصيحة: "متى

وقفتم تصلون، فإن كان لكم حقد على أحد، فاعفروا له حتى يغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم" (11: 25-12).

لم تُفلح محاولات إضفاء طابع روحي أو رمزي على هذا المقطع. يشير العلماء إلى أنه لا يُقرأ كمثل مُمَثَّل. ويتكهنون بأن القصة نشأت حول قول ما لیسوع بالقرب من شجرة ميتة بارزة قرب القدس، أو أنها ترجمة لمثل شجرة التين العقيمة (لوقا ١٣: ٦ وما يليه) إلى واقعة حقيقية. كلا الجوابين غير مُرضٍ تمامًا، وما لم نكن مستعدين لتجاهلهما تمامًا، فإننا مُضطرون إلى الاعتراف بأن القصة في جوهرها تدور حول مناسبة خضع فيها يسوع للغضب والانتقام.

مثال آخر على الغضب هو تطهير الهيكل، الذي حددته الأناجيل الثلاثة الأولى قبل المحاكمة والصلب مباشرة، لكن يوحنا يضعه في بداية الخدمة العامة. هنا الغضب مبرر، ولكنه غضب على كل حال، وعنيف في ذلك. قيل لنا أن يسوع دخل الفناء الخارجي للهيكل وسكب نقود الصيارفة على الأرض بينما كان يقبل طاولاتهم. إن الطاقة والغضب الموصوفين، بالإضافة إلى الطبيعة الرمزية للفعل، تشير إلى نبي من العهد القديم مملوء بالحماس لببيت الرب. كان للحادث معنى روحي؛ ولكنه كان فعل إنسان حقيقي مع ذلك، وهو فعل يمكننا التعرف عليه بسهولة.

لقد جرت معظم خدمة يسوع في المنطقة الشمالية من إسرائيل، الجليل، ومن الواضح أنه كان يعتقد أن مهمته كانت مُوجَّهة إلى اليهود، لا إلى العالم أجمع. في إحدى المرات، نجده يدخل أراضي الأمم - لا للتبشير بل للاختباء؛ أراد أن يتجنب هيرودس والفريسيين، بينما كان ينفرد ببعض الوقت مع التلاميذ الاثني عشر لتدريبهم. يخبرنا مرقس (7: 24 وما يليه) أنه ذهب إلى ناحية صور ووجد مسكنًا في بيت. لم يُرد أن يُعرف مكانه، لكن " كان من المستحيل عليه أن يغيب عن الأنظار". كانت لامرأة يونانية، من أصل سوري فينيقي، ابنة " مريضة بروح نجس ". فلما سمعت أن يسوع في الجوار، جاءت وسقطت عند قدميه متضرعة، وطلبت منه " أن يُخرج الشياطين" من الفتاة الصغيرة. وكان رد يسوع جديرًا بالملاحظة. فقد وبَّخها قائلاً: "دعوا الأولاد يشبعوا أولاً، لأنه ليس من الصواب أن يُؤخذ خبز الأولاد ويُلقى للكلاب". فأجابت: " يا سيد، حتى الكلاب تأكل من الفتات تحت مائدة الأولاد". فهمت أن يسوع يُماطلها بقوله إن تعليمه مُوجَّه أولاً وقبل كل شيء لشعبه. لكن ردها السريع غير رأيه. فكان رده: "بسبب جوابك، اذهبي. لقد فارق الشيطان ابنتك". عادت إلى منزلها فوجدت ابنتها قد شُفيت.

لم يُدرج لوقا هذه القصة، لكن متى يُقدم روايةً أشمل (١٥: ٢١ وما بعدها). يقول إن المرأة أصبحت مصدر إزعاج لاتباعها التلاميذ ومعلمهم، مُستغيثةً، وأن يسوع بدأ بتجاهلها. وعندما طلب منه الاثنا عشر أن يفعل شيئاً لها، قال يسوع صراحةً: "لستُ مُرسلاً لأحد إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة". ولكن بعد أن تحدث معها، قال: " يا امرأة، إيمانك عظيم. لك ما تشتهين". أتفق مع من يجادلون بأن هذا المقطع المُحرج وغير المُحبب ما كان ليُروى لولا أنه مُستند إلى حدث حقيقي، والذين يرون فيه مثالاً على التحيز العنصري من جانب يسوع. فقط عندما يُطعن في تحيزه ذكاء الأجنبي و/أو إيمانه، يُجبر على مراجعة رأيه ومنهجه. لا توجد طريقة أخرى لفهم المقطع بطريقة منطقية تُنصف لغته المُفاجئة. لقد فتحت كلمات المرأة آفاقاً جديدة في تفكيره. لقد تعلم التسامح الجديد.<sup>1</sup>

أخيراً، عند سماع الكثير من المسيحيين - بمن فيهم رجال الدين - يتحدثون، قد يظن المرء أن يسوع كان يمتلك العلم المطلق الذي يُنسب عادةً إلى الله، وأن معرفته لا حدود لها وأنه لا يمكن أن يخطئ. لكن هذا أيضاً هراء بشأن إنسانيته. إذا كان يسوع، كما يُصرّ عليه الكتاب المقدس والمذاهب، "إنساناً حقيقياً، إنساناً

فعلياً"، فهذا يعني أنه شارك معلومات ووجهات نظر ومعارف عصره. هذا لا يعني أنه تقبل جميع الحكمة الشائعة في عصره دون تمحيص؛ فمن الواضح أنه لم يفعل. من حيث البصيرة الروحية، كان متفوقاً بكثير على معاصريه وأسلافه ومن تبعوه. لكن من الحماسة افتراض أنه لم يشارك، على سبيل المثال، الاعتقاد بأن الأرض هي مركز الكون، أو أن بعض الأمراض البشرية سببها الشياطين. في مسائل العلوم، كما في كثير من المجالات الأخرى، ظل جزءاً لا يتجزأ من الثقافة التي عاش فيها. بمعنى آخر، كانت لديه قيود بشرية محددة؛ لقد "تأثر" ببيئته الثقافية.

لم يدع يسوع العصمة. بل عبّر هو نفسه عن جهله باللحظة المحددة للمجيء الثاني أو نهاية هذا النظام العالمي: "وأما ذلك اليوم أو تلك الساعة فلا يعلمها أحد، ولا الملائكة ولا الابن، إلا الآب وحده" (مرقس ١٣: ٣٢). ومع ذلك، يبدو أنه توقع وقوع الحدث الكارثي قريباً جداً - في الواقع، خلال حياة بعض أتباعه - إذ يقول قبل آيتين: "الحق أقول لكم: لن يمضي هذا الجيل قبل أن تتم هذه الأمور كلها".

لقد طرح متى يسوع المسألة بإلحاح أكبر. إذ أخبر التلاميذ أنهم لن يبشروا في جميع مدن إسرائيل في رحلتهم التبشيرية "قبل أن يأتي ابن الإنسان" ليبشر بنهاية الزمان (10: 23). وقد تبنت الكنيسة الأولى هذا الرأي الخاطئ بشدة؛ بل إن إحدى رسائل القديس بولس الأولى توبّخ مجموعة من المسيحيين الذين كانوا على يقين من نهاية وشيكة لدرجة أنهم توقفوا عن العمل لكسب عيشهم. وقد تكرر هذا النوع من التوقع والحماسة المتشائمين بنهاية العالم بانتظام عبر تاريخ الكنيسة، وخاصة في اللحظات المحورية لانتهاء الإمبراطوريات أو فترات أخرى من التغيير الاجتماعي السريع. لذا، فليس من المستغرب أن يبرز هذا اليوم بشكل بارز في جاذبية العديد من الطوائف الأحدث في الولايات المتحدة وغيرها، وهو جوهر الحركة الأصولية الجديدة النشطة والصريحة. قد تضحك عندما ترى ملصقاً على مصد سيارة يُعلم السائقين الآخرين أنه في حالة "الخطف"، ستترك السيارة المعنية بدون ركابها. لكن بالنسبة للكثيرين، هذا ليس مزحة. فهم يتوقعون "الخطف" إلى السماء عندما تبدأ الصواريخ النووية بتدمير كوكب الأرض.

لكي يكون يسوع إنساناً كاملاً، كان لا بد أن يكون قابلاً للخطأ. وقد صوّر تقليدياً في كثير من الأحيان على أنه شخصٌ منعزل، صارم، ومُدان؛ فقد جُعِلَ كاملاً في كل شيء لدرجة أن علاقته بالبشر ضئيلة. لقد فُقدت إنسانيته، وابتلعت فكرته مُستحيلة.

1. انظر إرنست دبليو هاريسون، الكنيسة بدون الله (تورنتو: ماكيلاند وستيوارت، 1966).

## تعاليم يسوع

### عن الجنس

أنا أجد من الغريب جدًا أن الكنائس - وخاصة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والجماعات البروتستانتية الأكثر تقليدية - بدت دائمًا مهووسة بالجنس والمسائل الجنسية، في حين أن يسوع نفسه لم يكن لديه الكثير ليقوله في هذا الموضوع. لم يترك لنا أي حكمة محددة في مسائل مثل الإجهاض، ومنع الحمل، والتلقيح الاصطناعي، أو حتى الجنس قبل الزواج. ومع ذلك، فإن بعض قادة الكنيسة يعطون انطباعًا بأنه لم يتحدث إلا قليلاً عن أمور أخرى.

في الإصحاح العاشر من إنجيل مرقس، يُختبر يسوع في مسألة الطلاق على يد الفريسيين، الذين سألوه إن كان يُوافق على أحكام موسى (انظر سفر التثنية ٢٤). يتجاوز يسوع ما ورد في سفر التثنية في سفر التكوين (الذي يعتقد هو ومعاصروه أيضًا أنه من تأليف موسى). هنا، أولاً وقبل كل شيء، نجد مقطع سفر التثنية الذي استندت إليه ممارسات الطلاق في زمن يسوع: " إذا اتخذ رجل امرأة وتزوجها، ثم لم تجد حظوة في عينيه، فليكتب لها كتاب طلاق، ويدفعه إليها، ويطلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته، تذهب وتكون زوجة لرجل آخر" (تثنية ٢٤: ١-٢) .

هذا هو المقطع في مرقس: "فتقدم إليه الفريسيون وسألوه: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته؟ في محاولة منهم لإغرائه. فأجاب... ماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا: إنه أذن أن يكتب كتاب طلاق فيطلقها. أجاب يسوع: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية. ولكن من بدء الخليقة خلقهما الله ذكرًا وأنثى. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته. ويكون الاثنان جسدًا واحدًا. ما جمعه الله لا يفرقه إنسان" (مرقس 10: 9-2) .

وعندما سأله التلاميذ على انفراد عن هذا التعليم، شرح يسوع قائلاً إنه بالنسبة لأي من الطرفين (في اليهودية كان للرجل فقط هذا الحق في الطلاق) في حالة تطليق الآخر فهذا يعني إجبار الزوجة المطلقة على ارتكاب الزنا إذا تزوجت لاحقًا من شخص آخر. للوهلة الأولى، يبدو أن يسوع يتخذ موقفًا صارمًا للغاية، حيث يصحح أحد أقوال موسى بآخر ويؤكد على عدم قابلية الزواج للنقض المطلق. وقد استندت بعض الكنائس، وأبرزها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، في حظرها للزواج مرة أخرى بعد الطلاق على هذا التفسير. في الواقع، يعتقد معظم المعلقين أنه لا يفكر هنا في مسألة ما إذا كان الزنا يبطل الطلاق أم لا؛ بل إنه يذهب إلى قلب النظام الإلهي الذي أراده الله ويقول إن المثل الروحي هو الالتزام مدى الحياة؛ ومن الناحية المثالية، يكون الزواج غير قابل للنقض. من الجدير بالملاحظة أن رواية متى للحادثة نفسها تتضمن " شرطًا للهروب": "ومن طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى..." (١٩: ٩، ترجمة الملك جيمس)؛

بمعنى آخر، خشي متى أن يُساء فهم قول مرقس، فوضح المعنى بجعل الزنا استثناءً من التحريم الظاهر للطلاق. لو كان قد فسر ما قصده يسوع تفسيراً صحيحاً، لقال إن يسوع أتاح مجالاً للخطأ البشري. قد يكون الزواج غير قابل للنقض من الناحية المثالية، ولكن إذا كان الزنا يؤدي إلى الطلاق، فإن عدم قابلية النقص ليست أمراً مطلقاً. فالمطلق بحكم تعريفه لا يقبل أي استثناءات.

أعتقد أن هذا التفسير يُلقي الضوء على جانب آخر من تعاليم يسوع حول الأمور الجنسية. ففي عظة الجبل، يُصرّ على أن فخر الفريسيين بحفظ الوصايا العشر في غير محله. ويؤكد أن الخطيئة ليست مسألة ظاهرية بقدر ما هي شأن قلبي أو ذاتي. ويوضح أن الفضيلة الحقيقية هي أكثر بكثير من مجرد عدم ارتكاب جريمة قتل أو زنا؛ فالغضب على أخيك " بلا سبب " هو التفكير في القتل؛ والنظر إلى امرأة " لاشتهائها " يعني أن المرء قد ارتكب الزنا بها "في قلبه" (متى 5: 20 وما يليه، κλη). ولذلك يقول: "إن لم يزد برحم على بر الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات". وبالمثل في مرقس، خلال مناقشة حول أهمية طقوس الغسل في اليهودية التقليدية، مرة أخرى أصل يسوع الناحية الأخلاقية بقوله إن ما يحدث خارج الإنسان ليس هو المهم: "ليس من شيء من خارج الإنسان يدخل فيه ينجسه، بل ما يخرج منه هو الذي ينجسه" (متى 7: 15). وفي شرحه لتلاميذه على انفراد، أشار إلى أن جميع الشرور، بما في ذلك الزنا أو الخطايا الجنسية (اليونانية: *porneiai*) ، تتبع من القلب .

علينا أن ننظر إلى آراء يسوع بشأن الخطيئة الجنسية في سياق حالته. فقد تعرّض لهجوم من النخبة الدينية المتشددة لقضائه وقتاً مع خطاة صريحين، ولتجاهله محرمات الدين الخارجي وقواعده. وجهة نظره هي أن قداستهم المزعومة هي في الواقع زيف، لأنهم يبذلون الكثير من الوقت والجهد في الحفاظ على المظاهر، لدرجة أنهم يجهلون "الخطيئة" الكامنة في قلوبهم. العاهرات وغيرهن من الخطاة يدخلن الملكوت قبل المتزمتين، لأنهم على الأقل يعرفون حالتهم الروحية الحقيقية، وليسوا مذنبين بأعظم خطيئة على الإطلاق - الكبرياء. ولأنهم لا يخالطهم أي وهم بشأن استحقاقهم، فهم في وضع يسمح لهم بقبول غفران الله المجاني. لم يكن يسوع يحاول التمسك بمثالية مستحيلة. بل كان مدرّكاً تماماً أن البشر العاديين تراودهم أفكار غاضبة من حين لآخر، وأن التخييلات الجنسية تأتي دون أن يأمر بها معظم الناس. وجهة نظره هي أنه إذا كنت تهتم حقاً بالنقاء الجنسي، على سبيل المثال، فيجب أن تبدأ بفحص أفكارك الخاصة، وليس بالفخر وإدانة الآخرين لمجرد أنك لم ترتكب الزنا أبداً من خلال أي فعل خارجي.

موقف يسوع تجاه مرتكبي الخطايا الجنسية موقفاً من التعاطف والتفهم. ويتجلى ذلك بوضوح في استعداده لمخالطة أشخاص معروفين علناً بسلوكهم الجنسي المنحرف - فلم يكن ليُتهم أبداً بمصاحبة العاهرات وغيرهن ما لم يكن هناك أساس سليم للتهمة، ولم يكن كُتاب الأنجيل يُدرجوا مثل هذه المعلومات التي قد تُلحق الضرر. يتفق العلماء على أن المقطع المتعلق بالمرأة التي أُلقي القبض عليها متلبسة بالزنا (يوحنا 8) لا ينتمي إلى إنجيل يوحنا الأصلي، بل إلى أحد الأنجيل الإزائية، ربما إنجيل لوقا. على أي حال، يُعدّ هذا مؤشراً رئيسياً على موقف يسوع من الجرائم الجنسية. يُخبرها أنه لا يُدينها - لأنه يُدرك أن الله لا يُدينها - ثم يُضيف: "أذهبي ولا تُخطئي بعد الآن" (متى 8: 1-11) .

بما أن هذا هو كل ما قاله يسوع تحديداً عن الجنس - مقارنةً بتصريحاته المتتالية عن خطيئة الكبرياء والنفاق من جانب المؤسسة الدينية - فمن السهل تلخيص ذلك. أولاً، رأى أن المخالفات الجنسية كالزنا لا تزيد ولا تقل شراً عن غيرها من الخطايا. لاحظ، على سبيل المثال، كيف ورد في إنجيل مرقس (متى 7: 1 وما يليه) أنه أدرج الزنا مع الطمع والكبرياء والحمق والتجديف ("كل هذه الشرور تأتي من الداخل

وتُنَجِّس..."). ثانيًا، علاج الأخطاء في هذا المجال هو نفسه علاج الخطايا الأخرى، أي الاعتراف بالفشل، وقبول المغفرة، والعزم الراسخ على "التوقف عن الخطيئة". يمكننا القول بثقة إنه لم يضع أي قواعد مفصلة للسلوك الجنسي. وكما ذكر سابقًا، لا توجد قواعد لغير المتزوجين، أو المخطوبين، أو الأراامل، أو المثليين، أو الأزواج الذين يواجهون حملًا غير مرغوب فيه، أو الأزواج غير المتزوجين الذين يتساءلون عن التلقيح الاصطناعي. لكن هذا لا يعني أن أتباعه المحتملين يمكنهم فعل ما يحلو لهم جنسيًا مع الحفاظ على وفائهم بتعاليمه. يجب الحكم على جميع السلوكيات وفقًا للمبادئ أو الوصيتين الرئيسيتين (وهما الوصيتان الوحيدتان اللتان أعطاهما): حب الله وحب الجار "كنفسك". هذه المبادئ التوجيهية أقل وضوحًا وتوجيهًا بكثير مما يرغب فيه أولئك الذين يريدون تجنب التفكير بأنفسهم أو تحمل توتر الغموض؛ أي شخص يبحث عن حلول بسيطة وواضحة هنا محكوم عليه بخيبة الأمل.

## عن الصلاة

"وفي الصباح الباكر، والظلام باق، قام وخرج إلى خارج البيت إلى موضع خلاء، وكان يقضي وقته في الصلاة" (مرقس 1: 35).

تشهد جميع الأناجيل على أن الصلاة الحارة كانت سمة أساسية في حياة يسوع الروحية. ليس هناك موقفا نشعر فيه بإنسانيته الكاملة ووحدته الجوهرية مع أنفسنا، بشكل أقوى مما نشعر به عندما نراه ونسمعه يصلي إلى أبيه. في الواقع، ما لم نكن مستعدين للاعتقاد بأن صلاته - واعتماده على الله لم يكن أكثر من مجرد خدعة من أجل تنويرنا، مجرد فعل ليقدم لنا قدوة حسنة، فمن المستحيل التثبيت بالتعليم الأرثوذكسي بأن يسوع كان في الحقيقة الله نفسه يتجول في صورة بشرية، الشخص الثاني من الثالوث. إن مفهوم صلاة الله - ناهيك عن الصلاة إلى نفسه - أمر غير مفهوم بالنسبة لي. إن القول بأن الجانب الإنساني من يسوع كان ببساطة يتحدث إلى الله الأب (بدلاً من طبيعته الإلهية كابن الله) هو افتراض نوع من الفصام الذي لا يتوافق مع أي اعتقاد إنسانية يسوع الكاملة.

ولم يأمر يسوع تلاميذه أو الجموع عموماً في أي مكان بالصلاة إليه. فالصلاة تُوجّه دائماً إلى الله الأب السماوي. وبالتالي، فإن عادة العديد من المسيحيين في توجيه صلواتهم إلى يسوع لا تحظى إلا بدعم ضئيل. صحيح أنه يتحدث عن الصلاة "باسمه"، ولكن هذا أمر مختلف تماماً<sup>1</sup>. فالصلاة "باسمه" تعني الصلاة وفقاً لرؤية الله التي عرفها المرء فيه. وبالتالي، فإن الصلاة باسم يسوع هي صلاة تُقدّم وفقاً لشخصية يسوع وتعليمه. ومن الواضح أن هذا المنظور يستبعد أي استخدام سحري للصلاة لتحقيق مكاسب مادية (أو للفوز في الرياضات الاحترافية). ومع ذلك، دعونا نرى ما يمكن أن نخبرنا به الأناجيل عن موقف يسوع نفسه تجاه الصلاة.

في مرقس 9: 17 وما يليه، نجد قصة صبي ممسوس بـ "روح أصم وأبكم". وعندما حاول التلاميذ شفائه فشلوا، لكن يسوع طرد الروح. فسأله التلاميذ بعد ذلك عن سبب عجزهم عن ذلك. فأجاب: "هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (الآية 29). ويعتقد بعض المفسرين أن هذه إضافة إلى النص من الكنيسة الأولى، التي ربما وجدت الصلاة والصوم ضروريين قبل طرد الأرواح الشريرة. ولكن إذا كان هذا قولاً صحيحاً ليسوع، فهو دليل إضافي على حاجته الملحوظة إلى الصلاة المستمرة في حربه ضد الشر والمرض.

لا يُدرج مرقس ما يُعرف بصلاة الرب. يأتي أطول قسم فيه، الذي يتناول آراء يسوع في الصلاة، في سياق لعنة شجرة التين. إليكم ما يقول يسوع عن الصلاة: "ثقوا بالله. الحق أقول لكم: من قال لهذا الجبل: انتقل من هنا وألق في البحر، ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فسيكون له كذلك. لذلك أقول لكم: كل ما تصلون وتطلبونه، فأمنوا أنكم قد نلتموه، فيكون لكم كذلك. ومتى وقفتم تصلون، فاغفروا لمن لكم عليه شكوى، حتى يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم" (11: 21 وما يليها).

هنا، وكما هو الحال دائماً تقريباً، يتحدث يسوع من منظور روحي. الجبل استعارة، لا يُقصد به أن يفهم حرفياً. كما أن المقطع لا يؤكد الفكرة السخيفة القائلة بأن الصلاة نوع من الشيك على بياض روحي، أو وسيلة لابتزاز عطايا من الله ما كان ليمنحها لولا ذلك، أو امتيازات حُرِمَ منها بقية البشر. إنه يقول إن من يتحلون بموقف إيماني مُنتظر في سعيهم للنمو الروحي ينالون بالفعل ما يطلبونه؛ فالجبال الروحية يمكن أن تُهدم.

في العشاء الأخير، وهو الإشارة التالية للصلاة في إنجيل مرقس، نجد يسوع يُصلي البركة التقليدية أو صلاة الشكر على الخبز والكأس، مُتبعاً تماماً النمط الذي كان يتبعه رب أي عائلة يهودية في ذلك الوقت. تبدأ بـ "تباركت يا رب الإله..."، وهي نعمة بسيطة أو تسبيح للخالق القدير.

تلا هذه الحادثة مباشرة صلاة الألم في بستان جثسيماني: "إن أمكن، فلنعتبر عني هذه الساعة". هنا يتوسل يسوع إلى الله كما يفعل أي شخص تقى على وشك الموت؛ لا يوجد أي شعور بأنه إلهٌ مسيطرٌ تماماً ويعلم أنه سيُخلص. لديه ثقةٌ مطلقةٌ بالله بأنه سينتصر بطريقةٍ ما، لكن كل شيءٍ في يد الأب. فكرة أن هذا الله يُخاطب نفسه، مهما كانت طريقة تقسيم الأقانيم، لا معنى لها على الإطلاق. يُكرّر صلاته ثلاث مرات، مُخاطباً الله بـ "أبا" (الكلمة الآرامية التي تعني المودة أو الألفة، وتُشبه "بابا")؛ "يا أبا، يا أبتاه، كل شيءٍ مُمكنٌ لك؛ أبعده عني هذه الكأس. ولكن، ليس ما أريده أنا، بل ما تُريده أنت" (14: 36، ترجمة الملك جيمس). لا شك أن هذه الكلمات التي تُعبّر عن الحزن البشري والرغبة العميقة في تجنب الموت حقيقية. ما كان لأي مُتملق أو مُروج يهدف إلى تصوير إله في صورة بشرية أن يخترع مثل هذه القصة. تُظهر الكلمات حميمية شديدة وتبعية أبوية؛ هناك ثقة راسخة، ولكن أيضاً شك وخوف بشري للغاية. هذا ليس إلهاً أسطورياً يؤدي دوراً، بل إنسان حقيقي، بكل نقاط الضعف التي يُعاني منها الجسد.

تتجلى حقيقة إنسانية يسوع بوضوح وعمقٍ بالغين عند وصولنا إلى الصلاة الأخيرة المسجلة في إنجيل مرقس. فبينما كان مُعلّقاً على الصليب في عذابٍ شديد، يسخر منه معذوبه، مُدرّكاً، كما هم، لوجهة النظر اليهودية التقليدية القائلة بأن كل من "يعلق على خشبة" ملعون من الله، صرخ صرخةً مُرعبةً ومؤرقة: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟". هذه هي الكلمات ذاتها التي تبدأ بها المزمور 22: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ لماذا أنت بعيدٌ عن إغاثتي وعن كلام هديري؟ يا إلهي، أصرخ في النهار فلا تسمع، وفي الليل فلا أسكت" (ترجمة الملك جيمس). هذا المزمور وصفٌ دقيقٌ للاكتئاب واليأس البشري، ولتخلي الله عنا ورعبنا. ومع ذلك، ينتهي الكتاب بنبرة ثقة في نصر الله وخلاصه النهائي. لقد جعل يسوع المزامير جزءاً أساسياً من حياته الروحية، ومن المنطقي تماماً أن يتذكر هذا المزمور في ساعة حاجته القصوى. في تلك اللحظة الأخيرة، حلّ عليه "ليل الروح المظلم" الذي وصفه متصوفو جميع الأديان - الشعور بغياب الله نفسه، وعدم اكتراثه، وتجاهله لصلوات الإنسان. شعر بالوحدة المطلقة، مرفوضاً من الله والبشرية. في ظل هذا اليأس الشديد، بدا أن خدمته ورسالته قد فشلت. أصبح الأب الذي وثق به سراباً ووهماً. فلا عجب أن

يُغفل لوقا صرخة الإهمال هذه، كما تُسمى غالبًا؛ ولا عجب أن يغفلها إنجيل يوحنا أيضًا، برويته الجلييلة ليسوع - وهو على الصليب -.

مع ذلك، لطالما شعرت أننا على أرضٍ مقدسةٍ جدًا في هذه المرحلة. يجب أن تكون هذه الحادثة حقيقيةً، لأنها، مرةً أخرى، حادثةٌ لن تُخلقها أو تُضمّنْها طواعيةً إلا إذا أُجبرتْك الحقيقة على ذلك. يدعم هذا الرأي الإحراج الواضح الذي لحق بلوقا ويوحنا. ولكن هذا الوقت هو من أشدّ أوقات الضعف والتوتر في حياة يسوع التي نستطيع أن نميزها أكثر من أي شيء آخر. حتى لو استطاع هو، بإدراكه العميق لحقيقة الله وحضوره، أن يختبر هذا الجحيم ويبرر نفسه، فلا وجود لجحيم بشري من المعاناة - عقليًا أو عاطفيًا أو جسديًا أو روحيًا - لا علاقة لرسالته وشهادته به. إن معرفته الصادقة والكاملة لنوع الصلاة التي تُنتزع من القلب البشري عندما ينكسر أو يضيع في شعوره بالتخلي عنه، تُشير إلى رحلتنا الإيمانية أكثر من كل المحاولات العقائدية اللاحقة لجعله إلهًا. إن فكرة أن الشخص الثاني من الثالوث الأقدس يعرف معنى أن يكون المرء متروكًا من الله، لا بد أن تُذكر هنا للاعتراف أنها سخيّة.

النسخة الكاملة لما أصبح يُعرف باسم صلاة الرب - "صلاة التلاميذ" ستكون أكثر ملاءمة، لأنها كانت في الحقيقة الصلاة التي أعطاها يسوع لتلاميذه لاستخدامها - موجودة فقط في إنجيل متى. لوقا لديه الصلاة، ولكن في شكل مختصر، وربما أكثر بدائية (قارن متى 6: 9-13 مع لوقا 11: 1-4). في إنجيل متى، يقدم يسوع أولاً وقبل كل شيء بعض القواعد العامة حول الصلاة. عندما تصلي، لا تكن مثل المنافقين "الذين يعيشون ليروى الآخرون أنهم يصلون في المجمع وفي الساحات العامة" - فسوف يكافأون بشكل مناسب. بدلاً من ذلك، ادخل إلى مخدعك وأغلق الباب وصل إلى أبيك في الخفاء، لأنه يرى ما يتم هناك؛ من يرى في الخفاء سيكافئك. تجنب العبارات الفارغة المكررة مثل التي يستخدمها الوثنيون، الذين يعتقدون أنهم سيُسمعون بشكل أفضل كلما زاد عدد الكلمات التي يستخدمونها: "لا تكونوا مثلهم، لأن أباكم يعلم احتياجاتكم قبل أن تسألوا". تجدر الإشارة إلى أن بعض المعلقين (الذين أتفق معهم) يعتقدون أن الكلمات حول دخول خزانتك تشير، بأسلوب مكافئ مميز، إلى ذلك المكان السري داخل الذات حيث يمكن للمرء أن يتواصل مع الله بمفرده في صمت.

ثم يطلب يسوع من أتباعه أن يصلوا هكذا:

"أبانا الذي في السموات،

تقدس اسمك

ليأت ملكوتك

ولتكن مشيئتك كذلك في السماء كما على الأرض.

أعطنا خبزنا يوماً بعد يوم

واغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا لمن ظلمنا.

لا تدخلنا في وقت التجربة.

"ولكن نجنا من كل شر" <sup>2</sup>

ليس هذا هو المكان المناسب للتوسع في المعنى. النقطة هنا أيضًا هي أن يسوع لم يُشر إطلاقًا إلى وجوب توجيه هذه الصلاة إليه. من الواضح من النبوة والجوهر أن فكرة مثل هذا الأمر كانت ستثير استياءه. تُشير الصلاة إلى أنه يجب علينا نحن أيضًا أن نتمتع بعلاقة حميمة مع "أساس وجودنا"<sup>3</sup> الذي يجب أن نُخاطبه بأبينا أو والدنا. إنه موجود في "السماء" - ليس في "مكان" ناءٍ بين المجرات، بل في مستوى روحي أو "بعد

إلهي ". ما لدينا هو بيانٌ لتعالى الله أو اختلافه، وفي الوقت نفسه، لقربه من قلوب البشر وحياتهم. يجب تقديس اسمه أو الحفاظ عليه مقدسًا - أن نُبجله كما ينبغي في كل ما نقوله أو نفكر فيه أو نفعله. إن الصلاة بأن يأتي ملكوته لا تتعارض مع أقوال أخرى مفادها أن ملكوت الله قريبٌ بالفعل أو في أعماقنا. لم يأت بعدُ بكامل كماله. مع أن علاماته واضحة في كل مكان، إلا أنها لا تزال تنتظر الساعة التي يدركها ويعترف بها جميع الناس على حقيقتها. ما دام الظلم والحرب والبؤس قائمًا على الأرض، فلم تولد أو تتحقق بعدُ بالكامل. لكلٌ منا دوره.

تتضمن صلاة طلب الخبز اليومي، ضمناً أو امتداداً، طلباً لتلبية جميع احتياجاتنا الجسدية والمادية. ينصب التركيز على الاحتياجات؛ فلا يوجد أي تشجيع على إزعاج الله برغباتنا. إن طلب مغفرة ذنوبنا أو آثامنا مشروط، بشكل مميز، باستعدادنا لمسامحة الآخرين والصفح عن إهاناتهم، سواء كانت حقيقية أو وهمية. وهنا يتطرق يسوع إلى حقيقة روحية عميقة؛ من المشكوك فيه للغاية أن أي شخص غير مستعد لمسامحة الآخرين يمكنه حقاً أن يعرف معنى قبول المغفرة لنفسه. يجب فهم الجملتين الأخيرتين، حول الإغراء والخلص من الشر، في المقام الأول في سياق إيمان يسوع بأن الاختبار الأخير أو محنة نهاية العالم على وشك البدء. يصلي المرء لكي ينجو في ذلك الوقت من الرعب المروع وأن ينجو من كل خطر. ومع ذلك، فإن تطبيقنا الحديث لهذه الكلمات على تجارب أقل إثارة أمر طبيعي وسليم تماماً.

يأتي إسهام لوقا الرئيسي في فهم الصلاة في حياة يسوع وتعاليمه في الإصحاح الحادي عشر، حيث يقدم نسخة مختصرة من صلاة الرب. ثم يروى لنا مثلٌ يُشدد على ضرورة المثابرة في الصلاة، ويختتم: "وأقول لكم: اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له" (9 وما يليه). حتى هذه النقطة، بدا وكأنه يقول إن الصلاة هي في الواقع شيك مفتوح على بياض، بل هي نوع من السحر - قل الكلمات المناسبة، وواظب عليها لفترة كافية، وستحصل على مكافأتك تلقائياً. لكن ما يلي يوضح المعنى. يشير يسوع إلى أن الآباء الأرضيين، على الرغم من كل عيوبهم ("كونهم أشراراً") ما زالوا يعرفون كيف يعطون أولادهم الخير عندما يطلبونه: "فكم بالحري"، كما يقول، "يعطي أبوك السماوي الروح القدس [تقول بعض المخطوطات القديمة "الروح الصالح"] للذين يسألونه". ويقرأ المقطع الموازي في إنجيل متى على هذا النحو: "فكم بالحري أبوك السماوي يهب عطايا صالحة للذين يسألونه". تعكس رواية لوقا اهتمامه الخاص بالله، المفهوم على أنه فاعل وحاضر بنسبته أو روحه (الكلمة اليونانية "pneuma"). فالروح ليس شخصاً ثالثاً من الثالث أو كياناً منفصلاً. إنه (هي، هو) الله غير المرئي، ولكنه حاضر ديناميكياً في حياة البشر - وخاصة في حياة يسوع نفسه.

يخبرنا لوقا في جوهر كلامه أن الصلاة الأسمى، وأفضل ما يمكن أن نطلبه على الإطلاق، هي أن يأتي روح الله - أي الله نفسه - ويعمل ويسكن ويتحرك فينا وفي كل ما نفعله. إنها صلاة لا تُرفض أبداً، كما وعد يسوع. بالنسبة لي، يُعد هذا المقطع بأكمله من أكثر المقاطع المشجعة والمستثيرة في الكتاب المقدس بأكمله. قبل الصليب والقيامة، وقبل وقت طويل من اللاهوت المُصاغ بدقة في القرنين الرابع والخامس، وقبل حوالي عشرين عاماً من رسائل القديس بولس الشهيرة، كان يسوع يُخبر من يسمع أن الله أكثر حرصاً على العطاء نفسه، وروحه، وحضوره الساكن فينا وقوته، علينا أن نطلبها. أعتقد أن هذا خبر سار.

## عن تناول المقدس

في منتصف القرن السادس عشر، أُحرق ثلاثة من ألمع الأساقفة وأكثرهم تفانيًا في تاريخ الكنيسة الأنجليكانية على الخازوق في أكسفورد، إنجلترا. فقد أعدم الأسقف هيو لاتيمر والأسقف نيكولاس ريدلي في 16 أكتوبر 1555، وفي 21 مارس من العام التالي، لاقى رئيس أساقفة كانتربري، توماس كرامر، كبير مهندسي كتاب الصلاة المشتركة الأنجليكانية، المصير نفسه. كانت "جريمته" رفضهم القاطع لقبول عقيدة التحول الجوهرية التي سادت في العصور الوسطى. يشير هذا المصطلح الطويل ذو الوقع المشؤوم إلى العقيدة القائلة بأنه في اللحظة التي يُقدّس فيها الكهنة الخبز والخمر في المناولة المقدسة، يتحول "جوهر الخبز والخمر بأكمله" إلى "جوهر جسد ودم المسيح بأكمله". تبقى "الأعراض" - مظهر الخبز والخمر - لكن الجوهر الأساسي يتغير بشكل معجز. وهكذا يستقبل المتناولون حضور الله الحقيقي في أيديهم وأفواههم. ويبدو أن كون سرّ تناول عيدًا للمحبة المسيحية لم يكن له تأثير يُذكر على ردع جلادي الأساقفة، وكذلك غياب الأدلة الكتابية التي تدعم قضيتهم: فلا يوجد أي مبرر لعقيدة تحول الجوهر في العهد الجديد نفسه. بل إن هذه الكلمة لم تُسمع قط خلال القرون العشرة الأولى، ولا معنى لها إلا في إطار فلسفة أرسطو الوثنية كما أعاد توما الأكويني تفسيرها في القرن الثالث عشر.

لقد كتبت في مكان آخر عن الحقيقة الفاضحة التي مفادها أن عشاء الرب - الذي كان من المفترض أن يكون وسيلة لاختبار الوحدة بين المسيحيين - أصبح النقطة التي لا تزال الكنائس منقسمة بشأنها بشدة.<sup>4</sup> وهكذا، على سبيل المثال، على الرغم من أن علماء اللاهوت الكاثوليك الرومان والأنجليكان (الأسقفية) في اللجنة الدولية المشتركة التي أنشأها البابا بولس السادس في الأصل قد توصلوا إلى اتفاق كامل حول ما يعنيه القربان المقدس في الواقع، إلا أن أعضاء الطائفتين لم يعودوا قادرين على المشاركة على مذابح بعضهم البعض كما كانت عليه الحال قبل قرون. وكلما ازدادت الطائفة أرثوذكسية، ازداد حرصها على نسيان المحبة المسيحية ومنع الغرباء من حضور ما يُسمى "وليمة الجماعة". ما يُقلقني هنا هو العنف الهائل وإراقة الدماء التي وقعت خلال ما بدأ كاحتفال بسيط جدًا للذكرى. إنني على قناعة بأن ما حدث لهذه الطقوس وما حولها هو نموذج لما حدث للمسيحية ككل. تتضح تحريفات نية يسوع الأصلية وفعله في وليمة تلاميذه الأخيرة بوضوح بمجرد أن تزيل كل ما تعرفه عن المناولة المقدسة من مصادر أخرى وتفحص النص الأصلي.

أقدم رواية مكتوبة عن العشاء موجودة في رسالة القديس بولس الأولى إلى المسيحيين في ميناء كورنثوس؛ أما التقليد المسجل في إنجيل مرقس فيعود بوضوح إلى يسوع التاريخي. لكن إنجيل مرقس كُتب حوالي عام 66 ميلادي، بينما كُتبت رسالة بولس قبل ذلك بعشر أو خمس عشرة سنة. يكتب بولس: "لأنني تسلمت من الرب ما سلمته إليكم، وهو أن الرب يسوع، في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزًا. وشكر الله وكسره وقال: "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري". وكذلك، بعد أن تناولوا العشاء، أخذ الكأس قائلاً: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري". لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم الكأس تُعرفون موت الرب إلى أن يأتي" (1 كورنثوس 11: 23-6). من المثير للاهتمام ملاحظة السياق الذي كُتب فيه بولس. فقد سمع عن تجاوزات في عشاء الرب في كورنثوس: فقد اندفع بعض الحاضرين لتناول الطعام والشراب قبل إخوانهم. وكانت النتيجة أن "عضوًا يبقى جانعًا والآخر سكرانًا. أليس لكم بيوتكم الخاصة لتأكلوا وتشربوا فيها؟ هل تحتقرون جماعة الله؟" (الآيات 20-1). من الواضح أنه لا مجال

للطقوس المعقدة التي كان من المقرر أن تُختنق بها المناولة المقدسة في النهاية؛ بل إن بولس يحذر ببساطة من أمور بسيطة كالجشع والانحلال الخلقي. لا يوجد ما يشير إلى أن أشخاصاً مميزين للغاية فقط هم من يمكنهم أداء الخدمة في الوجبة المقدسة، أو أن الله نفسه كان يُستهلك. في رواية مرقس، كانت ليلة الفصح (١٥ نيسان) وقت خيانة يسوع، حيث كان جميع اليهود الأتقياء يأكلون خروف الذبيحة وخبز الفطير إحياءً لذكرى الليلة التي نجا فيها أجدادهم من فرعون مصر عند تحريرهم من مصر. بعد أكل الخروف، كان رب البيت يأخذ الخبز المسطح ويوزعه على الجميع، ويقول: "هذا خبز الضيق الذي أكله آباؤنا..." ثم تُوزع كأس البركة. كل من حضر وليمة سيدر اليوم يعرف السياق الذي أسس فيه يسوع "عشاءه" الجديد. تختلف رواية مرقس قليلاً عن رواية بولس، لذا لدينا مصدران مستقلان يدعم أحدهما الآخر. يغفل إنجيل يوحنا الرابع تأسيس يسوع الفعلي للعشاء، ويستبدله بغسل أقدام التلاميذ. ويختلف يوحنا أيضاً في التسلسل الزمني هنا: فهو يضع خيانة يسوع في الليلة التي سبقت عيد الفصح (14 نيسان)، في الوقت الذي كان يتم فيه ذبح الحملان للاحتفال.

ربما لم يكن يسوع نفسه يعرف اليونانية. ولأنه كان يتحدث الآرامية، وهي لغة فلسطين السامية في عصره، فإننا نعلم أنه لا بد أنه أخذ خبز الفطير، ورفع قبل أن يكسره ليتشاركه الجميع، وقال: "هذا جسدي. هذه الكأس دمي". ولا تُشير الآرامية إلى كلمة "هو" في كلتا الحالتين. وبما أنه يستلهم كلماته من كلمات الفصح "هذا خبز الشقاء" وما إلى ذلك، فيمكننا أن نستنتج أنه كان يقصد فقط أن الخبز يُمثل جسده وأن كأس الخمر تُمثل دمه. وبالنسبة للقارئ الموضوعي، لا يوجد ما يُشير إلى أن يسوع كان يقصد أن الخبز أو الخمر كانا حرفياً أو يحتويان على لحمه ودمه الحقيقيين. لقد كان يستخدم الرمزية في عشاء الفصح لتوضيح عهد جديد من الغفران والتحرر بين الله والبشرية، يُختم بعلامة تضحيتته بذاته من أجل الحب. ولا يوجد أي إشارة هنا أو في أي مكان آخر في العهد الجديد بأكمله إلى أنه كان يؤسس ذبيحة حرفية من جسده ودمه تُقدم وتُعاد تقديمها من قبل طبقة خاصة من الرجال المقدسين تُعرف باسم كهنة التضحية. لا يوجد أي مبرر للفظاظة، إن لم نقل أكل لحوم البشر، وهي أفكار تكمن وراء عقيدة التحول الجوهري في العصور الوسطى. هذا التذكير النشط والفعال لتضحيتته الطوعية بنفسه في الموت يُقصد به أن يكون رابطاً للوحدة بين كل من يتبعه من تلاميذه أو متعلميه، وتعهداً برباط الغفران والمحبة الذي لا ينفصم بين الله والبشرية جمعاء.

وبما أن يسوع نفسه رُفِعَ لاحقاً إلى الألوهية والإلهية الكاملة، وبما أن الجاذبية الدائمة للدين القديم - إمكانية القيام بشيء ما لتصحيح الأمور مع الله - استمرت في تأكيد قوتها، فقد استثمرت الطقوس تدريجياً في هالة تضحية وخارقة للطبيعة تحجب الجمال البسيط لما فعله يسوع أولاً. وفي قلب القوى التي بنت في النهاية نصباً تذكارية للعقائد والمحرمات والطقوس المثيرة للانقسام حول عشاء الرب يمكن تمييز الرغبة البشرية في السلطة. أن يكون لديك القدرة على جعل الله يظهر على المذبح، مع رنين الأجراس وتأرجح المباخر؛ أن يكون لديك السلطة الفريدة لتقديم الذبيحة النهائية أمام العرش السماوي، الله نفسه باعتباره الشخص الثاني من الثالوث الأقدس؛ أن تكون قادراً على تقديم المؤمنين لا شيء سوى الله الحي على ألسنتهم - لا يوجد دور أكثر خطورة (أو أكثر فتكاً) من هذا. يمكن للمرء أن يقتل للحفاظ عليه غير مدنس.

وهكذا نشأ كل هذا الغموض المائل للعنف حول القداس أو القربان المقدس. وأصبح الحرمان الكنسي - أي حرمان المرء من هذه الذبيحة غير الدموية - أفضع تهديد على الإطلاق. لم يكن بإمكان الجلاد قتل سوى الجسد الفاني، لكن سلطة الحرمان الكنسي قد تُرسل الروح إلى جهنم إلى الأبد. وهنا تكمن سلطة الكهنة والأساقفة والباباوات. فإلى جانب القبضة الخائفة التي تُمارسها الكنيسة على المؤمنين بتعاليمها الشاملة عن

الجنس، لم يكن هناك أي وسيلة أقوى لفرض إرادة الكنيسة على من جاء يسوع لتحريرهم من قيود الذنب والدين الذي صنعه الإنسان.

كنت أشعر بتأثر شديد عند الاحتفال بالتناول المقدس. كان ما يُسمى بالحضور الحقيقي بالنسبة لي هو الطريقة التي حلَّ بها الله بروحه في قلوب وعقول وحياة كل من كان يسعى بصدق إلى أن يُقيم هناك. كان الخبز والخمر رمزين قويين لوحدتنا العميقة مع بعضنا البعض ومع أبينا السماوي. أصبح تذكّار موت يسوع الأداة التي تحدانا جميعًا مجددًا لنقتدي به في محبة الآخرين وخدمتهم، حتى على حسابنا الشخصي وربما "صلبنا". في مجرد الأكل والشرب معًا - أي شيء أكثر بساطة؟ - صرنا نرى القداسة في كل مكان حولنا. لم يكن الخبز والخمر علامتين فارغتين تشيران إلى حقيقة روحية؛ بل كما أن تبادل خواتم الزواج ينقل بفاعلية ما يرمز إليه، أصبح تقديم الخبز والخمر وقبولهما عهدًا بين الله والفرد بأن ما يسعى إليه قد تلقاه حقًا في "الشخص الباطن". كنتُ مدرّكًا تمامًا لكيفية قبول الله لنا بغض النظر عن ماضينا، و"عيوبنا"، وحدودنا، وأنا أنزل بين الصفوف وأضع قطع الخبز في أيدي المتناولين. أيادٍ شابة، أيادٍ مسنة، أيادٍ ناعمة، أيادٍ متعبة ومنهكة من العمل والاهتمام - كل زوج يروي قصته الخاصة، ومعًا يُقدمان في صمت أبرع صلوات سمعتها في حياتي. الآن بعد أن توقفت عن أداء الصلوات ككاهن، لا يمكنني القول إنني أفقد كوني المسؤول - على الرغم من أن العديد من الكهنة أخبروني أن هذا هو ما سيفقدونه أكثر إذا تركوا الخدمة المكرسة. ولكن في كثير من الأحيان، كانت الطقوس الطويلة والمطولة تخفي حقيقة نوايا يسوع أكثر مما أستطيع تحمله. أذهب اليوم إلى المناولة المقدسة بشكل أقل تواترًا، ولكن - بشرط أن أتمكن من استبعاد التجالات الكنسية الحتمية في البداية ومعظم الصلوات الأقل أهمية - ما زلت أجد أن السر مصدرًا كبيرًا للقوة. إنه يؤكد الرؤية اليونانية بأن جميع البشر في أعماقهم متصلون، واحد، ثم يرفع هذا الإدراك الجماعي للانضمام إلى وحدة أعمق مع مصدر جميع كياناتنا، الله. لا يزال يبدو لي أن المشاركة في رغيّف واحد والشرب من كأس واحدة باسم يسوع جزءًا أساسيًا مما يعنيه أن تكون مسيحيًا. ولكن لا يوجد هنا شيء من القوة الكهنوتية أو المحميات الخاصة للطبقات الخاصة. لا أرى سببًا يمنع، كلما اجتمع مسيحيان أو ثلاثة، أو أكثر، للعبادة، من اختيار واحد منهم ليرأس وليمة الأسرار. لا يوجد في تعاليم يسوع ما يمنع مثل هذا الاحتفال، وبالتأكيد لا يوجد ما يمنع أن تكون المحتفلة امرأة. وفي التحليل الأخير، فإن محاولة إبعاد النساء عن الكهنوت تعود إلى الخوف من فقدان الامتياز والسلطة الذكورية.<sup>5</sup>

## حول اللاعنف

يُحبّ اللاهوتيون الرومانسيون النظر إلى الكنيسة في بداياتها، ونسبة نقاء الإيمان والممارسة المثالية إلى أعضائها "غير المنقسمين". والحقيقة هي أنه لم يكن هناك وقتٌ اعتُبر فيه ما يُعترف به الآن على أنه عقيدة أرثوذكسية دائمًا، من قِبَل الجميع وفي كل مكان. وكما أشار البروفيسور ل. س. غرينسلاد من كلية كنيسة المسيح بجامعة أكسفورد، "لم تكن الوحدة والشمولية في العصور الأولى مطلقتين قط، إلا من خلال تعريفات لم تصمد أمام اختبار الزمن؛ وإن الإعجاب الخالي من النقد بالكنيسة الأولى لا يُبرّره سوى الإخلاص أحادي الجانب لإيمان العصور الوسطى، أو لكنيسة إصلاحية تقيّة".<sup>6</sup> وكما اختلفت وجهات النظر حول من كان (وما هو) يسوع في العهد الجديد نفسه، فقد اختلفت أيضًا دراسة المسيح في القرون التي تلت ذلك. ولعل الأمر الأكثر إرباكًا للشخص العادي الذي قبل دون نقد الأسطورة القائلة بأن الكنيسة الأولى كانت مجتمعًا

مثاليًا خاليًا من المشاكل ذو عقيدة واحدة، هو العنف الشديد الذي ساد في كثير من الأحيان في المعارك حول العقائد النامية والصراعات على الأبهة والسلطة الكنسية. واليوم ندرك تمامًا فضيحة البروتستانت الذين حاربوا الروم الكاثوليك في أولستر أو المسيحيين الموارنة (تحت حكم روما) الذين يقاتلون المسلمين من أجل السيطرة على لبنان، ولكن هذا العنف الديني السياسي له أصل قديم ومخزي بالفعل. ويؤكد جرينسلاد على هذه النقطة من خلال وصف حلقة مروعة في روما، قرب نهاية القرن الرابع، حيث ذبح المسيحيون مسيحيين آخرين على من يجب أن يكون البابا. عندما رُسمَ الشماس أورسينوس بدلاً من منافسه داماسوس، "أثار الأخير بالرشوة جميع سائقي العربات والحشد الجاهل، واقتحم كنيسة جوليان، مسلحًا بالعصي، وأثار الشغب هناك لمدة ثلاثة أيام، مرتكبًا مجازر كثيرة بحق المؤمنين. وبعد أسبوع، استولى على كنيسة لاتيران مع كل من لم يؤمن، ونصب نفسه أسقفًا". ثم قدم بعض الرشاوى الإضافية، ونُفي أورسينوس، و"بدأ باستخدام القوة ضد علمانيي روما الذين رفضوا الانضمام إليه، فضربهم بالعصي وهاجمهم بطرق أخرى". وعندما أنقذ خصومه سبعة كهنة واقتادوهم إلى البازيليكا، "جمع داماسوس وعصابته من الخونة المصارعين وحفاري القبور وجميع رجال الدين، بالفؤوس والسيوف والهراوات، وحاصروا البازيليكا... وبدأ بعض خدمه بنزع سقف الكنيسة وقتل الناس بالبلاط. ثم اقتحمت جماعة داماسوس البازيليكا، وقتلت 160 من الناس، رجالاً ونساءً، وجرحت عددًا كبيرًا جدًا، مات منهم كثيرون".<sup>7</sup> هذه الرواية، المأخوذة من مصادر معاصرة، متحيزة بشكل واضح - كما هو الحال في معظم التاريخ، فهي تعتمد على من يروي القصة. غير الأرثوذكسيين أو "غير المخلصين" هم دائمًا أولئك الذين على الجانب الآخر. ومع ذلك، تتفق جميع المصادر على أن هذا النزاع على السلطة البابوية قد تم إجراؤه بأقصى درجات القسوة وخسارة كبيرة في الأرواح. وهذا مجرد مثال واحد من بين العديد. بعبارة أخرى، بعد الزواج بين الكنيسة والإمبراطورية في عهد قسطنطين، لم يقتصر العنف المسيحي على الهجمات على غير المؤمنين؛ بل امتد بسرعة إلى عالم السياسة الكنسية والخلاف اللاهوتي. وبما أن هذه التطورات حدثت في وقت كانت فيه العقيدة حول شخص يسوع موضع نقاش ساخن، فإنها تميل إلى دعم أطروحة أن المسيحية كانت تهتم دائمًا بتأكيد وجود إله-إنسان مطلق - المسيح أكثر من محاولة سماع وطاعة ما قاله أو أمر به. ومهما كان نهجنا الأكاديمي للأناجيل، فلا يمكن إنكار أن يسوع في تعاليمه الأساسية دعا إلى اللاعنف ومارسه بنفسه حتى النهاية. لا يمكن التوفيق بين عظة الجبل وأي نظرية حرب، حتى ما يُسمى "حربًا عادلة". ومن المهم بشكل خاص في عصرنا أن يأتي دعم الأسلحة النووية، وفي بعض الحالات، "الضربة النووية الأولى"، من مسيحيي اليمين الأصولي الذين يفتخرون بـ "ولائهم" لكلمة الله وألوهية يسوع الكاملة. إذا درست أدبهم واستمعت إلى مواعظهم، ستجد أنهم لا يتحدثون إلا قليلاً عن محتوى تعاليم يسوع في الأناجيل. إنهم يفضلون كثيرًا كتابات بولس، وخاصة رسالة رومية 13 مع دعوتها إلى الطاعة للدولة و"السلطات القائمة". - إنهم يحبون أيضًا سفر الرؤيا، لكنهم يفشلون في الانتباه إلى التحذير الموجود في الفصل الثالث عشر منه - وهو أن الدولة يمكن أن تصبح بسهولة شيطانية في إساءة استخدام السلطة. وبشكل عام، لا بد من القول إن المسيحيين من جميع الأحزاب والطوائف فشلوا في استيعاب المعنى الكامل لكلمات يسوع حول اللاعنف - باستثناء، بالطبع، أتباع طائفة الكويكرز، والمينونايت، والهوتراييت، وغيرهم ممن ينتمون إلى تقليد السلمية الشاملة. ما ينطبق على اللاعنف ككلّ يصبح أكثر صدقًا عندما نتأمل في أكثر تصريحات يسوع أصالةً وثوريةً على الإطلاق: "سمعت أنه قيل: أحبوا قريبتكم وأبغضوا عدوكم. أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات. فإنه يُشرق شمس على الأشرار على

السواء، ويُنزل مطره على الأبرار والأشرار. فإن أحببتم الذين يحبونكم فأبي أجر لكم؟ أليس جباة الضرائب يفعلون ذلك؟ وإن أحببتم إخوتكم فقط فأبي فضل لكم؟ أليس الأمم يفعلون ذلك؟ فكونوا كاملين [في المحبة] كما أن أباكم السماوي كامل [في المحبة]" (متى 5: 43-8). للوهلة الأولى، يبدو هذا مثلاً مستحيلاً، وبالتأكيد اعتبره معظم الوعاظ على مر العصور كذلك. المشكلة الوحيدة هي أن يسوع لم يكن مثالياً: بل كان براغماتياً، واقعياً أخلاقياً إلى أقصى حد. فهو لا يتحدث عن الأخلاق كمجموعة من القواعد التي فُرضت على البشرية من السماء، بل كوصف للقوانين الداخلية للكون. إنه يُعلّم من منظور شخص رأى أن أي مبدأ أخلاقي، وخاصة المبدأ الأساسي للحب، يصبح "يجب عليّ أن أفعل" نتيجة "وجود شيء ما". يقول إن هذه هي الطريقة التي يعمل بها الكون، وليس "افعل هذا لأنني أقول (أو يقول مرجع آخر) أنه يجب عليك". ومن المفارقات أن الأزمة المعاصرة بشأن الأسلحة النووية والتهديد الحقيقي بمحرقة عالمية - في وقتٍ تُصبح فيه إرادة الله في بناء أسرة بشرية موحدة في متناول أيدينا - هي التي تُلقي بكلمات يسوع عن محبة أعدائنا في ضوءٍ جديدٍ وقوي. في الوقت الحالي، هناك أمرٌ واحدٌ مؤكد: إذا استمرينا في حالتنا الحالية من النمو الروحي المُعَوَّق، وإذا استمرنا في لعب دور "نحن وهم" في مواجهة عالمية مع "أعدائنا"، فسوف تنتظرنا كارثةٌ ما، نحن وكوكبنا. نحن بحاجة ماسةً إلى قفزةٍ فكريةٍ، والأهم من ذلك، قفزةٍ روحيةٍ للأمام، إذا أردنا تجنّب كارثةٍ مُدمرة. علينا أن نُدرك أن كلّ التفكير التقليدي عن "نحن" و"أعدائنا" كان وسيلةً للبشرية، من خلال حكماها السياسيين، لتجنب التعامل مع القضايا الحقيقية التي تُعيق نموّها ومصيرها الحقيقي. ما دام هناك عدوّ، حقيقيٌّ كان أم وهمياً، يُمكن للدول دائماً تجنّب التعامل مع القمع والظلم في الداخل. ما دام هناك من نكرهم، يُمكن لكلّ منا أن يُسقط على "الآخر" جميع الصراعات ونقاط الضعف التي لا نرغب في مواجهتها في أنفسنا أو في مجتمعنا. ما يتّضح سريعاً، عند التأمل في الأمر، هو أن أولئك الذين يُصبحون مهوسين بالعدو، سواءً كان شخصياً أم سياسياً، سيُصبحون في النهاية على شاكلة الشيء المُحتقر. كان يسوع يُدرك تماماً أن المرء يُصبح مثل مُستهدف الكراهية. في أي حرب، مهما اعتقد كل طرف "عدله"، سرعان ما يستحيل تحديد أي قوة هي الأكثر وحشية. وسرعان ما تتطابق الفظائع مع الفظائع، وتصبح الأخلاق نفسها الضحية الأكثر مأساوية. وهكذا، في سعيها لمضاهاة القوة النووية للسوفييت "الطغاة" أو تجاوزها، نصنع أسلحةً أكثر فتكاً، غايتها الوحيدة تهديد أكبر إلغاء مطلق ونهائي لحقوق الإنسان تصوّره البشرية على الإطلاق. محبة الأعداء لا تعني الغباء أو السذاجة أو الجبن. لم يكن يسوع أيّاً من هؤلاء. بل تعني تمني الخير لهم؛ وتعني التخلي عن جميع الصور النمطية العدائية واعتبارهم موضع محبة الله؛ وتعني المبادرة في السعي للسلام معهم. وتعني، قبل كل شيء، تبني منظور ونهج جديدين جذرياً - التخلي عن الخوف. يعلم الله أن طريقتنا القديمة في التعامل مع التوترات الدولية لم تنجح من قبل، وإن لم تنجح الآن فقد تؤدي إلى النهاية. أما طريق يسوع، فلم تُجرّب بعد. لقد حان وقتها.

1. في النصف الأول من القرن الثالث، حث أوريغانوس على أن تتم الصلاة من خلال الابن إلى الأب وحده.
2. إن الكلمات "لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين" لم توجد في أقدم المخطوطات، ولكن تمت إضافتها بواسطة يد لاحقة.

3. قدم هذه العبارة بول تيليش ونشرها جون روبنسون في كتابه "صادق مع الله" (لندن: دار نشر إس سي إم ، 1963 ) ، وهي تتجنب العديد من المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالفكرة التقليدية عن وجود الله " هناك " أو "هناك" في مكان ما؛ فهي تنص على حقيقة أنه في مركز وجودنا .
4. الجنة والجحيم، 9 .
5. في 9 مايو/أيار 1985، أمر مجمع عقيدة الإيمان، الخليفة الحديث لمحاكم التفتيش، بعام من الصمت - لا خطب ولا مقالات ولا كتب - للأب ليوناردو بوف، عالم اللاهوت البرازيلي البارز من حركة التحرير، والذي شكك في سلطة الكنيسة في كتابه " الكنيسة: الكاريزما والقوة " (نيويورك: مفترق طرق، 1985). كما عوقب الأب إدوارد شيلبيكس، عالم اللاهوت الرائد في هولندا، بسبب كتاباته عن يسوع وتحدياته للهيكل الهرمية للكنيسة. في 8 مايو/أيار 1985، عشية زيارة البابا إلى هولندا، صرّح شيلبيكس في تجمع جماهيري في هولندا بأن الهيكل الهرمي للكنيسة "لم يكن مشيئة الله " بل كان نتيجة تطورات في القرن السادس عشر، وأضاف أن تجسيد العصمة في البابا " هو من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية هرطقة واضحة". وقد جُرد عالم اللاهوت الكاثوليكي الشهير هانز كونغ من حقه في هذا اللقب بسبب كتابه "معصوم؟ تحقيق " (نيويورك: دار دوبلداي، 1971)، الذي يُجادل فيه هو الآخر في هذه العقيدة. تشير هذه الإجراءات المتطرفة إلى عزم سلطات الكنيسة على الحد من أي تآكل في السلطة الكهنوتية والبابوية لصالح العلمانيين. (انظر كاثوليك نيو تايمز، المجلد 9، العدد 10 [2 يونيو/حزيران 1985]).
6. إل إس جرينسلاد، الانشقاقات في الكنيسة الأولى (لندن: مطبعة إس سي إم ، 1953 ) ، 15 .
7. المرجع نفسه، ص 15-16 (الخط المائل من عندي).

## يسوع كنبى

### كيف رأى التلاميذ يسوع

وخرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم: من يقول الناس إنى أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: واحد من الأنبياء. فقال لهم: وأنتم من تقولون إنى أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح. وأوصاهم أن لا يقولوا لأحد عنه" (مرقس 8: 27-30) .

في شمال إسرائيل، في مكان يُدعى بانياس (على اسم الإله اليوناني بان)، ينبع أحد منابع نهر الأردن الثلاثة من الصخرة عند سفح جبل الشيخ. لهذا المكان أهمية محورية لدى المسيحيين، إذ يرتبط تقليدياً بإعلان بطرس العظيم إيمانه بأن يسوع هو المسيح الموعود. في الرواية اللاحقة والأكثر اكتمالاً لإنجيل متى، يضيف بطرس إلى عبارة "أنت المسيح" عبارة " ابن الله الحي ". كما يقدم متى الرد الذي يُعد بالغ الأهمية لوجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية حول بطرس كرئيس للكنيسة الأولى والبابا الأول: "طوبى لك يا سمعان بن يونا، فإنه لم يُعلن لك ذلك لحمٌ ودمٌ، لكن أبى الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس [الكلمة اليونانية التي تعني الصخرة] وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي، ولن تقوى عليها أبواب الجحيم. وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات...". (16: 13-20، ترجمة الملك جيمس).

يزعم علماء البروتستانت أن الصخرة التي يقول يسوع هنا إنه سيبنى كنيسة عليه هي الإيمان الذي عبّر عنه بطرس، وليس بطرس شخصياً، وهناك الآن العديد من الروم الكاثوليك الذين يُفرون بأن هذا هو التفسير الأكثر ترجيحاً<sup>1</sup> ويبدو بالتأكيد، كما يواصل متى، أن موقف بطرس بعيد كل البعد عن أي شيء مُنخّل في التعاليم اللاحقة حول البابوية. في الآية 23 فانتهره يسوع بشدة وقال له: «اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس».

ما يهمنا هنا ليس حسم خلافات قديمة بين الطوائف، بل اكتشاف نظرة تلاميذ يسوع إليه. لقد عاشوا معه عن كثب قرابة ثلاث سنوات (إذا اعتبرنا ذلك مدة خدمته)، وعندما سألهم عن رأي الناس فيه، أجابوا بأن معظم الناس اعتبروه أحد الأنبياء. حتى بطرس لم ينظر إليه باعتباره الله في صورة إنسان - وإلا لما تجرأ على محاولة إقناع سيده بالعدول عن الذهاب إلى أورشليم إلى الموت والقيامة، ولما كانت إنكاراته اللاحقة لمعرفة يسوع منطقية إلى حد كبير.

في الواقع، إذا قرأت إنجيل مرقس كاملاً بعناية، ستكتشف أن التلاميذ كانوا يعيدون كل البعد عن إدراك الألوهية المنسوبة لاحقاً إلى يسوع. أولئك الذين كان من المفترض أن يكونوا أكثر قدرة على تمييز ما وراء "التمويه" يُصوّرون على أنهم أغبياء، بل وأغبياء تماماً. لا يفهمون إلا القليل مما يُقال، ناهيك عن معرفة من يُفترض أن يكون يسوع. لقد تخلى عنه جميع الاثنا عشر عند صلبه، وفي البداية لم يُصدّق أحدٌ منهم قصة قيامته. النهاية الأصلية لإنجيل مرقس مفقودة لدينا، لكن أقدم المخطوطات التي لدينا تنتهي بهذه الطريقة: "فخرجوا سريعاً وهربوا من القبر، لأنهم ارتعدوا ودهشوا، ولم يقولوا لأحد شيئاً، لأنهم كانوا خائفين" (16: 8، ترجمة الملك جيمس).

ظنّ بعض العلماء أن مرقس تعمد تصوير التلاميذ بصورة سيئة نوعاً ما لأنه كان مدرّكاً لمشكلة خطيرة. إذا كان يسوع ابن الله بالمعنى اللاحق والأكثر تقليدية، فكيف لم يعرف أقرب رفاقه - شهود معجزاته ومؤتمنوا أعمق تعاليمه - من هو إلا بعد قيامته بوقت طويل؟ تُظهر الأناجيل الثلاثة الأولى، وخاصةً مرقس (1: 44، 5: 6)، يسوع وهو يطلب ممن شفاهم من الشياطين ألا يكشفوا عن هويته. ووفقاً للعلماء (ومعظمهم ألمان) الذين طرحوا فكرة "السر المسياني"، فقد اخترع مرقس هذه الحيلة لشرح لماذا تم إخفاء هوية يسوع الحقيقية عن أولئك الذين سمعوه يكرز ورأوه يشفي.

بالطبع، لا يأخذ مرقس في الاعتبار الاحتمال الآخر، وهو أن يسوع الذي خلقه إيمان الكنيسة الأولى لم يكن متوافقاً تماماً مع يسوع الحقيقي التاريخي. صحيح أن التلاميذ كانوا في حيرة من أمرهم إزاء شخصه ودوره وتعاليمه. لكن الأدلة تشير إلى أنهم لم يتخيلوا قط أنه الله المتجسد، لأن المفهوم نفسه لم يكن قد وُضع بعد. وإلا لكان الأمر مستحيلاً عليهم كما كان مستحيلاً على يسوع نفسه. وعلى كل حال، هو من قال: "لا تدعوا أحداً صالحاً. هناك صالح واحد، وهو الله" (متى 19: 17).

لذلك بالعودة إلى ما ذكره مرقس من أن معاصري يسوع اعتبروه نبياً. وبما أنه لم يكن هناك نبي معترف به في إسرائيل، باستثناء يوحنا المعمدان، لمدة لا تقل عن مئتي عام - فقد كان هناك رثاء شائع في زمن يسوع أن يُحرم شعب الله من صوت النبوة الحقيقية - لم يكن لقب نبي أمراً هيناً. يقول مرقس إن البعض اعتبروا يسوع النبي، الذي سيأتي كإيليا الثاني لئيشر بيوم المسيا.

## الخصلتان

في هذه المرحلة، من المفيد إلقاء نظرة سريعة على دور الأنبياء في الديانة العبرية. يُعتقد عادةً أنهم كانوا أفراداً زاهدين قادرين على التنبؤ بالمستقبل، لكن هذا تحريف. كانوا زاهدين بما فيه الكفاية، رجالاً لديهم رؤية واضحة لطبيعة الله وكيونته؛ وكثيراً ما كانوا، مثل عاموس، يأتون من البرية برسالة صارمة عن دينونة وشيكة. ومع ذلك، وكما تشير الكلمات اليونانية (pro phetes) خلف أسمائهم، فإن وظيفة الأنبياء لم تكن التنبؤ، بل "إخبار" الكلمة التي وضعها الله على عقولهم وقلوبهم. صحيح أنهم كثيراً ما يتحدثون عن عقوبات أو جزاءات على وشك الوقوع على الأمة اليهودية. لكن لوحاتهم مرسومة بخطوط عريضة للغاية. إنهم رجال يستطيعون "قراءة علامات الأزمنة" وتمييز العواقب التي ستنبعها حتماً في الحاضر. أقول "حتمًا تقريبًا" لأن الهدف الأساسي من أقوال الأنبياء هو إقناع الناس بالتوبة وتجنب الشرور التي لا مفر منها. لم يدعوا وجود تنبؤات مفصلة بالمستقبل، كما يفعل بعض علماء النفس المعاصرين. بل طبّقوا على الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية في عصرهم قراءتهم لشخص الله ومشيئته. وحدّروا من أن أي تقصير في هذا المعيار لن يؤدي إلا إلى كارثة. وكانت الكوارث المختلفة التي أعلنوا عنها جميعها ضمنية في المواقف الخاصة التي واجهت شعب الله المختار آنذاك.

إن الشيء العظيم في الأنبياء هو إصرارهم على أن الخبرة والمعرفة بالله لا تأتي من التقوى الدينية الطقسية - ولا من التضحيات والقرايين والطقوس التي يديرها الكهنة أو الوسطاء الآخرون - ولكن من لقاء مباشر مع واقع حي. لا تأتي سلطتهم من الدين المنظم أو المؤسسي ولكن من شعورهم المباشر بالدعوة من الله نفسه. يعبر عاموس عن ذلك على النحو التالي: "لقد تكلم الرب [معي]؛ ماذا يمكنني أن أفعل سوى التنبؤ؟" (3: 8). كان هذا الشعور بالفورية والمباشرة في معرفة الله هو الذي جلب الأنبياء إلى صراع حاد ومستمر مع التيار الآخر في الدين العبري، وهو العبادة أو العبادة المنظمة التي كانت حكرًا على طبقة خاصة من الناس، الكهنة. في زمن سليمان أتت هذه العبادة بثمارها في الهيكل. ومع ذلك، منذ الأيام الأولى، وضعت اليهودية نظامًا متقنًا من المحرمات والقواعد والطقوس التي يجب مراعاتها في العبادة الصحيحة لله القدير. أصبح الهيكل، الذي بناه سليمان أولاً، ثم الذي بناه حزقيا وأكملاه هيرودس الكبير، محور هذه العبادة العظيمة. كان لا بد من استرضاء الله من خلال الالتزام بالشريعة الدينية. كانت مفاتيح هذه المملكة في أيدي الكهنة، وخاصة رؤساء الكهنة الذين كانوا يدخلون قدس الأقداس مرة واحدة سنويًا في يوم الغفران لتقديم التضحيات والتكفير عن خطايا الجميع. وبهذه الطريقة، لا يكون الوصول إلى الله فورياً ومباشراً، بل يُوصَل إلى البشرية من خلال آخرين مميزين ومُختارين عشائرياً لهذه الوظيفة.

الآن، من المهم أن نتذكر أن جميع الخطوات الرئيسية نحو فهم من هو الله وكيف هو حقًا، وما يريده من شعبه أن يكونوا ويفعلوه، جاءت من أفواه الأنبياء. لنكن صادقين تمامًا. إن صور الله في الكتاب المقدس قبل المسيحية - العهد القديم - فظة، انتقامية، وغير أخلاقية. غالبًا ما يُصوّر الله كإله قبلي غاضب، متعسف، متعطش للدماء، يهتم بـ "شرفه" وامتيازاته أكثر من اهتمامه برفاهية البشر. إننا مدينون للأنبياء (وكاتب المزامير) بمفهوم الله كربّ محب، غفور، ساع إلى السلام، يتوق إلى عودة "أبنائه" ليجدوا الغفران والكمال (الخلاص). إننا مدينون للأنبياء بالرؤية المؤثرة لرغبة الله في العدل والرحمة للمظلومين والمحتاجين في الأرض. إنه راعي الماشية السابق عاموس الذي صرخ قائلاً إن الله لا يبالي بالمرحقات و"ضجيج

التجمعات المهيبية" بينما يزدهر الظلم. ويكتب ككلمة الله: "ولكن ليَجِرِ الحق كال مياه، والبر [المعاملة الصحيحة، والإنصاف] كنه هائل" (5: 24).

أعد قراءة إشعياء في ترجمته الحديثة، وستُصدم بشدة بالطريقة التي يجلد بها معاصريه لارتكابهم مظاهر تدين مُبالغ فيها، بينما يتجاهلون الفقراء أو يخدعونهم. يُحذّر من أنه بدلاً من الطقوس المُعدّة، يريد الله علاقات عادلة بين جميع أنواع الناس وظروفهم: "تعلموا فعل الخير؛ اطلبوا العدل، أنصفوا المظلوم، أنصفوا اليتيم، دافعوا عن الأرملة". والجدير بالذكر أن الغفران متاح كاملاً ومجانياً - بدون رئيس الكهنة: "إن كانت خطاياكم كالقرمز، فهي بيضاء كالثلج، وإن كانت حمراء كالودود، فهي كالصوف" (1: 16-20).

ليس من المستغرب أن يكون هناك دائماً تقريباً توتر حاد في الكتاب المقدس بين الكهنوت أو الطقوس والنبوة. فالمؤسسة الكهنوتية، بامتيازاتها وهيبتها وسلطتها الهائلة على أرواح الناس، تتفاعل بشكل طبيعي مع الرعب تجاه أي شخص يأتي دون دعوة، دون مؤهلات مناسبة - نسب قبلي أو تدريب أو اعتراف رسمي - ويجرؤ على التحدث باسم الله ضد أولئك الذين يُفترض أنهم متخصصون في الدين. وكان رد فعلهم، ليس فقط في العصور التوراتية ولكن على مر العصور، هو الصدمة والغضب، وفي النهاية العنف. فعظم الأنبياء، كما تذكرنا رسالة العبرانيين، ماتوا ميتة مروعة على أيدي من يُزعم أنهم قديسون. وبالمثل، كان من المقرر أن يُقتل يسوع نفسه على أيدي الرومان وبناءً على طلب رئيس الكهنة. دائماً ما تُكرّم المؤسسة الدينية التقليدية ذكرى الأنبياء في القرون التي تلت ذلك، لكن الأنبياء أنفسهم يُقتلون. إنهم يهددون كثيراً. إذا كان الله معروفاً بأعمال العدل والرحمة لا بالطقوس، وإذا كشف عن ذاته دون تدخل الجهاز المقدس ومسؤوليه، وإذا غفر دون تضحيات، فإن التسلسل الهرمي بأكمله وسبب وجوده يصبحان موضع تساؤل. وقد ينهار البناء بأكمله.

عندما نفكر في جانبي الدين العبري (وإلى حد ما ينطبق التمييز في الديانات الأخرى أيضاً) يبدو من الواضح أن يسوع كان على الجانب النبوي بقوة. من الواضح أنه أكد على أن الاحتفالات الدينية الخالية من الحقيقة في الجزء الداخلي - أي التي لا تتوافق مع السلوك الملموس وطريقة الحياة - كانت أسوأ من عديمة الفائدة. إنه لا يتجاهل الهيكل أو الجانب الطقسي، ولكن محور رسالته هو حقيقة اللقاء المباشر مع الله وللأعمال التي يجب أن تتبع بالضرورة دائماً من نفس الشيء. إن أقوى إِداناته، مثل إِدانات أنبياء العهد القديم قبله، موجهة دائماً إلى الرجال المقدسين المحترفين. النفاق الديني أسوأ بكثير من خطايا العاهرات وجباة الضرائب. أولئك الذين يتظاهرون كثيراً بتدينهم وتقواهم يذهبون إلى ملكوت السماوات بعد أولئك الذين يعتبرونهم خطاة.

في لقاءاته مع الفريسيين، الطائفة التي سعت جاهدةً إلى مراعاة كل جزء من قواعد الطقوس، أكد يسوع صلته بالتقليد النبوي من خلال الاستشهاد المتكرر بآيات إشعياء. فعلى سبيل المثال، عندما انتقده الفريسيون هو وتلاميذه لتناولهم الطعام دون مراعاة الغسلات الطقسية اللازمة، أجاب يسوع: "حسناً تنبأ إشعياء عنكم أيها المرأون، كما هو مكتوب: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني. وباطلا يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس. لأنكم تتركون وصية الله، وتتمسكون بتقليد الناس، كغسل الأواني والكؤوس، وأموراً أخرى كثيرة مماثلة تفعلونها. فقال لهم: حسناً ترفضون وصية الله لتحفظوا تقليدكم الخاص" (مرقس 7: 9-1). ثم، بأسلوب مميز لنظرة الأناجيل إليه، وفي توافق تام مع الأنبياء، فإنه يتجاوز بشكل جذري تقواهم الخارجية إلى جوهر الأمر الداخلي الروحي: "ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه، ولكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجسه" (الآية 15).

يتناول لوقا موضوع نبي يسوع بشكل أعمق، إذ يُظهره في بداية خدمته وهو يتحدث في مجمع الناصرة. يقف لوقا ليقراء، ويختار مقطعاً من إشعياء: "روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأشفي المنكسري القلوب، وأبشر بالخلاص للأسرى، وأعيد البصر للعمي، وأطلق سراح المنسحقين، وأبشر بسنة الرب المقبولة". ويكمل، جالساً في دور الحاخام أو المعلم التقليدي: "اليوم قد تم هذا المكتوب عليّ مسامعكم" (4: 17 وما يليه، ك١٧). بوضعه هذه الحادثة في بداية خدمته العلنية، يُقدم لوقا لنا رؤيته لبرنامج عمل يسوع، وفهمه لما جاء يسوع ليفعله. كما سنرى، لهذا المقطع أهمية بالغة لفهمنا المعاصر لشخصية يسوع بالنسبة لنا. ولكن، يكفي الآن أن نؤكد أن الأسلوب النبوي كان يشعر فيه يسوع بالراحة التامة.

إذا بقي أي شك، فما على المرء إلا أن يقرأ ما يلي في رواية لوقا. عند سماع ادعائه بأداء الدور الذي وصفه النبي إشعياء، امتلأ مجتمع المدينة بالدهشة، وإلى حد ما، بالصدمة. قالوا لأنفسهم: "أليس هذا ابن يوسف؟" (الآية 22). بعبارة أخرى، معتقدين أنهم يعرفون جذوره، فقد اندهشوا من لطف كلامه وجرأته. شعر يسوع بمشاكلهم، فقال: "بالتأكيد ستقولون لي هذا المثل - أيها الطبيب، اشف نفسك؛ افعل في وطنك ما سمعنا أنك فعلته في كفرناحوم. ولكن الحق أقول لكم: لا يُقبل نبي في وطنه" (الآيات 23-24). ثم، مؤكداً النقطة، يواصل تذكيرهم بنشأته من حياة اثنين من الأنبياء المشهورين قديماً، إيليا وإليشع.

حتى في الإنجيل الرابع، مع فهمه المتطور لشخصية يسوع، هناك آثار بدائية لرؤيته كنبي أو، في الواقع، ذلك النبي الأخروي العظيم الذي سيسبق المسيح. في الإصحاح الثالث، يشير نيقوديموس إلى يسوع بأنه حاخام و"معلم من عند الله". بعد معجزة الخبز والسمك (6: 1 وما يليه)، بدأ الجمع يرددون: "هذا هو النبي الآتي إلى العالم حقاً" (ترجمة الملك جيمس)، وتُظهر الآية 16 أن البعض أرادوا تنصيبه ملكاً. في الإصحاح التالي (7: 40 وما يليه)، يتكرر هذا المفهوم: "قال كثيرون: هذا هو النبي حقاً. وقال آخرون: هذا هو المسيح. وقال آخرون: أفيأتي المسيح من الجليل؟" وأخيراً، قال الرجل الأعمى الذي شفاه يسوع للفريسيين: "إنه نبي" (9: 17). (في الواقع، تُعدّ المعجزات التي صنعها يسوع بحد ذاتها رابطاً آخر مع التقليد النبوي - انظر أدناه، الصفحات 63-68).

## نهاية الدين؟

الآن، بالنظر إلى الأدلة الوفيرة على أنه ليس فقط معاصريه ولكن يسوع أيضاً اعتبر نفسه نبياً لله - على الرغم من أنه كما سنرى كان أيضاً أكثر من ذلك بكثير - فمن المثير للاهتمام أن نرى كيف قلبت المسيحية الوضع. لقد عاملته الديانة المنظمة التي تدعي اتباع يسوع كما لو كان ثابتاً على جانب النهج الطقسي أو الكهنوتي لله، الماء الحي. لقد جعلت الكنيسة نفسها بمثابة الموزع الأسمى للنعمة، أو حضور روح الله الممكنة. بينما كانت رسالة يسوع واحدة من الرسائل الفورية، والشاملة، مع الوصول المباشر إلى أبيه، والمغفرة الكاملة والحررة لأي شخص يطلبها، فقد نصبت الكنيسة نفسها وسيطاً بين الله والبشر؛ بدلاً من الوصول المباشر لدينا تسلسل هرمي من الكهنة والأساقفة ورؤساء الأساقفة يقفون بيننا وبين الله. من الطبيعي أن تُعلن الكنيسة أن يسوع هو الوسيط الأسمى - مع أنه لم يدع ذلك لنفسه قط - ولكن هذا يجعله شخصياً بعيدة جداً لدرجة أن هناك حاجة إلى مجموعة من الوسطاء الآخرين أيضاً: العذراء مريم، وجيش من القديسين المميزين، وبالطبع البابا. في زمن الإصلاح البروتستانتي، في القرن السادس عشر، كانت

استعادة الكتاب المقدس كحكم نهائيّ على الإيمان والأخلاق يعني أنه قد أزيلت العديد من هذه العوائق. إلا أن التجديد لم يكتمل. فقد أُقيم الكتاب المقدس نفسه وسيطاً - إلى جانب المسيح - بين المؤمن وإلهه. وفي الوقت نفسه، معلنين أن المغفرة والخلاص يأتيان بالإيمان وحده (sola fide)، في حين جعلت البروتستانتية التوبة والإيمان أو التحول نوعاً من "العمل" أو الفعل الجدير بالاستحقاق ضرورياً للخلاص.

الحقيقة هي أن يسوع جاء، بمعنى جذري للغاية، لإلغاء الدين وجميع أدواته الطقسية التي يضعها في طريق معرفة الله. لفهم ما أقصده، فكر للحظة في طبيعة وجوهر الدين نفسه. تتكون كلمة Religio، وهي الكلمة اللاتينية التي نترجمها إلى "دين"، من عنصرين: re (مرة أخرى أو من جديد) و ligio (تشير إلى ربط أو ربط معاً، كما في "رباط"). ما يدور حوله الدين في الأساس هو محاولة البشرية لتجديد رابطتها مع الله. يصف المصطلح في جوهره جهودنا، من خلال الطقوس والعقائد والاحتفالات والاحتفالات، لعلاج الشعور بالانكسار أو الاغتراب الذي نشعر به في أصل وجودنا. هناك وعي شبه عام بأننا بطريقة ما قد أبعدنا عن موطننا الروحي الحقيقي؛ من الناحية اللاهوتية، لقد أخطأنا جميعاً وحرماناً من مجد الله. تكمن مشكلة الدين في أنه في الواقع يزيد الوضع سوءاً وهو الذي كان من المفترض أن يصححه.

قبل أن نوضح كيف يحدث هذا، تجدر الإشارة مجدداً إلى أنه في روما القديمة، كان اسم رئيس الكهنة هو Pontifex Maximus. أما Pontifex تعني "صانع الجسور"، وبالتالي كان رئيس الكهنة هو صانع الجسور الرئيسية بين الإنسان والله، مؤدياً العمل الرئيسي للدين بتقديم الذبائح لإعادة توحيد الله والإنسان من خلال استرضاء غضب الله. وبالمثل، يُزعم أن البابا، بصفته الحبر الأعظم، يحمل مفاتيح تحديد من سيجد المصالحة مع الله ومن لا يجدها.

تكمن مشكلة الدين في أنه، في محاولاته البشرية المفرطة للتصالح مع الله، يُمزق الواقع الإنساني تمزيقاً عميقاً. إنه يُمزق أكثر مما يُشفي. وفوق كل شيء، يُقسّم الحياة إلى مقدس وغير مقدس: هذه الأشياء، والأفعال، والملابس، والأماكن، والكلمات، والأوقات، والأشخاص، إما مقدسة أو دنيوية؛ أما الباقي فهو علماني أو دنيوي. وهكذا، لدينا ثنائية الجسد والروح الكارثية في التاريخ الديني، وهي ثنائية تُظهر نتائجها حتى اليوم في الفهم الكنسي السلبي للجنس والجسد. هوس الكنيسة، وخاصة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، بالجنسانية؛ وقواعد العزوبة والطلاق وتنظيم النسل؛ حتى مسألة رسامة النساء - كل هذه نتائج الانقسام. يكمن سبب قدرة كنيسة العصور الوسطى وما بعدها على ارتكاب هذه الأفعال الوحشية ضد الناس باسم يسوع في الاعتقاد بأن الجسد نفسه إما شرير أو لا قيمة له. اعتبر معذبو محاكم التفتيش الألم الذي أحقوه ضئيلاً مقارنةً بمجد إنقاذ روح خالدة.

إضافة إلى ذلك، وكما أشار ديتريش بونهوفر مراراً، يسعى الدين أيضاً إلى امتيازات خاصة لنفسه - الثروة والسلطة والهيبة. ومن وجهة نظر بالغة الأهمية، فإن الدين المنظم برمته هو شكل غير مباشر من أشكال السعي إلى السلطة والسيطرة. ومن أسباب أهمية الجنس في العقيدة الكنسية أنه النقطة الحميمة التي يكون فيها البشر أكثر عرضة للضوابط المفروضة من الخارج. إن قدرتنا على الشعور بالذنب المفروض تجعلنا عرضة للتلاعب من قبل الآخرين.

عند التأمل في حياة يسوع وتعاليمه، لا يسعني إلا أن أستنتج أن معظم أدوات الدين المؤسسي تتناقض مع رسالته المركزية. لم يأت ليتحدث عن الدين بل عن الحياة، ولم يُقسّم الواقع بل أكد وحدته الجوهرية، داعياً إيانا لا إلى السلطة والهيبة بل إلى العبودية المتواضعة. لم يضع يسوع قواعد أو يُنشئ طبقات من الوسطاء المقدسين لكي نجد الله. بل جاء مؤكداً أن الغفران كامل ومجاني الآن لكل من يلجأ إليه. وكما في مثل الابن

الضال، فإن الآب السماوي لا ينبغي أن يُشترى بالطقوس، بل ينتظر عودتنا قبل أن ندرك أننا " قد ضلنا ". يسعى الدين دائماً إلى التأكيد على ما يجب علينا فعله لننال الكمال أو الخلاص. رسالة يسوع هي: استرخ وثق - ملكوت الله قريب، حتى في داخلك؛ ما عليك سوى أن تُدرك هذا لتدخل فيه بالكامل. من المثير للاهتمام للغاية أنه بينما نتحدث أجزاء من العهد الجديد عن يسوع ككاهن أو رئيس كهنة - فإنه لا يوجد أي ذكر على الإطلاق لطبقة خاصة من المسيحيين الذين يُطلق عليهم اسم الكهنة - بل لا يتحدث عن نفسه أبداً بهذه الطريقة. إنه يرى نفسه راعياً أو حَبيراً أو معلماً أو نبياً أو سيِّداً، ولكن ليس في دور من يقف مرافعاً بيننا وبين الله. ولا يذكر في أي مكان في الأناجيل الثلاثة الأولى أنه يجب على المرء الانتظار حتى تاريخ بعيد - مثلاً بعد صلبه وقيامته - ليُغفر له ولا أن يستقبل حضور الله، الروح القدس، في داخله. فالغفران حاضر الآن كمعطي من معطيات الكون الذي خلقه الآب. الله يمنح الروح القدس لمن يطلبه، أسرع مما يُعطي أي أب خبزاً لطفله الجائع.

1. انظر، على سبيل المثال، جان تيلارد، أسقف روما، سلسلة اللاهوت والحياة، المجلد 5 (ويلمنجتون ، ديل: مايكل جلازير ، 1983)

## الإنجيل الرابع

لقد علق علماء المسيحية على الاختلافات الشاسعة بين إنجيل القديس يوحنا والأناجيل الثلاثة الأولى، أو الأناجيل الإزائية، منذ آباء الكنيسة في القرن الثاني. فقد أطلق عليه إكليمدس اسم "الإنجيل الروحي"، وقال المؤرخ يوسابيوس إنه كُتب لتكملة الأناجيل الثلاثة الأولى بمواد إضافية عن المرحلة الأولى من خدمة يسوع. لكن التباين في الواقع أكبر من ذلك بكثير - فمع يوحنا، نحن في عالم مختلف تماماً تقريباً. والاختلافات ليست مجرد مسألة محتوى إضافي أو "روحي".

هناك، على سبيل المثال، اختلافات واضحة في التسلسل الزمني. ففي الأناجيل الثلاثة الأولى، يأتي تطهير الهيكل في نهاية خدمة يسوع، مما يُعجل الأزمة التي أدت إلى "محاكمته" وقلته. أما في إنجيل يوحنا، فيُوضع هذا الحدث نفسه في بداية خدمته العلنية، ومن الواضح أن المؤلفين يقصدون به أن يرمز إلى حقيقة

أن مهمة يسوع هي تنقية إيمان إسرائيل وتطهيره. ويزعم المحافظون المتشددون الذين يُصرّون على التفسير الحرفي أنه لا بد من حدوث تطهيرين للهيكَل، لكن هذا يُجنّب المشكلة، لا أن يحلها. وهناك اختلافات زمنية أخرى أيضاً، بما في ذلك تاريخ عشاء الرب أو القربان المقدس، وحتى مدة خدمة يسوع نفسها.

بينما لا يذكر مرقس أي قصة ميلاد على الإطلاق، إذ يبدأ روايته بخدمة يوحنا المعمدان، فإن كلاً من متى ولوقا يروي "قصة عيد الميلاد" بالإضافة إلى سلسلة النسب. على النقيض من ذلك، لا يذكر يوحنا شيئاً عن المجوس أو بيت لحم، بل يبدأ بمقدمة رائعة تضع مجيء يسوع على مستوى كوني. الكلمة المتجسد (يوحنا ١: ١٤) هو نفس الكلمة الذي كان في البدء مع الله. في الواقع، هذه الكلمة هي الله. هو فاعل الخلق. لا يوجد ذكر هنا (أو في أي مكان في هذا الإنجيل) لميلاد عذراوي؛ هذا المجيء هو لمخلوق أبدي أصبح إنساناً مع أنه في الحقيقة "المولود الوحيد للأب" - ابن الله الفريد (على الرغم من أن الآية 12 تنص بوضوح على أن أتباع يسوع قد أعطوا أيضاً "السلطة لكي يصبحوا أبناء الله").

تُحذّرنا مقدمة إنجيل يوحنا، إذن، منذ البداية من أن هذا الإنجيل سيختلف جذرياً في لهجته عن غيره. فبدلاً من تقديم يسوع كمسيح مخفي، أو متردد في الكشف عن هويته الحقيقية - كما في الأناجيل الثلاثة الأولى - يُقدّمه يوحنا فوراً كابن الله وملك إسرائيل. وهكذا، على عكس الأناجيل الإزائية، التي تُلزمننا بالانتظار حتى اعتراف بطرس بإيمانه بيسوع كمسيح في قيصرية فيلبس،

يُقدّم يوحنا مُعتقاً غامضاً للدين، وهو شخصية ثنائيل، الذي يُعلن بوضوح عن العقيدة الأرثوذكسية في الإصحاح الأول (1: 49). يخطو يسوع عبر المسرح كشخصية مهيبّة وثاقاً منذ البداية بأنه ابن الله. وفي حديثه مع المرأة السامرية عند البئر، لم يتردد يسوع في إخبارها أنه المسيح: "قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسياً يأتي، الذي يقال له المسيح. متى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: أنا الذي أكلّمك هو" (4: 25-6).

لا يمكن التأكيد بشدة على أهمية هذه التباينات. في حين أن هناك بعض العناصر التاريخية البدائية الواضحة في هذا الإنجيل (والتي تُظهر أن أجزاء من التقليد الذي يستند إليه تعود، إن لم يكن إلى التلاميذ أنفسهم، فعلى الأقل إلى مصدر قريب منهم)، ومع ذلك فإن فهمه وتصويره لشخص يسوع لا يتزامن بأي حال من الأحوال مع فهم الأناجيل الإزائية وتصويرها. يعترف العلماء، الذين كتبوا مكاتبات كاملة حول هذه المشكلة، بعدد من المراحل في صياغة هذا الإنجيل. ربما اكتمل في شكله الحالي بين عامي 90 و100 بعد الميلاد. إن الكريستولوجي (علم ما يخص المسيح) الخاص به ليس هو الكريستولوجي الخاص بالتلاميذ الأوائل أثناء خدمة يسوع الأرضية بل هو الكريستولوجي الخاص بالكنيسة بعد القيامة. بعبارة أخرى، إنه قراءة في حياة يسوع للمعتقدات التي تشكلت بعد عيد الفصح الأول. يعتقد بعض الخبراء أن جزءاً كبيراً من مواد الخطاب الفعلية - وهي المقاطع الطويلة التي يُصوّر فيها يسوع وكأنه فيلسوف يوناني أكثر منه يهودي في فلسطين (انظر، على سبيل المثال، الفصلين 15 و16) - يعود أصلها إلى نبوءات أو أقوال مُبهجة أطلقها قادة كاريزماتيون في الكنيسة الأولى. وهكذا، فإن الادعاءات العلنية بالنبوة الفريدة تُرى ليس كأقوال يسوع التاريخي، بل كتصريحات عقائدية لاحقة وُضعت على شفثيه. وهذا يُفسر، على سبيل المثال، لماذا لم يُسجل متى أو مرقس أو لوقا الادعاء الطاعي (الذي أدى إلى "لاهوت العداة" في المسيحية) - "أنا الطريق والحق والحياة. لا أحد يأتي إلى الأب إلا بي" (١٤: ٦). إنه أمر لم ينطق به يسوع التاريخي قط.

إذا قرأت الأمثال في الأناجيل الثلاثة الأولى، ثم قارنت أسلوبَ التدريس المميزَ هذا بأسلوبِ يوحنا في حديثِ يسوع، ستُدركُ مرةً أخرى أننا نتعاملُ مع روايتين مختلفتين تمامًا لما حدث. لا يُمكنُ الجمعُ بينهما. فإما أن يسوع تكلمَ بالطريقة التي رواها بها مرقس (4: 34)، من خلالِ أقوالٍ مُقتضبةٍ وأمثالٍ وقصصٍ أخرى، أو أنه علّمَ عن طريقِ الخطاباتِ المطولةِ والمتشابهةِ - بل والمعقدةِ - المُدوّنةِ في إنجيلِ يوحنا. الأسلوبانِ مُتعارضانِ بشكلٍ مُتبادلٍ.

تختلف معالجة معجزات يسوع اختلافًا كبيرًا بين المعسكرين. يخبرنا يوحنا أن المعجزات هي "آيات"، أي أن وظيفتها هي تسليط الضوء على هويته وما جاء من أجله. وهكذا يضع يوحنا الآيات السبع (الرقم نفسه يرمز إلى الكمال) في إنجيله في نقاط استراتيجية.

على سبيل المثال، لا يبدو أن معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (٢: ١ وما يليه) مبنية على حقائق تاريخية بحتة. فقد سُجّلت فقط في الإنجيل الرابع - بما أن بطرس والآخرين كانوا هناك، فمن الغريب أن يصمت مرقس عن مثل هذا الحدث - ويبدو أنها لعبت دورًا متمددًا في خطة الإنجيلي لإظهار يسوع وتعاليمه على أنها أسمى من النظام القديم لليهودية: فمقارنة الاثنين أشبه بمقارنة الخمر بالماء؛ فيسوع، كديونيسيوس في الأساطير اليونانية، يُضفي على الحياة لوناً جديدًا ودفءً وفرحًا. في الواقع، يقول يوحنا بوضوح تام إن الأواني الحجرية الستة الضخمة التي امتلأت بالماء بأمر يسوع، والتي عند سكبها، أنتجت خمرًا أجود بكثير مما كان يُقدّم بالفعل - "لقد حفظت أجود الخمر إلى النهاية!"، صاح رئيس المأدبة المندهِش - كانت أوانٍ تُستخدم للتطهير الطقسي "على طريقة تطهير اليهود" (٢: ٦). هذه هي الطقوس اليهودية التي حجبها يسوع، في نظر يوحنا، وغيّرها. ويضيف أن هذه كانت أول معجزة أو آية صنعها يسوع، لأنه أراد أن يُرسخ الخدمة بأكملها على هذا السياق. قصة قيامة لعازر من بين الأموات في هذا الإنجيل نفسه مثال آخر، مشهور بالصعوبات التي يطرحها. هذه الآية السابعة والأخيرة من آيات يوحنا التي قيل إن يسوع "أظهرها" ليست موجودة في مرقس أو متى أو لوقا. ومرة أخرى، لدينا مشكلة في سبب ذلك، لأن مثل هذه المعجزة، لو حدثت بالفعل، لكانت قد أصبحت معروفة على نطاق واسع. من الصعب تصديق أن قيامة صديق مقرب ليسوع لم تكن لتظهر بشكل كبير في، على سبيل المثال، عظات بطرس، وبالتالي وجدت طريقها إلى إنجيل مرقس. يضاف إلى هذه المشكلة حقيقة أن لعازر القائم من بين الأموات لم يقل ولم يفعل أي شيء جدير بالتسجيل. أخيرًا، بينما تُصوّر الأناجيل الثلاثة الأولى تطهير يسوع للهيكل على أنه الاستفزاز الأخير للسلطات، يقول يوحنا بوضوح إن قيامة لعازر، وما نتج عنها من تحولات، هي التي عَجّلت بصلبه: "فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقْتلوه" (11: 53). لا يسع المرء إلا أن يستنتج أن هدف يوحنا الرئيسي من سرد القصة وروايتها هو هدف لاهوتي. إنها علامة على قيامة يسوع نفسه، وتتيح الفرصة لقول: "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي، ولو مات، فسيحيا" (11: 25).

هذه الأمثلة كافية لتوضيح سبب استحالة فهم الإنجيل الرابع حرفيًا، خاصةً مع ادعاءات يسوع الاستثنائية. لسنا هنا بصدد التاريخ، بل بصدد التأويل اللاهوتي لمن آمنوا بالمسيح القائم من بين الأموات. وهذا أمر بالغ الأهمية، خاصةً وأن إنجيل يوحنا أصبح المصدر الرئيسي للعقيدة حول شخصية يسوع في القرون اللاحقة. وانطلاقًا مما كان بالفعل نتاجًا لعقيدة لاهوتية متطورة، واصل آباء الكنيسة عملية تطبيقها حتى خاتمتها العقائدية النهائية.

١. بينما أكتب هذا، يقوم البابا يوحنا بولس الثاني بجولة في أمريكا اللاتينية. ووفقًا لتقرير إخباري لوكالة رويترز، فقد أخبر حشودًا من المؤمنين في ميريدا، فنزويلا، أنه بصفتهم كاثوليك صالحين، يجب عليهم ألا يشككوا أبدًا في أي من تعاليم الكنيسة؛ فالإخلاص للإنجيل يعني " قبول السلطة التعليمية بطاعة ونشر تعاليمها" (تورنتو ستار، ٢٩ يناير ١٩٨٥). يبدو هذا التصريح متناقضًا بشكل غريب مع أمر يسوع بأن يحب المرء الله بكل عقله، ومع إصرار كتاب الصلاة المشتركة على " الرجاء المعقول " (BCP Canada [١٩٥٩]، ٥٩٩). والحقيقة أن البابا يخشى أن ينهار البناء بأكمله إذا بدأ المؤمنون في طرح الأسئلة؛ وهذا موقف شائع في كنائس أخرى أيضًا.

## أعمال الرسل

يرجع العلماء المعاصرون عمومًا تاريخ سفر أعمال الرسل، وهو الكتاب الخامس من العهد الجديد، إلى ما بين عامي 80 و90 ميلاديًا. ويزعم العمل نفسه أن لوقا، رفيق سفر القديس بولس، هو مؤلفه، ويبدو أن هناك القليل من الأسباب للشك في ذلك. ومع ذلك، فإن اهتمامنا الخاص ينصب على الكريستولوجي (علم المسيح) الذي يحدده سفر أعمال الرسل. إن سفر أعمال الرسل له أهمية كبيرة لهذا الاستفسار عن هوية

يسوع لأنه يحتوي على أدلة لا جدال فيها على محتوى الوعظ المبكر للرسول أنفسهم. لا أجد هنا أي إشارة إلى إله موجود مسبقاً وجزء من الله منذ البداية، والذي ينزل لزيارة الأرض لمدة ثلاثة وثلثين عاماً (أو أي رقم تحدده حياة يسوع)، ويُقتل، ويقوم مرة أخرى بقوته الخاصة، ويعود إلى مكانه الأصلي باعتباره الشخص الثاني من الثالوث الأقدس.

في أعمال الرسل، كان يسوع دائماً خاضعاً لـ "الله"؛ لم يُقام من بين الأموات بقوته الفطرية كإله، ولكن لأن "الله أقامه"؛ ويُتحدث عنه عمومًا بطريقة تدعم الموقف الأريوسي أكثر بكثير من أي شيء يشبه الأرثوذكسية التقليدية (أي أن يسوع لم يُنظر إليه على أنه الابن الأزلي ولكن كمخلوق من قبل الله ليكون وكيله في الخلق، إلخ).<sup>1</sup> بالتأكيد يُعلن أنه الرب (kurios)، والمسيح، وابن الله، ولكن لا يعني أي من هذه الألقاب أن يسوع يساوي الله أو هو الله. استمع إلى الرسول القديس بطرس مباشرة بعد العنصرة الأولى: "أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري، رجل قد تبرهن الله عليه بينكم بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون... " (2: 22، ترجمة الملك جيمس). لاحظ أنه يُتحدث عن يسوع كرجل تبرهن الله عليه؛ الآيات أو المعجزات صنعها الله مستخدماً يسوع وكيلاً أو رسولاً له. توضح الآية ٢٤ أن الله هو الذي أقام يسوع من بين الأموات: "الذي أقامه الله...". وقد ذكرت هذه الحقيقة مرتين في الآية ٢٤، وتكررت في معظم العهد الجديد.

يُضاف تأكيد رئيسي آخر في الآية 36، حين يقول بطرس: "ليعلم جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع نفسه، الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً". يجب التشديد على عبارة "جعل الله" يسوع رباً ومسيحاً؛ فإذا جُعل رباً أو سيّداً ومسيحاً، فإن وضعه في نفس مرتبة الألوهية مع الله الحي يُعدّ تحديفاً.

هذه ليست فقرة معزولة في سفر أعمال الرسل. فالحادثة التالية مباشرة هي شفاء رجل أعرج على يد بطرس ويوحنا عند باب الهيكل. (بالمناسبة، تجدر الإشارة إلى أن الاثنين ذهبا إلى الهيكل للصلاة: لم يكن لديهما حتى الآن أي شعور بأنهما جزء من دين جديد يسمى المسيحية، ورأيا في يسوع تحقيقاً لإيمانهما اليهودي.) تجمع حشد بعد الشفاء وألقى بطرس عظة أخرى (3: 1 وما يليها) حيث دعا يسوع بسلسلة من الألقاب: "القدوس" (الآية 14)، "أمير الحياة" (الآية 15) و "المسيح". ومع ذلك، يقول في المنتصف هذا: "لأن موسى قال للأبء حقاً: سيقم لكم الرب إلهكم نبياً مثلي من إخوانكم. له تسمعون في كل ما يقوله لكم. ويكون أن كل نفس لا تسمع للنبي تباد من بين الشعب. إليكم أولاً، أرسل الله ابنه يسوع ليبارككم ... " (الآيات 22 وما يليها، KJV).

يُصوّر يسوع هنا بوضوح على أنه نبيُّ أقامه الله، "مثلي" - أي مثل موسى. إنه "النبي" الذي يجب الاستماع إليه وطاعته. هناك فرق شاسع بين هذه النظرة وتلك التي تُعلن قطعاً أن يسوع هو الله أو العكس. وهكذا، عندما يجتمع المؤمنون بعد أن تُثير معجزة الشفاء خلافاً مع الصدوقيين الأقوياء (الذين انزعجوا لأن الرسل كانوا يُبشرون بالحياة بعد الموت - وهي عقيدة أنكروها بشدة)، فإنهم ينضمون إلى تسبيح الله الخالق (4: 24 وما يليه). لا توجد فكرة للصلاة إلى يسوع - بل يُشار إليه بأنه "ابنك القدوس"، "الذي مسحته" (4: 27). الكلمة اليونانية التي تعني "طفل" هي pais، والتي يمكن أن تعني أيضاً "خادم". أما كلمة "ممسوح" فهي echrisas، وهي أصل لقب "المسيح" - حرفياً، "الممسوح". بعبارة أخرى، ما يقوله بطرس هو "عبدك القدوس الذي جعلته المسيح". إن مفهوم خضوع يسوع الكامل لله الذي مسحه أو أعلنه أنه المسيح، يتوافق مع ما يخبرنا به لوقا في إنجيله عن وجهة نظر يسوع الخاصة عن دعوته: في العظة

الأولى التي ألقاها في الناصرة، قرأ يسوع من نبوة إشعياء عن خادم الله الذي سيأتي والذي سيمسحه بروحه ليعلن البشارة السارة بالملكوت للفقراء والمضطهدين (لوقا 3: 17 وما يليها).

في الإصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل، يُستدعى الرسل أمام السنهدين، المجلس الأعلى، للدفاع عن كرازتهم المتواصلة في الشوارع في مواجهة أوامر بالكف. هنا يقولون: " إله آبائنا أقام يسوع، الذي قتلتموه وعلقتموه على خشبة. هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ... (الآيات 30-31). لاحظوا مجددًا الإصرار على أن الله هو المسيطر، وأنه وراء قيامة يسوع وارتفاعه؛ يسوع إنسان مختار ومُجد بقدرة الله الحي. لاحقًا، يُشير الشهيد استفانوس، في خطابه قبل وفاته (أعمال الرسل 7: 1 وما يليها)، إلى النقطة الرئيسية وهي أن تاريخ اليهود هو تاريخ قتل الأنبياء. إن قتل يسوع، البار، هو ذروة هذا التمرد على رسل الله.

في أعمال الرسل 9: 20 نعلم أنه بعد فترة وجيزة من تحوله للمسيحية، بشر القديس بولس في مجامع مختلفة قائلاً أن المسيح هو ابن الله. إذا كانت هذه دقيقة، فهي أول حالة يستخدم فيها أي رسول هذه الصيغة في عظة. يعتقد معظم العلماء أنها قد تكون قراءة للوراء في قصة ما أصبحت عليه آراء بولس لاحقًا؛ يبدو هذا أكثر احتمالاً عندما نتعلم، بعد آيتين، أن عبء وعظ بولس المبكر كان " لإثبات أن هذا [يسوع] هو المسيح حقًا ". كان إثبات العهد القديم أن يسوع كان حقًا محققًا للوعود المسيحانية - على الرغم من فضيحة تعليقه على الصليب في هزيمة واضحة - هو المحور الرئيسي لجميع الوعظ المبكر للجمهور اليهودي. لم تأت الرسالة حول كونه ابن الله إلا في وقت لاحق، عندما وسع الرسل مهمتهم لتشمل الأمم. لم يكن لفكرة المسيح الممسوح أي معنى على الإطلاق لغير اليهود؛ أما مفهوم ابن الله، من ناحية أخرى، فقد كان شيئًا يعرفونه جيدًا.

لمزيد من الأدلة على أن بولس ركّز في البداية على إثبات أن يسوع هو المسيح الموعود حقًا، يكفي قراءة سرد عظته في مجمع تسالونيكي اليهودي: " دخل بولس إليهم كعادته، وحاجَّهم ثلاثة سبوت من الكتب، قائلاً لهم إنه ينبغي للمسيح أن يتألم ويقوم من بين الأموات، وأن يسوع الذي أبشركم به هو المسيح" (أعمال الرسل 17: 1-3). لم يكن رفض اليهود المبكر لهذه الرسالة قائمًا على ألوهية يسوع المزعومة، بل على الفكرة المرفوضة بأن المسيح قُتل على يد الرومان وشعب الله.

قبل أن أترك سفر أعمال الرسل، أود أن ألقى نظرة سريعة على المقطع الشهير حيث يقف القديس بولس، في أثينا، على تل مارس ويعظ، مستخدمًا نقشًا على المذبح هناك "إلى الإله المجهول". بولس، الذي كان قادرًا على تكييف رسالته مع أي جمهور، يقتبس من شعراء اليونانيين أنفسهم ليذكرهم بأنهم أيضًا أبناء الله. يخبر الناس أن الوقت قد حان للتوبة عن عبادة الأصنام، ويحذر من أن الله لديه يوم دينونة قادم، حيث سيُدان الجميع " بواسطة ذلك الرجل الذي عينه، والذي قد أكد له أنه أقامه من بين الأموات" (17: 31). لاحظ أنه يسمي يسوع "ذلك الرجل الذي عينه الله". الكلمة اليونانية التي تُرجمت إلى "مُعِين" في ترجمة الملك جيمس هي horizo، وتعني مُفَرِّزًا، أو مُعَيِّنًا، أو مُنْفَصِلًا عن الآخرين لمهمة أو مكانة خاصة. بعبارة أخرى، يقول بولس إن الله عين يسوع لرسالته الخاصة والمستقبل. بالطبع، في رسائله إلى الكنائس المختلفة، أظهر بولس اهتمامًا ضئيلًا بيسوع الناصري، يسوع التاريخي؛ فهو أكثر اهتمامًا بلاهوته الخاص وبمسيح الإيمان.<sup>2</sup> ومع ذلك، فمن المهم أن ينتهي سفر أعمال الرسل بالوصف التالي لخدمته: "وسكن بولس في بيت استأجره [في روما] سنتين كاملتين، وكان يستقبل جميع الذين جاءوا لرؤيته، ويكرز بملكوت الله، ويعلم الأمور المختصة بالرب يسوع المسيح، بكل ثقة، دون أن أحد يمنعه" (28: 30-1).

١. الأريوسية، أخطر " البدع " التي ابتليت بها الكنيسة في القرون الثالث والرابع والخامس، تستمد اسمها من أريوس، عالم الكتاب المقدس اللامع وكاهن الإسكندرية. وُلد أريوس في ليبيا حوالي عام ٢٥٠ ميلادي (توفي عام ٣٣٦ في القسطنطينية)، وأصبح مقتنعًا بأن العهد الجديد يُعلم بوضوح تبعية يسوع لله الأب. قال إن ابن الله ليس أزليًا، بل خلقه الأب كأداة له في خلق العالم. وبالتالي، لم يكن يسوع إلهاً بطبيعته أو جوهره، ولكنه مُنح رتبته العليا لأنه نال رضا الله بطاعته. هوجمت آراء أريوس بشدة، وحُرم من الكنيسة من قبل مجمع كنسي في مصر عام ٣١٨. ومع ذلك، فقد وجد دعمًا قويًا من عدد من الأساقفة في أماكن أخرى، وخاصةً يوسابيوس القيصري ("أبو تاريخ الكنيسة") ويوسابيوس النيقوميدي. أدى دفاعهم عن آرائه إلى انتشار النقاش من مصر إلى جميع أنحاء الكنيسة الشرقية. قسطنطين الأول، الذي غزا الشرق عام 324 وأراد الوحدة في الإمبراطورية قبل كل شيء، كتب إلى أريوس وخصمه الرئيسي، ألكسندر، أسقف الإسكندرية، طالبًا منهما الكف عن الشجار حول ما بدا له " اختلافًا لفظيًا تافهًا وسخيفًا ". كان هذا إشارة إلى حقيقة أن لكل من الطرفين كلمة لوصف علاقة المسيح بالألوهية. اختلفا في حرف واحد، وهو الحرف اليوناني *iota*: قال أريوس إن يسوع كان *homoiousios* ، " من جوهر مماثل أو مشابه لله " ، وبالتالي ليس مطابقًا له ؛ أصر ألكسندر والبقية على أن يسوع كان *homoousios* ، " من نفس جوهر " الأب. سقطت توسلات الإمبراطور على آذان صماء، وفي عام 325 دعا إلى عقد مجمع الكنيسة بأكملها الشهير، مجمع نيقية، لتسوية النزاع. وبفضل جهود أثناسيوس إلى حد كبير، هُزم أريوس حيث صوتت الجمعية لصالح عقيدة هومووسيوس للمساواة والخلود والتماثل في الجوهر بين الابن والأب. تم نفي الأريوسيين لبعض الوقت، لكن النقاش لم ينته بعد. في عام 335 أعادت جمعية القدس أريوس إلى الكنيسة (توفي عشية إعادته الرسمية) وفي عام 337 استدعى قسطنطين نفسه، الذي كان يميل دائمًا نحو الموقف الأريوسي، جميع الأساقفة المنفيين. أيد خليفته قسطنطيوس العقيدة علنًا، وبعد سلسلة من المراجع في الشرق قبلت ظلًا مختلفة من الأريوسية أيضًا، في عام 359 قبل مجمع مزدوج للشرق والغرب تعريفًا أريوسيًا للكنيسة بأكملها؛ ومع ذلك، كان النصر قصير الأجل. انتصرت الأرثوذكسية أخيرًا عام ٣٨١ في مجمع القسطنطينية. انظر قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية، ص ٨٣.

2. انظر 2كورنثوس 5: 16: نعم، وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، فإننا الآن لا نعرفه بعد (KJV).

## معجزات يسوع

### المعجزات في العهد القديم

كلمة "معجزة" مشتقة من الكلمة اللاتينية *miraculum* ، وهي حدث يثير الدهشة نظراً لطبيعته غير المتوقعة وغير العادية. يُعرّف قاموس أكسفورد الموجز المعجزة بأنها "حدث عجيب ناتج عن قوة خارقة للطبيعة، أي حدث استثنائي". تشهد الأناجيل الأربعة على صنع يسوع للمعجزات (في الواقع، يتناول معظم إنجيل مرقس طرد الشياطين، والشفاءات، ومعجزات يسوع الطبيعية). أما أولئك الذين يُصرون على أخذ كل ما في الكتاب المقدس حرفياً - وإن كانوا يفعلون ذلك بطريقة متناثرة للغاية - فيعتبرون المعجزات دليلاً قاطعاً على أن يسوع هو الله المتجسد. ومع ذلك، بغض النظر عن مسألة تاريخيتها، يجب علينا دحض هذا الادعاء لعدة أسباب.

في المقام الأول، هناك معجزات من كل نوع في العهد القديم تُنسب إلى موسى وعدد من الأنبياء. لدينا شفاءات عن بعد، ومعجزات طبيعية حيث يتم تغيير قوى الطبيعة أو التحكم فيها على ما يبدو من قبل رجل الله، وحتى إحياء الموتى. في الحقيقة، فإن كل معجزة تقريباً تُنسب إلى يسوع في الأناجيل لها نظيرتها في الكتاب المقدس العبري، ومع ذلك لم ينسب أحد الإلهية لأي من فاعلي المعجزات هؤلاء. كان من المفترض أن يكون النبي قادراً على إصدار الآيات والعجائب كدليل على دعوته السماوية. وهكذا تمكن موسى من إرباك سحرة مصر بقواه الصانعة للعجائب؛ ضرب الصخرة فتدفقت المياه عندما كان الناس يموتون من العطش؛ وبكلمته انشق البحر حتى يتمكن بنو إسرائيل من العبور على اليابسة، وبينما كانوا يشاهدون، تدفق البحر مرة أخرى ليبتلع جيش فرعون.

شفى يسوع المصابين بالجذام، وكذلك فعل النبي إيليشع، كما نقرأ في سفر الملوك الثاني 5: 1-14. كان نعمان، قائد القوات السورية، مصاباً بالجذام، وبناءً على نصيحة فتاة إسرائيلية شابة أسرت، وكانت تعمل خادمة لزوجته، فبحث عن أليشع. لم يخرج النبي لرؤيته، بل أرسل رسولاً يأمره بالذهاب والاستحمام في نهر الأردن سبع مرات. غضب نعمان في البداية ورفض الانصياع لأمر أليشع: "أليس أبانة وفرفر، نهرا دمشق، خيراً من جميع مياه إسرائيل؟". في النهاية، ذهب إلى الأردن كما قيل له، "عاد لحمه كلحم طفل صغير". بعد بضعة آيات (6: 1-7)، نجد قصة أخرى تحكي كيف استعاد أليشع رأس فأس سقط في الماء: قطع عصا من شجرة وألقاها في الماء فوق المكان الذي غاص فيه رأس الفأس، "فسبح الحديد". لكن أياً من هاتين المعجزتين لا يُضاهي العمل الفذ لنفس النبي المتعلق بابن المرأة الشونمية الصغير، وهو مقطع يُذكرنا من نواحٍ عديدة بقصة إقامة يسوع لابنة يائرس. وهنا في ترجمة الملك جيمس: "ولما دخل أليشع البيت، إذا بالصبي ميت ومضطجع على فراشه. فدخل وأغلق الباب عليهما الاثنتين وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع على الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه، فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه". ثم دُعيت المرأة وقال لها أليشع: "خذي ابنك" (الملوك الثاني 4: 32-7).

هذه المعجزة نسخة طبق الأصل تقريباً من تلك المنسوبة إلى إيليا، سلف إيليشع، النبي الذي صنع معجزة للأرملة، فلم يبقَ منها إلا ما يكفيها من الزيت والدقيق ليوم واحد. طلب منها أن تشاركه، ووعداها بأن المؤمن

لن تنفذ حتى ينتهي الجفاف الشديد: "ولم يفرغ كوار الدقيق، ولم ينقص كوز الزيت، حسب كلام الرب الذي تكلم به على لسان إيليا " (الملوك الأول ١٧: ١٧ وما يليه). ولكن بعد ذلك بوقت قصير، مرض ابن الأرملة، " ولم تبق فيه نسمة ". أخذ إيليا الصبي إلى عليّة في البيت الصغير الذي كان يسكنه، ووضع على سريره. ثم، بعد الصلاة، تمدد على الصبي ثلاث مرات. "فسمع الرب صوت إيليا، فعادت نفس الصبي إلى داخله، فانتعش". فكانت إجابة المرأة، مثل كثيرين في الأناجيل: "الآن بهذا أعلم أنك رجل الله، وأن كلام الرب في فمك حقاً".

كما تُبرز معجزات التدخل الخارق للطبيعة في قوانين الطبيعة - كقدرة يسوع على التحكم بالرياح والأمواج، أو قدرته المزعومة على المشي على الماء - بشكل بارز. ولعل أبرز مثال على ذلك هو قصة فتح يشوع وبني إسرائيل لأرض الميعاد، كنعان. أمر يشوع الشمس والقمر بالوقوف ليتمكن من رؤية الأموريين وقتلهم: "يا شمس، قفي على جبعون، ويا قمر، في وادي أيلون ". فوقفت الشمس، وبقي القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. ويُذكر أن المدة كانت أربع وعشرون ساعة: "فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تُعجل للغروب نحو يوم كامل" (يشوع ١٠: ١٢-١٣).

سُجِّلَ تدخلٌ مماثل، وإن كان أقل شهرة، في دوران كوكبنا حول الشمس (كان بنو إسرائيل، بطبيعة الحال، يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض) في سفر الملوك الثاني. طلب حزقيا الملك من النبي إشعيا علامة على أن الله سيشفيه كما وعد. خيّر إشعيا؛ إذ أمر الظل على المزولة الشمسية إما بالتقدم عشر درجات أو بالرجوع عشر درجات، أيهما يُفضّل الملك: " فأجاب حزقيا: إنه لأمر هين أن يتقدم الظل عشر درجات. كلا، بل ليرجع الظل إلى الورااء عشر درجات ". فدعا إشعيا النبي الرب، فأرجع الظل عشر درجات إلى الورااء، في مزولة آحاز " (20: 8-11).

## المعجزات في زمن يسوع

لكن ليس الكتاب المقدس العبري وحده الذي تكثر فيه المعجزات والآيات والعجائب. فالأناجيل تشهد بجلاء أن معاصري يسوع كانوا يتوقعون من أي شخص يدّعي النبوة أو رسالة فريدة من الله أن يُجري شفاءاتٍ وعلاماتٍ أخرى. " آية آية تصنع؟ " هو التحدي الذي واجهه القادة الدينيين عندما سألوا يسوع عن تبرير تطهير الهيكل (يوحنا 2: 18، KJV). يتطلب الأمر بعض الجهد لتقدير مدى اختلاف افتراضات الشرق الأدنى القديم عن افتراضات العقلانيين المعاصرين: فالناس الذين شاهدوا يسوع التاريخي رأوا أفعاله على خلفية الإيمان بالشياطين الفعلية والتدخل الإلهي في الشؤون البشرية.

إن موقف يسوع نفسه تجاه شفاءاته وعجائبه الأخرى يكشف الكثير أيضًا. فمن الواضح أنه اعتبرها دليلاً على أن ملكوت الله كان يعمل في خدمته (مرقس 3: 22 وما يليه)، ولكنه في الوقت نفسه قلل من شأنها - " اذهبوا ولا تخبروا أحداً " - لأنه لم يكن يريد أن يُنظر إليه على أنه مجرد ساحر متجول. وكما يشير همفري كاربنتر، فإن شخصيات يهودية أخرى في زمن يسوع كانت تتمتع بهذا النوع من السمعة: " قيل إن هوني، رسّام الدائرة، جلب المطر لإنهاء الجفاف، ويُزعم أن حنيننا بن دوسا أجرى شفاءات معجزية، بعضها، مثل شفاءات يسوع، كان يُجرى عن بُعد من المريض. وهذا يدل على أن سمعة يسوع كصانع معجزات ومعالج وطارد أرواح شريرة لم تكن فريدة بأي حال من الأحوال... لقد كانت جزءاً من مفردات ذلك الوقت للتعبير عن مدى تمييز شخص ما " <sup>2</sup>.

يلاحظ بير أن هناك "إشارات قليلة بشكل ملحوظ إلى معجزات يسوع في العهد الجديد باستثناء الأناجيل".<sup>3</sup> بعبارة أخرى، عرف الكُتّاب أن المعجزات في حد ذاتها لم تثبت إلا القليل جدًا. لقد أصابت الناس بالدهشة واجتذبت حشودًا كبيرة، لكن من الواضح أنها لم تؤد إلى الإيمان بأنه كان إلهًا على الأرض. لم تكن حتى مقنعة تمامًا كدليل على أنه كان نبيًا. في الواقع، نسب البعض قوى يسوع إلى الشيطان بدلاً من الله: "وقال الكتبة الذين نزلوا من أورشليم: إن معه بعزبول، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين" (مرقس 3: 22). علاوة على ذلك، وعد يسوع نفسه تلاميذه في أكثر من مناسبة بأنهم سيقومون أيضًا بعمليات شفاء وعلامات أخرى للملكوت، ودليل أعمال الرسل هو أنهم فعلوا ذلك بالفعل (يقال أن كل من بطرس وبولس أقاما الموتى، كما وردت تقارير عن عدة عمليات شفاء أخرى شملت أشخاصًا كانوا عرجًا، أو لدغتهم ثعابين قاتلة، وما إلى ذلك).

في الواقع، تحتوي جميع الأدبيات القديمة على قصص شفاءات عجيبة ومآثر أخرى لشخصيات بارزة. وليست هذه مجرد آثار من عصور بدائية. على مر التاريخ، كان هناك الشامان، ورجال الطب، واليوغي، والمعالجون من مختلف الأنواع الذين تمكنوا بلا شك من إحداث علاجات مذهلة. بالنسبة لي كصحفي، إذا نحينا ظاهرة الشفاء بالإيمان، فأنا مقتنع تمامًا بأن مثل هذه "المعجزات" تحدث (أحيانًا بغض النظر عن شخصية المعالج).

إذن، معجزات يسوع ليست في حد ذاتها دليلاً على أنه كان الله المتجسد. قبل أن أتركها، أود أن أعلق بإيجاز على مسألة تاريخيتها. يتضح من الأناجيل أن المعجزات مُدرجة جزئيًا لأنها كانت جزءًا كبيرًا من أقدم التقاليد الشفهية عن يسوع كما تناقلتها الأجيال، وجزئيًا لأهميتها اللاهوتية: فهي علامات على أن الملكوت قريب وعامل بالفعل. وهذا، مرة أخرى، أكثر وضوحًا في إنجيل يوحنا، حيث ينسج المؤلف تطور القصة حول "الآيات" السبع.

إذا ما وضعنا هذا الاستخدام اللاهوتي للمعجزات نصب أعيننا للحظة، يمكننا القول بيقين إن قصص الشفاء، وطرد الأرواح الشريرة، والإطعام المعجزي، وغيرها من العجائب، قد مرت بمراحل تطور عديدة قبل أن تصل إلى شكلها النهائي على أيدي كُتّاب الأناجيل. ويُسلم الآن غالبية علماء العهد الجديد بأن العديد منها قد حُرِّفت، ومُبالغ فيها، بل ومُختلفة في بعض الحالات. ومع ذلك، ورغم كل الأبحاث الدقيقة التي أُجريت في هذا المجال (وخاصةً من قبل النقاد الشككيين)، فمن الصعب جدًا تحديد أين انتهت الحقيقة وبدأ الاختراع.

لا أستطيع قبول الرأي العقلاني المحض القائل بأن المعجزات محض خرافة، وأن إدراجها في الأناجيل يعود إلى عجز أو عدم رغبة في التمييز بين الأسطورة والواقع التاريخي. أرفض الرأي القائل بأنه يجب فهمها كليًا من منظور روحي - كما لو كانت استعارات مُزيّفة بملابس أحداث حقيقية - مع أنه لا شك في أن أهميتها الروحية أو اللاهوتية كانت هي الأهم في عظات الكنيسة الأولى. على سبيل المثال، كانت تهيئة يسوع للعاصفة ودعوته للتلاميذ إلى تجديد الثقة بالله، من الواضح أنها رسالة ذات صلة بالمجتمعات المسيحية التي تواجه "عواصف" من الجدل أو المعارضة. ولا شك أن إطعام الجموع كان يُقرأ أو يُروى كمثال ليس فقط على رعاية الله لأبنائه، بل وبشكل أكثر تحديدًا على كيفية إطعام كنيسته من خلال القربان المقدس أو المناولة المقدسة. ومن الواضح أن "فتح" عيون الناس أو أذانهم أو "حل" السنة البكم في قصص المعجزات كان له دلالة عميقة في المواقف التبشيرية حيث "رأى" و"سمع" المهتدون لأول مرة بشارة الملكوت، وشعروا بالتمكين للخروج بأنفسهم للشهادة لها.

لكن التقليد القائل بأن يسوع شفى المرضى وطرده القوى "الشیطانية" التي يُعتقد أنها تضطهد المصابين بأمراض نفسية وعقلية، بدائي للغاية ومتفشي في رواية مرقس، بحيث لا يمكن إغفال جذوره في الواقع. لا أشك في أنه من خلال الحضور الكاريزماتي القوي ليسوع شفى الناس بشكل جذري. يمكننا استخدام مختلف المصطلحات الحديثة لمحاولة تفسير هذه الظاهرة، لكن معظمها لا يفسر إلا القليل جداً - نتحدث عن قوة الإيحاء، أو الشفاء النفسي الجسدي، أو تأثير الدواء الوهمي كما لو كانت هذه الأمور نفسها مفهومة تماماً. الحقيقة هي أن هناك لغزاً يكتنف جميع أشكال الشفاء غير الطبي، والذي لم يتمكن الأطباء ولا العلماء حتى الآن من تبريره. يُحذّر كاربنتر، مُحققاً، من محاولة حذف العنصر المعجزي تماماً من خدمة يسوع: " إذا صَنَفنا العنصر المعجزي على أنه خيال، وناقشنا يسوع من منظور تعاليمه فقط، فقد نُرضي بذلك مطالب العقول الحديثة التي لا تقبل ما هو خارق للطبيعة، لكننا نُسيء إلى السجل التاريخي. كما أننا نُبقي أنفسنا مع يسوع "غير المعجز" الذي يُصبح تأثيره الاستثنائي على معاصريه غير قابل للتفسير. إن تعاليمه بحد ذاتها لا تكفي لتفسير الانطباع الذي تركه. سيقول مؤرخ أكثر صدقاً إن قصص المعجزات في شكلها الحالي تتضمن بلا شك قدراً كبيراً من التحسين والاختراع؛ لكنه سيقول أيضاً إن شيئاً ما حدث أدى إلى ظهور تلك القصص." 4

إن مسألة تحديد القصص أو أجزاء القصص التي تشكل "التطوير فيها" يمكن متابعتها في العديد من الدراسات المتخصصة.

ما أود الإشارة إليه هنا هو مدى سهولة إدراكنا لبعض القوى الفاعلة في إضفاء طابع أسطوري على أعمال يسوع الجبارة. لقد رأينا بالفعل كيف ساهم العهد القديم بقوة في تشكيل تفسير شخصية يسوع. أعيدت قراءة النبوءات وأضيف إليها محتوى جديد بينما سعى التلاميذ بشغف لإثبات كيفية تحقيقها جميعاً. لذا، إذا كان من المتوقع أن يفتح المسيح عيون العميان أو يُحرر الأسرى من قوى الشر، فلا بد من إثبات أن يسوع قد فعل ذلك. إذا كان موسى قد أطعم بني إسرائيل "خبزاً من السماء" - المن - في البرية، فلا بد أن يسوع أيضاً أطعم الجموع بأعجوبة. ليس من قبيل الصدفة أن يقوم يسوع بهذا العمل الفذ في صحراء أو بيئة برية: إنه يُعيد صدى قصة موسى. وبالمثل، يُظهر متى أن يسوع ألقى عظة الجبل - الشريعة الجديدة أو التوراة - على قمة جبل. باعتباره موسى الثاني، فإنه يستعيد العطاء الأول للشريعة على جبل سيناء، فيحققه ويتجاوزه في نفس الوقت.

- 
1. انظر مرقس 8: 11، لوقا 11: 29، ومتى 12: 38: "يا معلم، نريد أن نرى منك آية."
  2. همفري كاربنتر، يسوع (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1980)، 4-73.
  3. بير، إنجيل متى، 258.
  4. النجار، يسوع، 73.

## ألقاب يسوع

### المسيح وابن الله

مجرد قراءة سريعة للعهد الجديد تكشف عن تنوع مُحَيَّر في أسماء وألقاب يسوع. من الواضح أن يسوع والإيمان بقيامته كان لهما أثرٌ عميقٌ على الرسل وأول من تلقوا دعوتهم، لدرجة أنهم اضطروا إلى اللجوء إلى أعلى المراتب في تقاليدهم للتعبير عن معناها. وفي هذا، بالطبع، تأثروا أيضًا بالحاجة إلى إيصال بشارتهم بعبارات يفهمها المبشرون. لذلك، تحدثوا عن يسوع للجماهير اليهودية كنبِيٍّ ومسيحٍ موعود، بينما قَدَموا يسوع للجماهير اليونانية والرومانية، التي لم تكن تعرف المفاهيم المسيحية اليهودية ولم تُعَرِّها اهتمامًا، على أنه "ابن الله" و"كوربوز" "Kurios" أي الرب. (في الواقع، كانت أقدم عقيدة مسيحية تتكون من عبارة "كوربوز كريستوس" أي المسيح هو الرب).

اعتبر الأرثوذكس أن تسمية يسوع بهذه الألقاب في الأناجيل وغيرها من تقاليد العهد الجديد دليلًا قاطعًا، بل "إثباتًا"، على أنه كان بالفعل الله المتجسد، وأنه آمن بذلك منذ بداية خدمته. لكن للأسف، كان يسوع، باستثناء في إنجيل يوحنا، يبدو مترددًا جدًا في ادعاء هذه الألقاب، بل ويرفضها أحيانًا. لم يُطلق على نفسه اسم المسيح، مع أنني أعتقد أنه من الواضح أنه اعتبر نفسه يؤدي دورًا مسيانيًا، مختلفًا تمامًا عن الدور الذي تصوره معاصروه. كما أنه لم يُطلق على نفسه اسم ابن الله. إن رواية لوقا عن محاكمة يسوع غير النظامية أمام السنهدريم مضيئة. سأله متهموه: "هل أنت المسيح؟ أخبرنا". فأجاب: "لو قلت لكم هذا لما صدقتم. من الآن فصاعدًا يجلس ابن الإنسان عن يمين قوة الله". فقالوا جميعًا: "فهل أنت ابن الله؟" فقال لهم: "أنتم الذين تقولون إنني أنا هو". (٢٢: ٦٧-٧٠) وفي رواية مرقس، يُجيب يسوع على معظم الاتهامات في المحاكمة بصمت تام. ومع ذلك، عندما سأله رئيس الكهنة إن كان هو المسيح، "ابن المبارك"، أجاب: "أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة، وأتيا على سحب السماء" (١٤: ٦٢).

النقطة التي يجب ملاحظتها هنا هي أنه عندما أُجبر يسوع أخيرًا، كما كان الحال، على القول ما إذا كان هو المسيح أم لا، فقد اعترف بذلك علانية ولكنه تحدث على الفور عن نفسه باعتباره "ابن الإنسان". هذا المصطلح الغريب، كما سنرى بعد قليل، هو الطريقة المفضلة لدى يسوع في الأناجيل الثلاثة الأولى للإشارة إلى نفسه - ليس كمسيح أو ملك أو مخلص أو رب، ولكن كإنسان أو ابن الإنسان.

لكن بصرف النظر عن الدليل على أن يسوع لم يُبالغ في ادعاءاته لنفسه، فهناك مسألة أكثر أهمية ينبغي مراعاتها هنا. عند تطبيق مصطلحات كهذه عليه، هل كان كُتَّاب الأناجيل يُصرِّحون صراحةً بأنه الله؟ الإجابة بلا شك هي النفي. إن ادعاء كونه "المسيح"، أو أن يُطلق عليه الآخرون لقب "المسيح"، لا يعني بأي حال من الأحوال ادعاء كونه الله المتجسد، أو الاعتقاد بأنه كذلك، على قدم المساواة مع الإله. نعلم أن هذا هو الحال من معرفتنا بالتعاليم اليهودية عن المسيح في ذلك الوقت: لم يكن ادعاء هذا اللقب زورًا كفرًا من الناحية النظرية. إن المسيح، بصفته الملك المثالي أو الوكيل المباشر لإرادة الله النهائية - للدفاع عن شعبه، اليهود، وإقامة مملكة على الأرض تُزال فيها جميع المظالم ويسود السلام إلى الأبد - يُصوَّر أحيانًا كشخصية خارقة، ولكن ليس كمساوٍ لله، أو كإله جوهري. نتحدث مخطوطات جماعة الأسينيين قرب البحر الميت عن مسيحينٍ إثنين، أحدهما كاهن والآخر ملك. لم يُرَ أيٌّ منهما أو يُشار إليه على أنه إله.

لقد رأينا بالفعل أنه في قيصرية فيلبس، أعلن بطرس إيمانه بأن يسوع هو المسيح؛ ومع ذلك، بدأ بعد ذلك مباشرةً تقريبًا يُعلّم يسوع كيفية إدارة خدمته. لا معنى لأيّ من الأناجيل التي تلت اعترافه إذا قبلنا الرأي القائل بأن الإيمان بيسوع كمسيح يعني الاعتقاد بأنه الله نفسه: فعلى وجه الخصوص، يكون من غير المعقول أن ينكر بطرس سيده ثلاث مرات، أو أن يتركه التلاميذ ويهربون عند الصلب.

وينطبق الأمر نفسه على لقب "ابن الله". ففي العهد القديم، تُطلق هذه العبارة على إسرائيل كأمة ملتزمة بتنفيذ مشيئة الله. على سبيل المثال، يقول هوشع ١١: ١: "لما كان إسرائيل صبيًا، أحببته، ومن مصر دعوت ابني" (ترجمة الملك جيمس). ويمكن أيضًا تسمية الملك الأرضي المُكرّس لتنفيذ أمر الله بآبنا الله. وهكذا، أخبر الله النبي ناثان أن الملك سليمان سيُعرف بآبنا الله: "سيبني بيتًا لاسمي [الهيكل]، وسأثبت عرش مملكته إلى الأبد. سأكون له أبًا، وهو سيكون لي أبًا" (صموئيل الثاني ٧: ١٣-١٤). في المزمور الثاني، يُدعى الملك المنتصر، الذي سيكون مسيح الله، بهذا الاسم تحديدًا: "سأعلن الأمر: قال لي الرب: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك". ويُشار إلى الملائكة أيضًا بآبناء الله في سفر التكوين، عندما "دخل آبناء الله على بنات الناس" (6: 2-4)، وفي المقطع الغريب الذي يُمهد الطريق لمحنة أيوب: "وكان ذات يوم جاء فيه بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضًا في وسطهم" (أيوب 1: 6). (الشيطان، الذي يعني اسمه "العدو"، يأتي كواحد من ملائكة الله المكلفين بمعارضة البشر في ادعاءاتهم بالصلاح أمام الله).<sup>1</sup>

لكن الدليل القاطع على أن تسمية المرء ابن الله لا تعني أنه إله يأتي من فم يسوع نفسه. في الإصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، يُخبر منتقديه الدينيين أن الكتاب المقدس العبري نفسه يُطلق على كل من دعاه الله لخدمته وكشف لهم عن ذاته اسم "آلهة" و"آبناء الله". لذا، من المناسب أن يُطلق على من خصه الله وأرسله وكيلًا عنه اسم ابن الله (الآيات 33-36)؛ والنص الذي يستشهد به مأخوذ من المزمور 82: 6: "أنا قلت: أنتم آلهة، وكلكم آبناء العلي". وظهور هذا المقطع في الإنجيل الرابع - بتركيزه على عقيدة التجسد - يزيد من أهميته. في الواقع، يُوضح هذا الإنجيل أن الغرض الأساسي من خدمة يسوع هو أن نصبح جميعًا آبناء الله (وبناته) بالكامل (1: 12).

لقد أتاحت لنا بالفعل فرصة النظر في إنجيل يوحنا، ولاحظنا أنه يختلف تمامًا في "مشاعره" عن الأناجيل الثلاثة السابقة.<sup>2</sup> يبدو يسوع يوحنا إنسانًا - على سبيل المثال، يعاني من العطش عند بئر السامرة - لكن هذا الجانب يطغى عليه شعوره الشخصي بالجلال والسيطرة في كل موقف. في الواقع، يمشي على الأرض، معلنًا نفسه بجرأة ابن الله، الطريق الوحيد إلى الأب، منذ الصفحة الأولى. إن كون هذه الصورة تُمثل أسطورة لاحقة للروايات البدائية أمر واضح للجميع، باستثناء أكثر الأصوليين تصميمًا. لقد أخذ المؤلف لقب ابن الله إلى أبعد من أي شيء مقصود بالمصطلح في العهد القديم، وأقرب إلى النظرة الهلنستية المعاصرة للآلهة التي تظهر في هيئة بشر. ومع ذلك، يجب أن أؤكد مجددًا أن المؤلف يبذل قصارى جهده لتصوير يسوع على أنه خاضع تمامًا للأب. غالبًا ما يتم الاستشهاد بآيات مثل "من رأني فقد رأى الأب" و"أنا والآب واحد" لإثبات ألوهية المسيح، ولكن حتى هنا لا يدعي يسوع أنه من نفس جوهر أو شخص الله ميتافيزيقيًا. في الأولى، يذكر ببساطة أنه يمكننا أن نرى فيه رؤية لله؛ وأنه يكشف ما هو الله حقًا - بقدر ما يمكن للبشر أن يدركوه. في الثانية، يُذكر بقوة قناعته بأنه متحد في العقل والروح مع غرض وإرادة الآب؛ يأتي هذا المقطع مباشرة قبل الآية المقتبسة أعلاه، والتي يقول فيها إن كل من يُدعون إلى عمل الله يمكن أن يُطلق عليهم "آلهة" أو "آبناء الله".

في إنجيل يوحنا ١٤: ١٢، بعد أن أعلن يسوع مجددًا أنه " في الآب "، أدلى بتأكيد مذهل: " الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال [المعجزات] التي أعملها يعملها هو أيضًا، بل يعمل أعظم منها" (ترجمة الملك جيمس). هذه ليست رسالة من مقتنع بأن دعوته كابن الله فريدة لدرجة تجعله " مختلفًا تمامًا عن تلاميذه. إن الفرق الذي ينقله هو فرق في الدرجة لا في النوع . ويعترف بأن من يتبعونه قد يصنعون معجزات أو آيات أعظم منه.<sup>3</sup>

وأخيرًا، أود أن ألفت انتباهكم إلى فقرة أخرى تثير صعوبات حادة بالنسبة لأولئك الذين يصرون على أن يسوع في إنجيل يوحنا يُصوّر بوضوح على أنه الله المتجسد. إنه الحوار اللاهوتي (٤: ٧-٢٦) بين يسوع والمرأة السامرية، الذي أقرّ في نهايته بأنه المسيح. أثارت المرأة الخلاف بين اليهود والسامريين حول مكان العبادة الحقيقية للرب (تنازع السامريون على جبل جرزيم، بينما جادل اليهود، بطبيعة الحال، على جبل صهيون في القدس)، فأخبرها يسوع أن ساعة آتية لن تكون في أيّ من المكانين: "أنتم تسجدون لما لا تعلمون، ونحن نعلم ما نسجد له، لأن الخلاص من اليهود. ولكن تأتي الساعة، بل قد حانت، حين يسجد العابدون الحقيقيون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء العابدين له. الله روح، والذين يسجدون له يجب أن يسجدوا له بالروح والحق". بضمّ نفسه إلى " نحن" الذين يعبد الله، وتأكيد الواضح أن الله روح، دحض يسوع كل من ادّعى لاحقًا أنه هو الروح الإلهي نفسه.

## ابن الإنسان

من الجدير بالذكر أنه بينما لم يُسمّ يسوع نفسه الله قط، وكان شديد التكتّم حتى في مسألة كونه مسيحيانًا، فقد استخدم مرارًا عبارة مُحيّرة: "ابن الإنسان". حتى في المقطع الحاسم في إنجيل مرقس، عندما سأل تلاميذه "من تقولون إني أنا؟"، وأقرّ بطرس بإيمانه - "أنت المسيح" - حتّى يسوع تلاميذه على الصمت بشأن هذا الاسم، ثم مضى على الفور في الإشارة إلى نفسه ليس باعتباره المسيح بل باعتباره ابن الإنسان: "وبدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيرًا... " (8: 29-31) .

على الرغم من أن العلماء قد تصارعوا مع هذا المصطلح، الذي لم يرد في الأناجيل إلا على لسان يسوع نفسه، لأكثر من قرن، إلا أنه كان محور نقاش وجدل خاص في العقود القليلة الماضية.<sup>4</sup> أحدث الكتب وأكثرها منطقية حول هذا الموضوع هو كتاب "Jesus Son of Man" يسوع ابن الإنسان" للباحث الكبير برنابا ليندرز Barnabas Lindars. يخلص ليندرز إلى أن عبارة "ابن الإنسان"، التي كانت تُترجم في الآرامية التي نطق بها يسوع إلى "بار إيناشا" وفي العبرية الكلاسيكية إلى "ابن آدم"، لا ترقى إلى لقب مسياني في زمن يسوع نفسه. بل تعني "إنسان" ببساطة، كانت هذه الكلمة طريقة غير مباشرة، غريبة بعض الشيء، للإشارة إلى الذات دون استخدام ضمير المتكلم "أنا". وبما أنها تظهر في بعض أقدم الأقوال المنسوبة إلى يسوع في تقاليد الإنجيل، فلا شك أنها أصلية. كما أن "إحساسها" الذي يشبه الأغاز يتناسب تمامًا مع أسلوبه العام في الكلام - الأمثال والمفارقات والجمال الساخرة. خذ على سبيل المثال قوله في إنجيل متى 8: 20 (لوقا 9: 58): "للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أعشاش، أما ابن الإنسان، بار إيناشا، فليس له أين يسند رأسه". يقول ليندارز، محققًا، إن العبارة هنا تعني " رجلًا مثلي"، أي شخصًا مدعواً ليكون وكيل الله في إعلان بشاراة الملكوت وما يترتب عليها من تجديد للحياة الشخصية والاجتماعية والدينية. ويعلق قائلًا إن " الكلمة العامة "بار إيناشا" "bar enasha" هي أداة يمكن من خلالها ليسوع أن

يشير بشكل ساخر إلى منصبه باعتباره شخصًا مدعواً من قبل الله دون تقديم ادعاءات مبالغ فيها عن نفسه".  
 5 كما يقترح أن المصطلح ربما كان وسيلة لتجنب سوء الفهم الذي من المحتمل أن يحيط باستخدام يسوع  
 لأي ألقاب مسيحية شائعة، والتي حملت جميعها النوع الخاطئ من التوقعات - الإطاحة الفورية بالرومان من  
 قبل ملك محارب منتصر سياسياً، على سبيل المثال.

يتجنب يسوع كل محاولة لتعريفه بمفاهيم دينية مسبقة. وبعد موته وقيامته، أصبح فهم جديد كلياً للمسيحانية  
 أمراً لا مفر منه - مسيح يُعلن ملكوت الله قائماً، ولكنه لم يأتِ بعد، ويبدو أنه يفشل عندما يُقتل بوحشية، لكنه  
 يُبرر ويُقام ليكون "قائد المستعدين لمجيء الله".  
 6 كان المسيحيون الأوائل، في محاولتهم استيعاب هذه  
 القصة، هم من بدأوا في نسج كل مفهوم مسياني سامٍ حول يسوع، حتى سرعان ما أصبح التعبير الأصيل  
 "ابن الإنسان" محملاً بدلالات لم تكن موجودة في استخدام يسوع نفسه. ومثل "ابن الله"، تم توسيعه ليشير  
 إلى كائن سماوي خارق للطبيعة، إنسانيته أقرب إلى المظهر منها إلى الحقيقة.  
 7

1. قارن أيوب 38: ٧: "وكان جميع بني الله يهتفون فرحاً".

2. انظر أعلاه، ص ١٠٠.

3. لمناقشة كاملة للقب ابن الله في اليهودية في زمن يسوع، انظر يونغ في أسطورة الله المتجسد،  
 104-17: "بشكل عام، يمكن القول أنه بالنسبة لليهود، كان ابن الله كائناً يتمتع بصفات إلهية أو شخصاً تم  
 استدعاؤه وتحديده خصيصاً من قبل الله لمهمة معينة" (ص 105).

4. الإشارة الوحيدة الأخرى في العهد الجديد موجودة في أعمال الرسل 7: 56.

5. برنابا ليندرز، يسوع ابن الإنسان (جراند رابيدز، ميشيغان: إيردمانز، 1984)، ص 31.

6. المرجع نفسه، ص 188.

7. يخلص لينداز إلى أن "ابن الإنسان، كما هو مفهوم تقليدياً، ينتمي إلى تطور علم المسيح الذي حدث في  
 انفجار الإبداع الذي رافق ظهور المسيحية في فترة ما بعد القيامة. لكن ابن الإنسان يبدأ ببساطة كسمة  
 اصطلاحية لخطاب يسوع" (نفس المرجع، ص 189 [التشديد من عندي]).

## موت يسوع

معظم الناس، سواءً كانوا من مرتادي الكنيسة أم لا، على دراية بالترنيمة القديمة "هناك تُل أخضر بعيد" لسيسيل ألكسندر (١٨١٨-١٨٩٥). المقطع الأخير يبدأ بـ  
لم يكن هناك أحد صالح آخر يكفي لدفع ثمن الخطيئة؛ فهو وحده القادر على فتح بوابة السماء والسماح لنا بالدخول .

### الجوقة (Chorus)

لقد أحببنا كثيرًا، كثيرًا! وعلينا أن نحبه أيضًا، وأن نثق في حبه الفادي، وأن نحاول عمل أعماله . هذا قول شائع، وإن كان كلاسيكيًا، في الرؤية الأرثوذكسية التقليدية لمعاناة يسوع وموته. يُنظر إلى الصليب كجزء من خطة الله، منذ تأسيس العالم، لرفع خطايا العالم وفتح الطريق إلى الحياة الأبدية هنا وفي الدهر الآتي. يُعتبر يسوع، ابن الله الحقيقي، الكامل أخلاقيًا من كل وجه، الذبيحة الوحيدة "الصالحة" للتكفير عن الخطيئة أو "دفع ثمنها". يصبح هو إتمامًا لجميع الضحايا الآخرين. دمه يُطهر المؤمن من كل دنس. وكما تنص الآية الثالثة: "مات ليغفر لنا، مات ليصلحنا، لنصعد أخيرًا إلى السماء، مخلصين بدمه الثمين " .

في القرن الثامن عشر، كتب ويليام كوبر (1731-1800) الترنيمة الإنجيلية الشهيرة "هناك نافورة مملوءة بالدم، مسحوبة من عروق إيمانويل/ والخطاة الذين غرقوا تحت هذا الفيضان يفقدون كل بقع ذنبهم" . على أنغام لحن أمريكي قوي ومحبوب من أصل غير معروف، تطارد الترنيمة ذكرياتي الأولى عن الذهاب إلى الكنيسة، وما زال مجرد سماعها يجعلني أرغب في أن أكون جزءًا من حشدٍ غفيرٍ من الناس يُنشدون بحماسٍ كبير. يُذكرني هذا بأغنية إليشا هوفمان الحماسية المشابهة " هل غُسلتَ بدم الحمل؟ " - إذا سبق لك أن سمعتَ فرقةً تابعةً لجيش الخلاص تُنشد هذه الأغنية، فأنتَ تفهم ما أقصده. في الواقع، من المؤسف، وإن كان صحيحًا، أن بعضًا من أفضل الترانيم - للغناء - في العبادة المسيحية تنتمي إلى هذا النوع. خذ على سبيل المثال " الصليب القديم الخشن " أو "هناك قوة في الدم" للويس جونز (1865-1936) والتي تقول:

هل تريد أن تتحرر من عبء الخطيئة؟

هناك قوة في الدم ، قوة في الدم .

هل تتمنى النصر للشر؟

هناك قوة رائعة في الدم .

### الجوقة (Chorus)

هناك قوة، قوة، قوة، قوة تصنع العجائب في دم الحمل؛

هناك قوة، قوة، قوة، قوة تصنع العجائب في الدم الثمين من الحمل.

إن فظاظة الإشارات إلى الدماء تُنفّر معظم المسيحيين المعتدلين والليبراليين، ولذلك لن تجد الكثير من هؤلاء الإنجيليين المحبوبين في ترانيمهم. لكن المفاهيم الكامنة وراء هذه الترانيم تتخلل كامل الليتورجيا واللاهوت الأرثوذكسي. الخطيئة، التي تُصيب الجنس البشري بأكمله - حتى المولود الجديد، كما يُقال - جلبت غضب إله بارٍّ لا يقوى على النظر إليها. لا شيء يُكبح هذا الغضب إلا كائن طاهر قادر على أن يكون ذبيحة كاملة أو كفارة مُجسدة بشكل غير كافٍ في الذبائح الحيوانية في هيكل أورشليم. لذلك يرسل الله ابنه الوحيد - جزء من كيانه - ليحمل على رأسه جميع الخطايا التي ارتكبت أو سترتكب. يسوع وحده "صالح بما يكفي لدفع ثمن الخطيئة"، فيقف في قفص السجن في مكانك ومكاني ويموت كبديل لنا. علماء اللاهوت على مر

العصور قصارى جهدهم لفهم هذه الفكرة من خلال نظريات مختلفة حول الكفارة.<sup>1</sup> أنا مُلِّمٌ بمعظمها، ولم أصادف بعدُ نظريةً تُشير إلى أن الله يُشبه الأب الذي أعلنه يسوع نفسه. في جوهرها، تتبع أسطورة التضحية بالدم من بعض أكثر الأفكار الدينية بدائيةً في العالم القديم.<sup>2</sup> إنها مُحمَّلةٌ بالتشبيهاً - ولا سيما " غضب " أو " غيظ " إلهٍ مُستعدٍّ لروية ابنه يُقتل لإشباع شغفه بالصلاح - ومُناسبٌ بشكلٍ مُريبٍ لتسلسلِ هرميِّ كهنوتيِّ مُكرَّسٍ لإدامة سلطته باعتباره الجهة الوحيدة القادرة على تكرار هذه التضحية نيابةً عن البشرية .

ربما أفقر إلى التقوى أو إلى حدسٍ بديهي، لكنني أعلم أنني لست وحدي من يجد فكرة موت يسوع كفارةً عن خطايا البشرية جمعاء مُحيِّرة من جهة، ومنفرةً أخلاقياً من جهة أخرى. لم يقل يسوع، على حد علمي، أي شيء يُشير إلى أن غفران الله لا يُمنح إلا بعد الصليب أو بسببه.<sup>3</sup> عندما أعلن زكا، العشار، أنه سيُعطي نصف ممتلكاته للفقراء، ويُعيد أي مكاسب غير مشروعة أربعة أضعاف لضحاياه، أعلن يسوع: " اليوم يأتي الخلاص لهذا البيت " (لوقا 19: 9). كان يُؤكد لسامعيه باستمرار أن الله يغفر لكل من يدعوه بصدقٍ توبةً وإيماناً. وفي تعليمه تلاميذه الصلاة، أمرهم صراحةً بطلب غفران أبيهم السماوي. هذه الرسالة هي جوهر الأمثال الثلاثة العظيمة عن الملكوت في لوقا 15، وخاصةً مثال الابن الضال الذي عاد ليجد أباه الغفور ينتظره على الطريق. تصور العقيدة التقليدية الله على أنه نوع من الحاكم الشمولي سريع الغضب، لديه سجل ضخم يسجل فيه كل سقوط بشري يمكن تصوره من النعمة؛ فقط موت أعز وأفضل من يملكه يمكن أن يرضي غضبه لأننا مارسنا الحرية التي أعطانا إياها لارتكاب الأخطاء .

هذه النظرية ليست بدائية فحسب، بل غير أخلاقية.<sup>4</sup> وكما علّم يسوع، هذا عالم أخلاقي. عندما نخالف القوانين الأخلاقية، فإننا ندفع ثمنها بأنفسنا، تماماً كما يفعل أي شخص يتحدى قانون الجاذبية بمحاولة القفز من جرف. قد يمرّ مدمنو الكحول أو المجرمون الذين يُلحقون الضرر بأنفسهم بتجارب دينية، ويلتقون بالله، ويدركون غفران كل الأذى الذي سببوه؛ إلا أن عواقب أخطائهم لا تُمحي. فالأشخاص الذين يؤذونهم، والضرر الذي يُلحقونه بأجسادهم أو أجساد وحياة الآخرين لا يُمكن ببساطة إلغاؤه. يمكن أن يشفي الله عبء الذنب، لكنه يتركنا لندبّر الباقي بأنفسنا. أجد من غير الأخلاقي القول بأن "خطايا" المرء مسؤولية أي شخص سوى نفسه. فخطايا النازيين في قتل ستة ملايين يهودي يُمكن أن يغفرها الله. لكن هذا لا يُخفف من الألم والرعب والحزن الذي لا يُوصف الذي لحق بالضحايا والناجين على حد سواء. لا أفهم - حتى مع النظرة التقليدية ليسوع باعتباره الله المتجسد - كيف يُمكن لموته أن يُمحو تلك البقعة الشنيعة من تاريخ البشرية. يبدو من المُشين أخلاقياً القول بأن موته على الصليب يُمحي في حد ذاته "خطيئة" المحرقة أو أي فعل إبادة جماعية أو تعذيب جماعي آخر - ناهيك عن "خطيئة العالم". في الواقع، كثيراً ما قادت عقيدة الغفران الشامل للخطايا بموت يسوع على الصليب المسيحيين المُعترفين إلى نوع من مُعادة الناموس، أو التقليل من شأن الخطأ الأخلاقي. وبما أن كل شيء قد غُفر على أي حال، فلنخطئ بصدق لكي "تزداد النعمة" - كما قال القديس بولس - (رومية 6: 1). (بالطبع ، بولس يطرح هذه الفكرة المنحرفة فقط لدهشها). هذه النظرة بعيدة كل البعد عن تجربة أولئك الذين شعروا بطعن ضمائرهم في حضور يسوع وتعليمه وسعوا إلى رب الجنود ومغفرته عندما بدأوا حياتهم من جديد. يفترض المسيحيون التقليديون بسهولة أن أتباع الديانات الأخرى - كاليهودية مثلاً - يجهلون تجربة غفران الله، أو فرحته، أو "أساس الوجود". لكن هذا زيفٌ واضح. يسوع نفسه، الذي لم يكن لديه من الكتاب المقدس سوى ما يُطلق عليه المسيحيون العهد القديم، كان مُتسبعاً بروحانية المزامير. هذه المزامير مليئة بالإشارات إلى طلب الغفران الإلهي وإيجاده. أحد مزاميري المفضلة، المزمور ١٠٣، يبدأ بـ: " باركي يا نفسي الرب، وكل ما في

باطني، باركي اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي جميع أمراضك" (ترجمة الملك جيمس ، التشديد من عندي) .

بعد كل هذا، علينا أن نتساءل مجددًا عن معنى موت يسوع، المسيح، أو وكيل الله الممسوح، بالنسبة لنا اليوم. وإذ ندرك أن الكثيرين على مر التاريخ ضحوا بحياتهم من أجل الآخرين، وأن الرومان صلبوا آلاف اليهود خلال احتلالهم للشرق الأوسط القديم، فما الذي يجعل هذا الموت تحديدًا على الصليب جوهر أي دين مسيحي؟ لماذا، كما في قصيدة "هناك تل أخضر بعيد"، نستطيع أن نقول: "كل ما نعرفه أنه صُلب وتَألم هناك من أجلنا"؟ تكمن الإجابة في فهمنا لرسالة يسوع ككل. ومهما كانت الشكوك أو الارتباك التي قد تكون لدينا حول هذه الآية أو تلك من العهد الجديد، فلا يمكن أن يكون هناك شك في شهادتها الشاملة على الاعتقاد بأن يسوع، المسيح أو الممسوح، جاء ليكشف السر الداخلي للكون: أن هناك إلهًا خالقًا جوهره هو الحب الغفور الشامل. وكان هدفه هو توصيل هذه الحقيقة من خلال ما قاله وما فعله - وبالأخص من خلال ما فعله، لأن التواصل غير اللفظي للأفعال أو الأعمال هو، في النهاية، دائمًا الوسيلة الأكثر إقناعًا. لقد علم لفظيًا عن طريق الأمثال؛ لكن حياته كانت في حد ذاتها مثلًا ممارسًا. يتم التحقق من صحة الكلمة من خلال الحياة التي عاشها. ويتم ختمها بالطريقة التي التقى بها وانتصر على الموت.

أصعب ما في الحياة بالنسبة لأيِّ منا هو الاستمرار في الثقة بأن الله محبة في مواجهة المعاناة، وخاصة معاناة البريء. لا يوجد حل سهل. لكن يسوع هو المثال الأعظم على معاناة البريء. شهادته لنا هي أنه حتى في تلك اللحظة، حتى في لحظة عذاب العقل والروح التي يشعر فيها المرء بأنه متروك من الله، فإن محبة الله لا تغيب أبدًا. إنها الحقيقة الوحيدة التي تبقى عندما يبدو كل شيء قاتمًا ومظلمًا، وفي النهاية تنتصر على الموت نفسه. ففي القيامة، يؤكد الله التزام يسوع غير المشروط بالثقة في "أبيه السماوي" في مواجهة المصير الأكثر ظلمًا وإنكاراً لله الذي يمكن لأيِّ منا أن يتخيله. ما يُخبرنا به الصليب هو أنه لا توجد تجربة حياة، سواءً أكانت معاناة نفسية أو جسدية، إلا وتعمل فيها روح الله الخلاصية. وفي الوقت نفسه، يُخبرنا بجلاء عن طبيعة الغفران الإلهي. فبينما كان يسوع يُعلق ويتألم هناك، وبينما كان يدعو أبيه أن "يغفر لهم، فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"، كشف لنا أن استعداد الله للمغفرة والعفو لا حدود له. حتى لو رغبتنا في غضبنا وتمردنا أحياناً في لعن الله والانتقام منه بسبب مأساة حقيقية أو مُتخيلة في حياتنا، فإن الصليب يُعلن لنا بوضوح أن هذا أيضًا يمكن قبوله والغفران له. بل يُمكننا، في الواقع، أن نقف هناك مع أولئك الذين صلبوا يسوع على الصليب، وفي غضبنا أو يأسنا، نشارك في دق المسامير. الله لا يزال يغفر. محبته عظيمة لدرجة أنه لا يوجد شيء يُمكننا فعله لنبعد أنفسنا عن تناول شفائه .

بقبوله طوعًا مصير سجين مُدان، ورجل مُعذب ، وشخص مُهان بالعار النهائي، بالنسبة لليهودي، الصلب، حدد يسوع في الموت كما فعل في الحياة مع المنبوذين والمرفوضين في كل تاريخ البشرية. وُلد بلا مأوى، ولاجئًا في مصر لفترة، ثم، لخدمته القصيرة، حَبْرًا متجولًا بلا مأوى كان يعاشر "العشارين والخطاة"، يقف يسوع إلى الأبد بطلًا وخدامًا للفقراء والمهجورين والمضطهدين والمهمشين. وبكونه محتقرًا ومرفوضًا، فقد أكد على قيمة الأشخاص المحتقرين والمرفوضين في هذا العصر أو أي عصر آخر. بالنسبة للأفراد والكنائس على حد سواء، فإن إهمال المرء مسؤوليته تجاه هؤلاء، "أصغر إخوتي"، هو إهمال لمعلمه أيضًا. كما يكشف المثل العظيم في إنجيل متى، الإصحاح الخامس والعشرون، فإن إطعام الجائع، وكساء العريان، وزيارة الأسير، هو خدمة ليسوع نفسه. لقد أدرك عن كثب تعاطفه مع المحتاجين لدرجة أنه قال إن تقديم معروف لأيِّ منهم هو بمثابة تقديمه له. ومن الجدير بالذكر أن هذا المثل، الذي يُجسد يوم القيامة ، يجعل

قبول الله لا يعتمد على العقيدة الصحيحة أو مراعاة الطقوس الصحيحة، بل على تنفيذ مشيئة الآب بشأن الفقراء: " حينئذٍ يُجيبه الأبرار قائلين: متى رأيناك غريباً فأوينا؟ أو عرياناً فكسوناك؟ أو متى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبني فعلتم " (متى 25 : 37-40) .

بدفعه العمودي نحو السماء وذراعيه الممدودتين أفقياً لإحاطة الأرض، يُعد الصليب رمزاً قوياً أو علامة فعالة (المعنى الحقيقي للسر) للوحدة العميقة والدائمة بين الله وخليقته من جهة، وللوحدة تحت الله أو فيه للبشرية جمعاء من جهة أخرى. وبهذا المعنى، يرمز الصليب أو موت المسيح إلى كفارة (حرفياً إلى الاتحاد) لنا جميعاً مع أساس كل كائن. إنه بمثابة تعهد برحمة الله ومغفرته غير المحدودة وغير المشروطة. إنه "يرفع خطيئة العالم" ليس لأنه يُرضي شعوراً سادياً بالعدالة الإلهية، ولكن لأنه يُصدق ويضع ختماً على الطبيعة الأبدية لمغفرة الله. يمكننا أن نركع عند سفح الصليب لنجد، كما فعل الحاج في رواية بنيان الكلاسيكية العظيمة، أن أي عبء ذنب نحمله قد طُهر أو "دُفع بعيداً". للوهلة الأولى، تبدو فكرة أن الله، إن جاز التعبير، سيتراجع ويسمح لعبده الممسوح أو "ابنه" أن يعاني العار ويدخل في مثل هذه التجربة من الضعف والعجز مُسئنة وغير مفهومة - كما كتب القديس بولس، فقد بدا ذلك "مخزياً لليهود وحماقاً لليونانيين" (1 كورنثوس 1: 23). لكن لمن ينظرون بعين الإيمان، يصبح ذلك علامة على قدرة الله وحكمته. قوته تكتمل دائماً بالضعف. في حياتنا، عندما يُنظر إلى "جلجثة" المعاناة أو الهزيمة على أنها فرصة لله ليعمل خلاصياً، غالباً ما تصبح مكاناً للتجديد أو "القيامة"<sup>5</sup>.

بينما يُجادل بعض العلماء في مقاطع الأناجيل التي تُشير إلى أن يسوع كان يعلم مُسبقاً كيف ومتى سيموت (مرقس 8: 31، متى 16: 21-8، لوقا 9: 22-7)، زاعمين أنها قراءات لاحقة للنص، أعتقد أن هذه في جوهرها موثوقة. لا يُمكن للمرء أن يمتلك الرؤية الروحية والبصيرة التي تحلى بها يسوع دون أن يُدرك أن معارضة كلٍّ من القوى الدنيوية (الرومان) والسلطات الدينية (الصدوقيون والفريسيون، تحالف غريب!) سيؤدي حتماً إلى المواجهة والاستشهاد. شكّلت دعوة يسوع الجذرية "اطلبوا ملكوت الله أولاً" تهديداً لكل من له مصالح شخصية في السيطرة على الآخرين والحفاظ على الوضع الراهن. من الطبيعي أن يجد من يسعون اليوم إلى تحقيق مشيئة الله وإقامة ملكوته أنفسهم على خلاف مماثل مع "أصحاب السلطة". يتجلى هذا النوع من المواقف بوضوح في أماكن مثل أمريكا الوسطى وجنوب أفريقيا والاتحاد السوفيتي. ولكن يمكن أن يحدث هذا في أي مكان تُسمع فيه دعوة المسيح وتُتبع بحق .

باختصار، ليس موت يسوع على الصليب مسألة إله غاضب يطلب ذبيحة كاملة، أو حالة أحد "أقانيم" الله يموت لإرضاء الآخر؛ ولا يُمثل أي نوع من التعامل بين الله والشيطان. الصليب هو محور الإيمان المسيحي الآن وإلى الأبد لأنه نافذة على جوهر الحقيقة. يكشف عن علو وعمق واتساع المحبة الإلهية والعفو الإلهي الذي لا ينتهي. بأذرع الفارغة الآن، يُعلن انتصار القيامة الذي سنشارك فيه جميعاً يوماً ما. ولهذا السبب، يمكننا أن ننضم بجرأة إلى القديس بولس في القول إننا على يقين "أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء، ولا أمور حاضرة أو مستقبلية، ولا قوات - ولا علو ولا عمق ولا أي شيء آخر في الخليقة كلها - تستطيع أن تفصلنا عن محبة الله التي أظهرت لنا في يسوع المسيح ربنا" (رومية 8: 37) .

1. اعتقد بعض الآباء الأوائل، ومنهم أوريغانوس والقديس غريغوريوس النيصي، أن الشيطان قد منح البشرية الساقطة حقوقاً معينة، وكان الصليب هو الهدف الرئيسي لإرضائها. وقد رفض القديس أنسلم

- (حوالي ١٠٣٣-١١٠٩) ، رئيس أساقفة كانتربري، هذا الرأي رفضًا قاطعًا في كتابه "Cur Deus Homo"، مفسرًا موت يسوع على أنه ترضية لجلالة الله القدوس المغتصبة .
٢. من بين المتشابهات العديدة في العالم القديم، كانت أسطورة أوزوريس، أساس العقيدة المصرية في الحياة الأبدية وبعث الجسد المتحول. بعد موت قاس على يد قوى الظلام والشر ، قهر أوزوريس كل شيء وصعد إلى المجد. ووفقًا لكتاب الموتى ، عُرف بأنه "ملك الأبدية" ، و"الابن البكر لرحم نوت ، إله الآلهة، وسيد الأرباب ، وواهب الحياة منذ البداية . تنبثق لنا الحياة من دماره " ( إيه إي واليس بادج، محرر كتاب الموتى : بردية آني [طبعة جديدة ؛ نيويورك: دوفر ، ١٩٦٧] ، الجزء الخامس) . (يعود تاريخ البردية التي اقتناها المتحف البريطاني إلى ما بين ١٥٠٠ و ١٤٠٠ قبل الميلاد) .
3. قارن المزمور 130 : " عندك المغفرة ... لأنه عند الرب الرحمة والفداء الكثير " ( KJV ) .
4. انظر الجنة والجحيم ، 6-7 .
5. للحصول على وجهة نظر طبيب نفسي حديث حول كيفية استخدام رمزية الصليب كعلاج في حياة الإنسان، انظر جيمس ويلكس، هدية الشجاعة (تورنتو: مركز الكتاب الأنجليكاني ، 1979 ) .

## قيامه يسوع

### هذا يسوع الذي أقامه الله ...

إن الإيمان بأن يسوع، الذي صُلب ومات ودُفن، قد رآه الرسل ومجموعات كبيرة من التلاميذ حياً فيما بعد، هو أساس الحياة والإيمان المسيحي. لا يمكن لأي شخص لديه أدنى معرفة بوثائق العهد الجديد أن يغفل عن أن هذا الإيمان هو نبض الكنيسة الأولى، وهكذا استمر عبر العصور. وكما يقول القديس بولس: إن لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات، فنحن أشقى الناس (1 كورنثوس 15: 13-19).

أشعر بوحدة تامة مع هذا التقليد. بدراساتي للعهد الجديد وتاريخ الكنيسة الأولى، دققتُ في إيمان الفصح من كل زاوية ممكنة.<sup>1</sup> أن يسوع قد مُنح النصر على الموت، وأن ثقته الراسخة بأبيه السماوي قد تأكدت، وأن المحبة قد ثبتت أنها أقوى من قيود الفناء، وأنا هنا نتذوق لمحة من مجد مُعد لكل واحد منا - كل هذا أو من به من كل قلبي وعقلي. لا شيء سوى تجربة مشاهدة واقع ما بعد الموت يُمكن أن يُفسر هذا التحول المذهل الذي حدث في حياة أتباعه. عند صلبه، تركه الجميع - باستثناء بعض النساء - وهربوا واختبأوا خلف الأبواب المغلقة خوفاً من أن يكونوا التاليين على قائمة الإعدام. لقد هُزموا وغرقوا في يأس عميق. تحطمت كل آمالهم، وتحولت أحلامهم إلى رماد.

ومع ذلك، بعد أيام قليلة، نجد نفس الأشخاص يبشرون في الشوارع، قائلين إنهم رأوا سيدهم وتحدثوا معه. هددتهم السلطات، وأودعتهم السجن، وفي النهاية أعدمتم بعضهم؛ وكان أول شهيد هو استفانوس. لكن لم يستطع شيء إيقافهم. لقد غمرهم شعور لا ينطفئ بالفرح، والهدف، والقوة الداخلية. الروح التي رأوها تعمل في حياته وخدمته تعمل الآن في حياتهم. لقد كانوا قادرين على مواجهة "بداة الأسد الدموية" في الساحات الرومانية بشجاعة، وكثيرون منهم سقطوا إلى الموت وترانيم التسبيح تملأ أفواههم. ورغم كل الصعاب، نجحوا في غضون سنوات قليلة في قلب العالم رأساً على عقب، حتى هُزمت روما نفسها.

لم يكونوا ضحايا هلوسات جماعية، ولا مرتكبي احتيال تقوى سخي. فالناس العاقلون العاديون لا يتنازلون عن كل ما يملكون ويخاطرون بحياتهم مراراً وتكراراً من أجل شيء يعلمون أنه زائف. لقد قرأتُ عشرات المقالات والكتب التي تدعي كل شيء، بدءاً من مؤامرة دبرها المسيح نفسه لخداع السلطات، وصولاً إلى رواية طائفة مسلمة مفادها أنه أحيى في برودة القبر ثم فر شرقاً حتى الهند. (لا يزال بإمكانك رؤية قبر قديم بالقرب من أمريتسار حيث يُزعم أنه توفي ودُفن في سن متقدمة جداً). لا شيء من هذه الحجج يُقنعني. أنا أكثر إقناعاً بالشهادة الأقدم على الإطلاق، شهادة القديس بولس التي كتبها في رسالته الأولى إلى المسيحيين في كورنثوس (حوالي عام 53م، قبل كتابة إنجيل مرقس بعشر سنوات): "لقد سلمت إليكم التقليد في البداية الذي تلقينته أنا نفسي: أن المسيح مات من أجل خطايانا، حسب الكتب؛ وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث، حسب الكتب؛ وأنه ظهر لكيفا [بطرس] ثم للاثني عشر. ثم ظهر لأكثر من خمسمائة من الإخوة دفعة واحدة - الذين لا يزال معظمهم على قيد الحياة، على الرغم من أن بعضهم قد رقدوا [ماتوا]. ثم ظهر ليعقوب، ثم لجميع الرسل. وأخيراً، كما لو كان مولوداً خارج الوقت، ظهر لي" (1 كورنثوس 15: 3-8). من المهم أن نلاحظ أن بولس يستشهد بشهود أحياء - "أغلبهم لا يزالون على قيد الحياة" - كدليل على ما يقوله. بعبارة

أخرى، يستند هذا التقليد إلى شهادة شهود عيان كانت لا تزال متاحة وقت كتابة هذا الكتاب. إنه يقول إن أولئك الذين لا يؤمنون به يمكنهم الذهاب ومعرفة ذلك بأنفسهم .

لكن السؤال الذي يجب أن ندرسه هو: هل تُثبت القيامة أن يسوع هو الله؟ هل تُظهر أنه كسر قيود الموت ببساطة واندفع من القبر منتصرًا بفضل "ربوبيته" أو "ألوهيته"؟ المسيحية التقليدية ستجيب بـ "نعم" مدوية. الترانيم والصلوات والتقوى الشعبية - بالإضافة إلى بعض من أعظم الألحان الكورالية التي أُلقت على الإطلاق - تُصوّر يسوع وهو يقوم من القبر وينتصر على عدوه القديم، الموت، بمفرده. وكما يقول قانون الإيمان الرسولي: "في اليوم الثالث قام من بين الأموات ..."

أعتقد أن هذا تحريفٌ كاملٌ لما تقوله الأدلة المكتوبة الوحيدة التي لدينا بوضوح. إن الأساطير التي أحاطت بهذا الحدث المحوري بسرعة هي التي شوّهت رؤيتنا وجعلتنا نرى شيئاً، عند التدقيق فيه، غير موجودٍ ببساطة. إذا استمعتَ إلى الوعاظ الأوائل في سفر أعمال الرسل أو إلى مؤلفي الرسائل المختلفة في العهد الجديد، فستجد أنهم يبذلون جهداً كبيراً لإعلان القيامة، ليس كفعلٍ من أفعال يسوع، بل كفعلٍ من أفعال الإله الحي الذي خدمه. إنهم لا يقولون أبداً "إنه قام من بين الأموات"؛ بل يقولون إن الله أقامه، أو ببساطة، إنه أقيم

في المقطع المذكور من شهادة بولس للقيامة، على سبيل المثال، يقول إن يسوع "أقيم"؛ والفعل اليوناني مبني للمجهول بوضوح. أو تأمل في أول عظة في سفر أعمال الرسل، التي ألقاها بطرس يوم الخمسين: "هذا يسوع أقامه الله، ونحن جميعاً شهود على ذلك" (2: 32). وفي الإصحاح الرابع، رواية بطرس ويوحنا أمام السنهدريم، يقول بطرس مرة أخرى: "ليكن معلوماً لكم ولكل بيت إسرائيل أنه باسم يسوع الناصري الذي صلبتموه أنتم وأقامه الله من بين الأموات، بهذا الاسم قُدم هذا أمامكم صحيحاً" (الآية 10). وهذه هي نفس الرسالة "أن الله أقامه من بين الأموات" - التي ألقاها بولس لاحقاً على تل مارس في أثينا وحيثما عُرف الإنجيل المبكر .

ما يُوصف في هذه الشهادة المبكرة هو حدثٌ يكون فيه الله سيداً مطلقاً، مسيطراً تماماً. بصفته الممثل الأسمى في هذه الدراما، فهو الذي يُثبت ثقة يسوع والتزامه حتى الموت. وهو الذي يُقيم نبيه، ووكيله، وخادمه، ومسيحه أو المسيح من القبر. في كل جانب، يبقى يسوع خاضعاً لإرادته. هذا المنظور هو النقيض التام للعقيدة اليهودية التي لطالما كانت جزءاً من المسيحية التقليدية، وهي سائدة اليوم. ومن المفارقات أن أولئك الذين يُعلنون بصوت عالٍ إخلاصهم لكتاب مقدس معصوم هم الأكثر عرضة لأن يكونوا "غير كتابيين" في هذه النقطة. إنهم يبشرون بإلهٍ منتكّرٍ في صورة إنسان، ينظاهر بالموت فقط، يملك قوة الألوهية والخليقة كلها، وقد حلّ قيود الموت بنفسه. على حد تعبير بولس، هذا ليس الإنجيل، بل "إنجيل آخر" تماماً (غلاطية 1: 6)

التعليم الواضح في العهد الجديد هو أن يسوع كان إنساناً عادياً جداً. لقد خاف الموت على الصليب خوفاً شديداً. لقد مات بالفعل ودُفن في عجز البشرية جمعاء. رُفِع إلى بُعد جديد ومستوى جديد من الوجود، بنفس الطريقة التي سُنبت بها جميعاً يوماً ما إلى الحياة الأبدية - بمعجزة من رحمة الله وقدرته المتجددة. وبهذا المعنى، كان رائد مستقبلنا، ما يسميه بولس "باكورة الراقيدين" (1 كورنثوس 15: 20). فليقرأ كل من يشك في أن ما أصفه هو المسيحية البدائية وصف الإيمان بالقيامة في نفس الإصحاح. يوضح بولس بوضوح تام أنه يؤمن بأن قيامتنا أو دخولنا إلى الحياة الجديدة والأعلى بعد الموت ستكون على غرار قيامة يسوع. لن نُبعث بخلود فطري للنفس، بل بفعل من الله .

هذه الفقرة لها أهمية رئيسية أيضاً لفهم طبيعة قيامة يسوع. يشعر الأصوليون من جميع الطوائف بضيق شديد عندما يتحدث المرء عن القيامة على أنها "روحية" وليست جسدية. بالنسبة لهم، فإن القيامة الجسدية أساسية للغاية لدرجة أن إنكارها هو وضع النفس خارج معسكر الإيمان تماماً. ولكن كما يقول بولس نفسه أثناء التأكيد على التشابه الدقيق بين قيامتنا وقيامته يسوع: "لا يمكن للحم والدم أن يرثا الخلود. يجب أن يلبس هذا الجسد الفاسد جسداً لا يفنى" (1 كورنثوس 15: 53) - جسداً مناسباً للحياة حيث توجد "منازل كثيرة" أو بالأحرى أعداد كثيرة. من الواضح من الأناجيل الأربعة أن "جسد" قيامة يسوع يشبه في بعض النواحي جسده التاريخي؛ ولكنه في نواحٍ حاسمة عديدة لم يكن كذلك على الإطلاق. أياً كان ما يعنيه عودته إلى الحياة مرة أخرى، فإنه لم يكن يعني إحياء جثة؛ لم يعد "لحمًا ودمًا" ، مصنوعاً من طين بشري. كان هذا نمطاً جديداً تماماً من الوجود، خلقاً جديداً مُقدَّراً لمستوى آخر من الوجود. كان بإمكانك رؤيته ولا تتعرف عليه - كما فعلت مريم المجدلية، التي ظنته البستاني، أو التلميذان في طريقهما إلى عمواس، اللذان سارا وتحدثتا معه دون أي بادرة تعارف حتى كسر الخبز. هذا "الجسد" الجديد، القادر على المرور عبر الأبواب المغلقة والتواجد في أماكن مختلفة بفكرة واحدة، كان، إن شئت ، بمثابة "مسافر روحي" . لم يكن هذا الجسد هو الذي دُفن في القبر.<sup>2</sup>

### العناصر الأسطورية في قصة القيامة

لقد سبق أن أعربت عن قناعتي بأن قيامة يسوع هي الحقيقة الأوثق في سجل العهد الجديد. إنها جوهر أي محاولة لاختراق سر شخصه ومعناه لعصرنا. ومع ذلك، يجب ألا تحجب هذه الحقيقة عن حقيقة أخرى وهي أن حدث القيامة، منذ البداية تقريباً، لم يشكل فقط تصور كل ما تم تذكره عن وجود يسوع التاريخي، بل سرعان ما أحاطت به طبقات وتفسيرات أسطورية. كان أهمها الافتراض شبه الفوري بأنه قام من بين الأموات بمحض إرادته وقوته الفطرية كإله، جزء من إله ثلاثي. ولكن دعونا ننتقل بإيجاز إلى بعض الزخارف الأخرى .

إن إنجيل متى يتبع أقسام الآلام والقيامة في إنجيل مرقس عن كذب في الخطوط العريضة الرئيسية، لكنه يضيف عدداً من العناصر الجديدة - ما يسميه بير "التطريز الأسطوري" .<sup>3</sup> هذه هي موت يهوذا شنقاً (27: 3-8)؛ حلم زوجة بيلاطس (27: 19)؛ غسل بيلاطس ليديه وقبول الذنب لدم يسوع من قبل "الشعب كله" (27: 24 وما يليها) (يا له من اضطهاد وكرهية رهيبية عانى منها الشعب اليهودي على أيدي المسيحيين بسبب هذه الإضافة إلى القصة!)؛ بعض أقوال يسوع (26: 9-26)؛ وقصة الحارس عند القبر (27: 6-62). في الأخير، على سبيل المثال، يخبرنا متى أن الفريسيين ورؤساء الكهنة جاءوا إلى بيلاطس يطلبون وضع حراس على القبر "لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب: إنه قام من بين الأموات" (نسخة الملك جيمس). ويذكرون كسبب لقولهم إن يسوع قال: " بعد ثلاثة أيام سأقوم". وكما يذكر بير (Beare، فإن هذا سخيف: لا يشير أي من الأناجيل إلى أنه أدلى بمثل هذه التنبؤات علناً، وحيث أن التلاميذ أنفسهم يبدو أنهم نسوا أنه قالها لهم مطلقاً، فمن المستبعد جداً أن يعلم بها هؤلاء "الغرباء". ويقول بير إن سبب إضافة هذه الحادثة هو دحض مزاعم اليهود آنذاك بأن التلاميذ سرقوا الجسد، وأن يسوع لم يُقم من بين الأموات.<sup>4</sup>

من الأمثلة الأكثر وضوحًا على عملية الأساطير رواية متى لما حدث في لحظة موت يسوع: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من أعلى إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشقق، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة [أورشليم]، وظهروا لكثيرين" (27: 50-53). هذه العناصر - الزلزال وقيام اليهود الأتقياء - موجودة فقط في متى. الحجاب، الذي أغلق قدس الأقداس عن بقية الهيكل، لا يمكن أن يراه أي شخص لم يكن في الداخل بالفعل. إن تمزيقه ليس مسألة تاريخية بل رمزية: فهو يمثل في شكل أسطوري الحجة المقدمة في مكان آخر في العهد الجديد - انظر عبرانيين 10: 19 - بأن يسوع بموته فتح للجميع المكان الذي كان يُعتقد أن الله يسكن فيه. (كان يُسمح فقط لرئيس الكهنة بدخول قدس الأقداس، وفي ذلك مرة واحدة فقط في السنة، في يوم الكفارة؛ وكان مكانًا مقدسًا لدرجة أن اليهود المتدينين للغاية يرفضون حتى اليوم السير في أي مكان على جبل الهيكل خوفًا من أن يدوسوا عن طريق الخطأ حيث كان قدس الأقداس قائمًا ذات يوم) .

إن قصة قيامة القديسين من القبور شرقي المدينة، أسفل جبل الزيتون مباشرة، ودخولهم القدس، هي أيضًا نتيجة محاولة لإضفاء طابع أسطوري على الاعتقاد بأن يسوع كان "باكورة الراقدين". لا شك أن حدثًا بهذه الضخامة، لو وقع بالفعل، لكان قد وجد طريقه ليس فقط إلى أناجيل ورسائل أخرى في العهد الجديد، بل أيضًا إلى مصادر تاريخية يهودية أو رومانية أخرى. إلا أن هذا السجل صامت .

وأخيرًا، يجدر بنا التعليق على الآيتين الأخيرتين من إنجيل متى (28: 19-20). ففي هذه الآية وحدها، نجد في الأناجيل إشارة إلى صيغة الثلاث. يقول يسوع لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب، والابن والروح القدس" (نسخة الملك جيمس). يتفق جميع العلماء، باستثناء أكثرهم تحفظًا، على أن الجزء الأخير على الأقل من هذه الوصية قد أُدرج لاحقًا. لا تظهر هذه الصيغة في أي مكان آخر في العهد الجديد، ونعلم من الدليل الوحيد المتاح (بقية العهد الجديد) أن الكنيسة الأولى لم تُعمد الناس باستخدام هذه الكلمات - كانت المعمودية "باسم" أو "على اسم" يسوع وحده. وبالتالي يُقال إن هذه الآية كانت في الأصل "وعمدوهم باسمي" ثم وُسِّعت لتشمل العقيدة. في الواقع، تم طرح هذا الرأي لأول مرة من قبل علماء النقد الألمان وكذلك من قبل الموحدين في القرن التاسع عشر، وقد تم ذكره كموقف مقبول للعلماء التقليديين منذ فترة طويلة في عام 1919، عندما نُشر تعليق بيك لأول مرة: "لم تلتزم كنيسة الأيام الأولى بهذه الوصية العالمية، حتى لو كانوا يعرفونها. إن الوصية بالمعمودية باسم الثلاثة هي توسع عقائدي متأخر".<sup>5</sup>

1. انظر اللجنة والجحيم، 5-93 و3-242 ومقالتني "القيامة: ما رآه التلاميذ"، مراقب الكنيسة المتحدة، 1984

2. بينما تختلف الأناجيل الأربعة اختلافًا كبيرًا في رواياتها عن قيامة يسوع بشأن عدد الملائكة عند القبر، والمكان الدقيق الذي التقى فيه الرب القائم بتلاميذه لأول مرة، وما إلى ذلك، إلا أنها تتفق على أن القبر وُجد فارغًا. وقد تم الحديث كثيرًا عن هذه الحقيقة من قبل المدافعين عن المسيحية الحديثة، وخاصة بين المحافظين، ولكن بالنسبة لمعظم العلماء، يبقى السؤال مفتوحًا. والأمر الأكثر أهمية هو أنه، بقدر ما يمكننا أن نقول، لم يكن للتعليم حول القبر الفارغ أي دور في الوعظ الرسولي المبكر. لم يذكر القديس بولس، الذي تشكل كتاباته ثلث العهد الجديد على الأقل، القبر الفارغ أبدًا؛ ولا يفعل ذلك كتاب أعمال الرسل في تقاريره عن أقدم الخطب الرسولية. بالنسبة لبولس، ما كان يعد دليلًا على القيامة هو ظهور الرب القائم، بينما حتى في الأناجيل لم يكن القبر هو الذي أنتج الإيمان بأن يسوع قد قام، بل ترك أتباعه ببساطة مليئين

- بالخوف والدهشة - أما بالنسبة لبولس، أما بالنسبة لبولس، فدليله اللقاءات الفعلية مع الشخص الذي رأوه يُساق إلى الإعدام. (للمزيد من التفاصيل ، انظر بيبير ، إنجيل متى ، 542).
3. المرجع نفسه ، ص 499 .
4. المرجع نفسه ، ص 539 .
5. بيك ، تعليق على الكتاب المقدس ، 723 .

## الجزور اليونانية واليهودية للرأي الأرثوذكسي

في وقت مبكر من القرن الثامن، اعترف عالم اللاهوت القديس يوحنا الدمشقي بصراحة بما يدركه كل باحث نقدي معاصر للعهد الجديد الآن: وهو أنه لا عقيدة التثليث ولا عقيدة الطبيعتين ليسوع المسيح منصوص عليها صراحةً في الكتاب المقدس.<sup>1</sup> في الواقع، إذا أخذت السجل كما هو وتجنبت قراءة التعريفات العقائدية لعصر لاحق فيه، فلن تتمكن من العثور على ما يُعتبر تقليدياً مسيحية أرثوذكسية في الكتاب المقدس على الإطلاق. لم تكن وجهة نظر يسوع على أنه في نفس الوقت إنسان كامل وإله كامل معروفة ليسوع نفسه، وظهرت إلى الوجود نتيجة لقوى سياسية وفلسفات مرتبطة بالوقت وافتراضات ثقافية وصراعات بين شخصيات محددة . ومع ذلك، فمن الصحيح القول أنه بالفعل داخل صفحات العهد الجديد يمكننا أن نرى على الأقل مسارين من التأمل في حياة وموت وقيامه يسوع مما جعل تطور الأرثوذكسية الكاملة في القرنين الرابع والخامس ممكناً. قبل أن تنتقل إلى التفكير بشكل أكثر اكتمالاً في معنى وأهمية يسوع وتعليمه لنا اليوم، يجب أن ننظر بإيجاز إلى هذه العناصر وجزورها في الفلسفة والأساطير السائدة في عصره .

### الكلمة الإلهية (Logos)

مع بداية العصر المسيحي، انشغلت أفضل العقول في كل من الفلسفة اليهودية واليونانية منذ زمن طويل بالمشكلة اللاهوتية المتمثلة في كيف يُمكن لإله "مختلف" تماماً، ومتعالٍ تماماً، أن يكون في الوقت نفسه مُشاركاً في خلقه أو مُتأسلاً فيه، وبالتالي حاضراً للبشر بطريقة شخصية حميمة. في زمن يسوع، كانت هذه النقاشات لا تزال مستمرة، مع استعارات كثيرة من كلا الجانبين. وكان مفهوم "اللوجوس" - وهو مصطلح يوناني قد يعني ببساطة كلمة أو عبارة منطوقة، ولكن يمكن أن تعني أيضاً السبب، أو المبدأ العقلاني، أو التصميم .

بالنسبة للفيلسوف ما قبل سقراط، هيراقليطس (حوالي 500 قبل الميلاد)، كان اللوغوس هو العقل الكوني أو العقل الذي يسود العالم ويحكمه. لاحقاً، تبنى الفلاسفة الرواقيون هذا المفهوم، وعلموا أن جميع البشر يحملون "بذرة" هذا اللوغوس (spermatikos logos) ، وهي "النفس" أو "الروح" المُنعشة لكل شخص؛ وبما أننا جميعاً نتشارك في هذا المصدر المشترك للنور والحياة، فنحن جميعاً أعضاء في عالم كوزموبوليتاني واحد. ثم تبنى هذا المصطلح المفكرون اليهود واليونانيون في الإسكندرية - المدينة الجامعية التي تطور فيها الكثير من التفكير اللاحق حول يسوع باعتباره إلهاً-إنساناً - وأصبح يُنظر إلى اللوغوس كوسيط بين الله وعالمه. من بين هذه المجموعة من المفكرين، يُعد الفيلسوف اليهودي فيلو (Philo)، المعاصر للقديس بولس، والذي تأثر بشدة بالفكر اليوناني الروماني، وخاصةً الأفلاطونية الجديدة والرواقية.

علم فيلو أن كلمة الله - عقله أو كلمته - كانت وسيطه في الخلق وفي جميع علاقاته بالعالم . لم يكن هذا الكلمة "إلهًا" فحسب ، بل كان أيضًا "إنسانًا"، وقال إن البشر يطمحون إلى أن يكونوا أبناء "إنسان الله"، الذي، لكونه كلمة الأزل، لا بد أن يكون هو نفسه خالدًا". كما أطلق فيلو على الكلمة اسم "بكر الله"، أي "أكبر" الملائكة. وبصفته الإنسان السماوي أو الإنسان المثالي، كان الكلمة صورة الله الصريحة التي تعمل كنائب له، مانحةً إياه الوحي: "يقود الله الراعي رعيته وفقًا للحق والشرعية، ولكنه يُقيم عليها كلمته الحقيقية وابنه البكر<sup>2</sup> ."

أوجه التشابه بين هذا النوع من اللغة والآيات الافتتاحية للإنجيل الرابع لافتة للنظر: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس..." (ترجمة الملك جيمس). تأمل أيضًا في الآيات الافتتاحية للرسالة إلى العبرانيين: "الله، الذي كلم الأنبياء قديمًا بطرق متنوعة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة بابنه "ابنه الذي جعله وارثًا لكل الأشياء، الذي به خلق العالمين، الذي هو بهاء مجده وصورة جوهره..." . لا يمكننا أن نثبت الاقتراض المباشر، ولكن من الواضح أن مؤلفي هذه المقاطع من العهد الجديد شاركوا فيلو في عالم فكري مشترك من اليهودية الهلنستية (المتأثرة باليونانية) .

لكن مفهوم الكلمة اليوناني (Greek Logos) لم يكن التأثير الوحيد على الفكر اليهودي حول علاقة الله بعالمه. فقد ربط فيلو وآخرون الكلمة بالتطورات في التقليد اليهودي نفسه فيما يتعلق بكلمة الله كعامله في الخلق - كما في سفر التكوين ١: ٣: "وقال الله: ليكن نور، فكان نور" - وخاصةً بالأفكار التي ظهرت آنذاك حول حكمة الله كوسيط إلهي متجسد. ففي سفر الأمثال، نجد الحكمة متجسدة (المصطلح اللاهوتي هو "متجسدة")، ويُروى كيف كانت مملوكة لله في البداية، وظهرت قبل الخلق، ثم عملت كمساعدة له في وضع أسس الأرض (انظر، على سبيل المثال، ٢: ٦ و ٣: ١٩). تُظهر فرانسيس يونغ كيف تطور هذا المفهوم في الكتب اللاحقة غير القانونية لسفر يشوع بن سيراخ وحكمة سليمان<sup>3</sup>. تصبح الحكمة المولود الأول لكل الخليقة، و"نوعًا من الكلمة الرواقية، الروح الكامنة لله،" التي تنتشر وتخرق كل الأشياء. "وتوصف بأنها "إشراق صافية من النور الأبدي، ومرآة نقية لعمل الله وصورة لصلاحه". بعبارة أخرى، ما بدأ كصفة من صفات الله - حكمته - أصبح شبه مستقل، "يعمل كوكيل لله". تصور كُتاب آخرون التوراة على أنها نفس حكمة الله؛ حيث يندمج الاثنان في إسقاط شخصية إلهية سابقة الوجود. هناك تشابه شبه دقيق بين هذا الفكر اللوغوسي الحكيم في رسالة كولوسي، وهي مصدر رئيسي آخر لعقيدة تجسد الله في وقت لاحق:

"الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، كُلُّ مَا فِي الْكُونِ قَدْ خُلِقَ بِهِ وَلَأَجْلِهِ. هُوَ كَائِنٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهِ يَدُومُ كُلُّ شَيْءٍ." (1: 15-17) . لقد أصبح يسوع التاريخ هنا شبه إله كوني، ونحن في عالم التكهنات اللاهوتية والأساطير .

## المخلص الكوني

بالإضافة إلى خط فكر الكلمة والحكمة، يجب أن نأخذ في الاعتبار اتجاهًا آخر من المعتقدات الدينية التي كانت جزءًا مهمًا من ثقافة زمن يسوع: أسطورة الإله الذي ينزل إلى الأرض، ويجلب السلام والرخاء والفاء، ثم يصعد بطريقة معجزية. لقد رأينا بالفعل أنه في العصر اليوناني الروماني، كان يُقال غالبًا أن الشعراء والفلاسفة والملوك العظماء ينحدرون من أبوين إلهيين، وأحيانًا وُلدوا من عذارى. في حالة

رومولوس، المؤسس الأسطوري لروما ، يلاحظ يونج أن المؤرخ ليفي لم يسجل فقط الحمل الإلهي والولادة من عذراء، بل اختفاء رفاته بعد الموت، وعودته من بين الأموات لتكليف أتباعه، وتقديم الصلوات له. تُعلق قائلةً إنه على الرغم من استحالة إثبات التأثير المباشر، "يبدو أن الناس الذين عاشوا في نفس الفترة تقريبًا قد أنتجوا روايات أسطورية ذات دوافع متوازية".<sup>4</sup> ويتجلى هذا التوجه بوضوح في الديانات الغامضة في العالم القديم، حيث كان يُرسل إلى المتحولين فيها الاتحاد بإله يموت ويقوم، ويحتفلون بهذا الاتحاد بطقوس متنوعة، بما في ذلك وجبة روحية. لطالما أدرك علماء اللاهوت أوجه التشابه الوثيقة بين طوائف أوزوريس وإيزيس وسيرايبس وديونيسوس، وغيرهم، مع المسيحية المبكرة. يستشهد تشارلز تالبرت بعدد من الأمثلة على أساطير النزول والصعود التي ينزل فيها آلهة مثل أبولو وجوبيتر وعطارد إلى الأرض في هيئة بشرية.<sup>5</sup> ويتضح أن المسيحيين الأوائل كانوا على دراية بهذه القصص في سفر أعمال الرسل، عندما شفى بولس رجلاً مقعدًا في لسترة: "ولما رأى الناس ما فعل بولس، رفعوا أصواتهم قائلين ... إن الآلهة نزلوا إلينا في شبه البشر. ودعوا برنابا جوبيتر؛ وبولس مرقوريوس، لأنه كان المتحدث الأول" (14: 8-18؛ ترجمة الملك جيمس) .

ولكن إذا كان هذا التفكير سائدًا بلا شك خلال المراحل الأولى من تكوين المعتقد المسيحي، فقد ظل الكثيرون متشككين في أن مؤسسي الإيمان اليهود، بتوحيدهم الصارم، قد تأثروا مباشرةً بهذه النماذج الوثنية. وكما يشير يونج، يجب أن نتذكر أن بولس، وهو عالم يهودي متعمق، كان أول من وضع أساسًا عقائديًا للإيمان بأن فاعلاً خارقاً لله دخل العالم في يسوع، وصنع الفداء، ثم عاد إلى مجده السابق.<sup>6</sup> ومن غير المرجح للغاية أن يكون بولس قد نسخ التقاليد التي كان سيحتقرها كيهودي. والسؤال هو ما إذا كانت هناك أفكار مماثلة تعمل في اللاهوت اليهودي في ذلك الوقت. هل وجدت أسطورة النزول والصعود نظيرتها في اليهودية من تاريخ سابق؟ يقدم تالبرت (Talbert) حالة مقنعة للغاية على أنها وجدت نظيرتها، حيث يثبت ليس فقط أن نمط النزول والصعود كان يُستخدم لشخصيات الفداء في اليهودية القديمة، ولكن أيضًا أن هذه الأسطورة اليهودية كانت بمثابة نموذج للطريقة التي تحدث بها بعض المسيحيين الأوائل وعلموا عن يسوع. وفيما يلي مخطط موجز للغاية لحجته .

لقد سبق أن تطرقنا إلى تقليد الحكمة في الفكر اليهودي. ففي بداية العصر المسيحي، كثر الحديث في هذه الأدبيات عن نزول الحكمة من السماء إلى البشرية "بقصد الخلاص". فعلى سبيل المثال، يتحدث سفر حكمة سليمان عن حكمة سابقة الوجود أرسلت من السماء كمنقذة لهذا العالم وما بعده؛ بل إن المؤلف يتحدث عن "خلاصه بالحكمة". وبالمثل، تتحدث هذه الأعمال أيضًا عن صعود الحكمة لتتخذ "مكانها بين الملائكة". وبالتالي، يمكن القول إن الحكمة المُتجسدة في الكتابات اليهودية المتأخرة "هي شخصية سماوية مجهولة الهوية" تُشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في الفكر اليوناني الروماني والمسيحي. وفي الوقت نفسه، استخدم اللاهوت اليهودي حول الملائكة أيضًا نمط النزول والصعود لشخصيات الفداء. في إشعياء 63، كان "ملاك حضور الله" هو من "خلص" بني إسرائيل، و"بمحبته ورحمته فداهم". ويمكن العثور على عشرات الأمثلة المشابهة في جميع أنحاء العهد القديم. كما يستشهد تالبرت بالعديد من الأمثلة في كتابات خارج الكتاب المقدس حيث ينزل رؤساء الملائكة في هيئة بشرية. بعض اللغة المستخدمة لهؤلاء المخلصين الملائكة هناك في الواقع ما يوازيها في الإنجيل الرابع: في عهد إبراهيم، على سبيل المثال، ينزل رئيس الملائكة ويخبر البطريك "بكل ما سمعه من العلي"، بينما في عمل آخر، ينزل رئيس الملائكة، "بكر كل خليفة"، إلى الأرض ويقوم "مظال - خيام" بين البشر. في جميع هذه الكتابات، نجد اتخاذ شكل جسدي، والنضال الناجح

ضد الشر، والصعود النهائي للكائن السماوي. علاوة على ذلك، في بعض الحالات، تندمج تقاليد الملائكة والحكمة مع بعضها البعض ومع مفهومي الكلمة والابن البكر. في أحد المصادر، يستشهد تالبرت بأن العملية قد أخذت أبعادًا أعمق، حيث اندمجت جميع هذه العناصر مع عمل الروح القدس ونشاطه: "ينتج عن التكوين الناتج مخلص إلهي يُعرف بأسماء مختلفة مثل الحكمة - الكلمة - الملاك - الروح القدس" <sup>7</sup>. يظهر هذا "المتعدد الأسماء" نفسه عند فيلو، حيث يُشار إليه أحيانًا باسم "الكاهن الأعظم - الإنسان" وعلى صورة الله.

وهكذا يكتب تالبرت أن "أسطورة المخلص السماوي الذي نزل وصعد في سياق عمله الخلاصي كانت موجودة في اليهودية ما قبل المسيحية، إلى جانب المسيحية في القرنين الأول والثاني" <sup>8</sup>. ثم يمضي ليوضح كيف استخدم المؤلفون المسيحيون هذه المفاهيم في الكتابات غير الكتابية وفي العهد الجديد نفسه. ولا شك أن كتابات القديس بولس تتضمن تشابهات ضمنية مع نمط الوجود المسبق، والنزول (النشاط الخلاصي)، والصعود (النشاط الخلاصي)، والباروسيا (parousia)، أو المجيء الثاني. لا يحتوي أي نص على كل هذه العناصر، ولكن موضوعات الوجود السابق والنزول والصعود المجيد موجودة في فيلبي ٢: ٦-١٠، وموضوعات النزول والارتفاع في رومية ١: ٣-٤، بينما في غلاطية ٤: ١٤ هناك إشارة واضحة إلى المسيح كملاك: "بل كملاك من الله قبلتموني كالمسيح يسوع". في تعليمه عن المسيح كسابق الوجود، "صورة الله غير المنظور، بكر كل خليفة [الذي به] خلقت كل الأشياء" (كولوسي ١: ١٥)، من الواضح أن بولس لا يصف يسوع التاريخي الذي يمكننا تمييز صورته، مهما كانت غامضة، في الأناجيل، ولكن بشخصية مصبوبة في قالب تكهنات أدب الحكمة - أي، مع بناء أسطوري. كاتب رسالة العبرانيين، بأهدافه وجمهوره الخاص، يصمم وجهة نظره لرسالة يسوع على نفس النموذج. الأسماء المستخدمة ليسوع، كما يشير تالبرت، مستمدة مباشرة من اليهودية الهلنستية: ابن الله، الكاهن الأعظم، "شخصية أو وسم (stamp) طبيعة الله (وهو مصطلح استخدمه فيلو للكلمة)، وهكذا. تتحدث رسالة العبرانيين ١: ٣ عن الابن "حامل الكون" بكلمة قوته". - مفهوم وعبرة مستخدمة أيضًا في مناقشة فيلو للوغوس.

أخيرًا، يمكن العثور على العديد من العناصر الفلسفية والأسطورية الموجودة في كتابات القديس بولس ورسالة العبرانيين أيضًا في الإنجيل الرابع. يُذكر الوجود المسبق ليس فقط في المقدمة المتعلقة بالكلمة أو الكلمة، ولكن في عدة مواضع أخرى أيضًا (على سبيل المثال، 1: 30، 3: 31، و6: 51). وعلى عكس الأناجيل الثلاثة السابقة، يتحدث يسوع في هذا الإنجيل عن نفسه بأنه ينزل إلى الأرض: "خرجت من عند الله" (8: 42)، "نزلت من السماء" (6: 38)، "أنا من فوق" (8: 23). ويُتحدث عن صعوده بطرق متنوعة: كان ذاهبًا إلى الله، ومُرتفعًا، ومُجَّدًا، وما إلى ذلك. لا يمكن تفسير هذه النظرة إلى يسوع إلا من حيث أسطورة الحكمة اليهودية التي نوقشت أعلاه. وهكذا يصل تالبرت إلى استنتاجه: "إن الأسطورة المسيحية المبكرة عن المخلص الصاعد الهابط قد أخذت من الأسطورة الهلنستية اليهودية" <sup>9</sup>.

ختامًا، من المهم التأكيد على أن هذه النظرة الموجزة على جذور الأساطير التي نشأت حول يسوع لا تتعارض بأي حال من الأحوال مع إيماني بالقيامة الفعلية. فحقيقة أن الله أقامه "في اليوم الثالث" تبقى، في رأيي، الأساس الذي يجب أن يركز عليه أي إعادة بناء ذات معنى للرسالة المسيحية. فاستكشاف الأساطير شيء، والتخلي، في هذه العملية، عن الحقيقة الجوهرية التي أدت إلى ظهورها شيء آخر.

1. انظر كوبيت في أسطورة الله المتجسد، 133.

2. الأمثلة التي استشهد بها يونج، المرجع نفسه، ص 114، 115. في هذا الفصل، أنا مدين بشكل خاص ليونج وشارلز تالبرت ، " أسطورة المخلص الهابط الصاعد في العصور القديمة المتوسطة " ، دراسات العهد الجديد 22، 418 وما بعدها .
3. الشباب في أسطورة الله المتجسد ، 116 .
4. المرجع نفسه، ص 102. لمزيد من المقارنات الوثنية ، انظر السير جيمس فريزر، الغصن الذهبي ، طبعة مختصرة ( لندن: ماكميلان، 1950)، وخاصة الفصل السابع، "الآلهة البشرية المتجسدة".
5. تالبرت ، "أسطورة المخلص الصاعد الهابط" ، 429.
6. يونج في أسطورة الله المتجسد ، 103 .
7. تالبرت ، "أسطورة المخلص الهابط - الصاعد " ، ص 429.
8. المرجع نفسه، ص 430.
9. المرجع نفسه، ص 440 .



## يسوع من الآن فصاعدا

### إصلاح جديد

كان الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر بمثابة عملية تطهير كبرى للإيمان المسيحي. لقد تحولوا أكثر فأكثر إلى الكتاب المقدس كأساس للإيمان والعمل، واكتشفوا أن الجهاز بأكمله للكهنة التضحيوي الذي يفف بين الناس وبين الله كان "شيئاً محبباً تم اختراعه عبثاً"،<sup>1</sup> ولا يبرره العهد الجديد نفسه. لقد رفضوا الوثنية المرتبطة بالتحول الجوهري والقداس؛ وحكموا على بيع صكوك الغفران بالنسيان؛ وأنكروا ادعاءات أي رجل بأنه ملك مطلق على كنيسة المسيح الكاثوليكية المقدسة. ولكن في الوقت نفسه، مهد آباء الإصلاح الطريق لانتهاكات أخرى، والتي بطريقتها الخاصة أصبحت ضارة ومضلة مثل الأخطاء التي كانت تهدف إلى تصحيحها.

المشكلة الحقيقية في الإصلاح البروتستانتي أنه لم يكن جذرياً بما يكفي، ولم يكن جذرياً في تطهيره للدين طبقاً لما كان عليه يسوع نفسه - أو ما كان يهدف إليه. بمعنى ما، لم يكن المصلحون بروتستانت بما يكفي. سأشرح ذلك. جوهر الروح أو الروح البروتستانتية هو أنه لا يوجد شيء، لا طقوس ولا كاهن، يحول بين الفرد وإلهه. لا يُطلب من أحد "عمل" لمغفرة الله وهبة الحياة الأبدية - كل شيء من نعمة الله وصلاحه وكرمه وعطاياه غير المشروطة. ولكن ماذا نجد؟ بوضع يسوع، كما هو مُتصور في أكثر المصطلحات اللاهوتية صرامةً بين الله والمؤمن، بين المؤمن والله، مهد المصلحون الطريق لعبادة يسوع في معظم الكنائس الإنجيلية الحديثة - مع كل ما ينطوي عليه ذلك دائماً تقريباً من تعصب وتفوق مفترض على المسيحيين الآخرين وأعضاء الديانات الأخرى. بجانب يسوع، ومرة أخرى، حجبوا إمكانية الوصول المباشر إلى الله والتواصل معه، فوضعوا الكتاب المقدس. لقد تم استبدال عصمة البابا بعصمة الكتاب - أي بابا من الورق يحظى بالاحترام إلى درجة لا يمكن وصفها إلا بأنها محبة للكتب.<sup>2</sup> لقد حاولت أن أُبين أن أياً من هذه المفاهيم العقائدية لا يصمد أمام اختبار التدقيق الدقيق، مع العمل على الأدلة الكتابية نفسها. ما نحتاجه بشدة اليوم هو إصلاح جديد قائم على حقيقة هذه المعرفة. نحتاج أن نرى يسوع من جديد، مُحرراً من كل قيود الماضي العقائدية، مُحرراً من الأساطير والخرافات التي نفعت أجيالاً سابقة، لكنها لم تعد تُناسبنا مع اقترابنا من عام 2000. أعتقد أنه إذا استطعنا رؤية يسوع عن كثب كما كان، فسيُساعدنا بدوره على التحرر .

### من هو يسوع المسيح بالنسبة لنا اليوم؟

أحد أهم اهتمامات اللاهوتي الشهيد الألماني ديتريش بونهوفر هو شكل المسيحية في "عالم ما بعد المسيحية" بعد الحرب العالمية الثانية. كان بونهوفر، الذي أعدمه النازيون عام 1945، يُركز اهتمامه على القول إن السؤال الأهم الذي سيواجه الكنيسة في هذا العصر الجديد هو: **من هو يسوع المسيح بالنسبة لنا اليوم؟** لكل كلمة في هذا السؤال دلالة بالغة. لم يكن بونهوفر مهتماً بالتكهنات الميتافيزيقية المجردة حول ألوهية يسوع بقدر ما كان مهتماً بالجانب العملي لما يفعله أو يعنيه "بالنسبة لنا". من أكثر الأمور إثارة للاهتمام في لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية وبعض المناطق النامية الأخرى في العالم اليوم أنه، مهما كانت

الانتقادات التي يثيرها البابا وغيره، فإنها تُصارع هذه المسألة تحديداً. يبدأ لاهوتيو التحرير بالوضع التاريخي والاجتماعي والاقتصادي الفعلي لحياة عامة الناس في بلدانهم، ويتساءلون عن معنى إنجيل يسوع في هذا السياق. إنَّ جانب "بالنسبة لنا" في سؤال بونهوفر يتصدر المشهد دائماً. ويضاف إلى هذا التأكيد الاقتناع بأنَّ أيَّ لاهوتٍ ليسوع يُفهم في الحاضر يجب أن يبدأ من حيث تبدأ قصة الإنجيل نفسها - بإنسانية يسوع، وتماتله التام معنا جميعاً، وخاصةً الفقراء والمضطهدين. إنني مقتنع بأنَّ أية محاولة للتحدث بشكل هادف في أمريكا الشمالية أو في أي مكان آخر عن "يسوع من الآن فصاعداً" يجب أن تتبع نفس المبادئ الأساسية.

إذا كان صحيحاً أن يسوع لم يزعم قط أنه الله، وأن فكرة كونه الشخص الثاني في الثالوث الأقدس لم تُطرح قط في العهد الجديد، وأن القديس بولس نفسه، الذي رأى المسيح موجوداً مسبقاً وفاعلاً في الخلق، لم يدع ذلك قط، وكان حريصاً دائماً على إظهار المسيح خاضعاً لله (انظر 1 كورنثوس 15: 28 : " وعندما تُخضع له كل الأشياء، فحينئذٍ يخضع الابن نفسه أيضاً للذي أخضع له كل الأشياء، ليكون الله الكل في الكل") - إذا كان كل هذا صحيحاً، فإن سؤالاً خطيراً يطرح نفسه، هل كان يسوع إذن مجرد واعظ ومعلم موهوب بشكل غير عادي؟ هل كان مجرد رجل مثالي أخلاقياً آخر، مجرد واحد في سلسلة من الأنبياء الذين لقوا مصيرهم على أيدي أولئك غير المستعدين لقبول رسالتهم؟ بعبارة أخرى، هل انزلقنا الآن إلى ما يسميه اللاهوتيون "الاختزالية"، وهي بدعة اختزال يسوع إلى "مجرد إنسان"؟ بأي حال من الأحوال .

إذا كان اتباع نهج عقلائي للعهد الجديد يعني أنه يتعين علينا تفسير الإضافات والمبالغات العقائدية التي صيغت في القرنين الرابع والخامس - أو رؤيتها في ضوء جديد ورمزي - فإن ذلك يطرح أيضاً سؤالاً آخر. ما الذي كان في يسوع الناصري الذي أثار إعجاب أتباعه الأوائل لدرجة أنهم استخدموا جميع الألقاب السامية التي يمكنهم التفكير فيها لوصفه؟ ما الذي قادهم إلى الاعتقاد العميق بأن الله كان يعمل بشكل فريد فيه لتحقيق "الخلاص" للبشرية جمعاء، وأن رؤيته بوضوح هي رؤية الله؟ إن الفشل في الإجابة على هذا السؤال بشكل كافٍ يتركنا في صعوبة هائلة: الحركة بأكملها المعروفة باسم المسيحية، والتي بالتأكيد واحدة من أكثر القوى تأثيراً في تاريخ البشرية (إن لم تكن الأكثر تأثيراً)، تصبح غير قابلة للتفسير، وهو تأثير يفترق تماماً إلى سبب كافٍ لتفسيره .

## ادعاءات يسوع بالسلطة

حتى في أقدم طبقات التراث، تُشير الأناجيل بوضوح إلى أن يسوع فاجأ معاصريه، أولاً وقبل كل شيء، بسلطة تعاليمه ووعظه الغريبة. ففي الفصل الأول من إنجيل مرقس، يُذكر أن مراقبيه "كانوا جميعاً مندهشين حتى تساءلوا فيما بينهم قائلين: ما هذا؟ ما هذا التعليم الجديد؟ لأنه بسُلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه" (الآية ٢٧). في الإصحاح السادس، عندما كان يسوع يعظ في المجمع، نقرأ أن "كثيرون لما سمعوه بهتوا قائلين: من أين لهذا هذه؟ وما هذه الحكمة التي أعطيت له...؟" (الآية ٢). وقيل عن يسوع أنه كان يعلم بسُلطان "وليس كالكتبة". "كان جميع سامعيه على دراية بالطريقة التي حاول بها الكتبة تفسير الشريعة الموسوية بمصطلحات معاصرة. ما كان مختلفاً بشكل لافت للنظر مع يسوع هو الطريقة التي اعتاد أن يتحدث بها: "قال لكم موسى ... وأقول لكم ...". كانت عبارة "ولكن أقول" هي التي أذهلت الجميع. وهكذا نجد في مرقس 11 رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ في أورشليم يتحدثونه بشكل مباشر: "بأي سلطة تفعل هذه

الأشياء؟ ومن أعطاك هذه السلطة لتفعل هذه الأشياء؟" (الآية 28). ومن الجدير بالملاحظة أن يسوع يرفض الإجابة على سؤالهم وبدلاً من ذلك يوقعهم في فخ سؤال خاص به حول سلطة يوحنا المعمدان. إن هذا الصمت ضمناً هو اليقين بأن مصدر سلطته سيتعرف عليه أولئك الذين لديهم عيون ليروا وأذان ليسمعوا. إن ندائه ليس إلى مصدر خارجي للسلطة ولكن إلى "صوت الضمير الداخلي"، صوت الله الهادي الخافت.

بجراً - بالنظر إلى تبجيل كلمات موسى في عصره - كانت مذهلة حرفياً، لم ينسخ يسوع أو يحاول إلغاء التعاليم المركزية لتراثه اليهودي بقدر ما حاول جعلهم متطرفين: لقد تجاوز حرفية القانون إلى الحقيقة الروحية الأعمق وراءه. وبالتالي فإن القتل ليس مجرد مسألة قتل شخص جسدياً؛ إنه في المقام الأول عمل من أعمال الكراهية في القلب. الطقوس الخارجية والتطهير ومراسم التطهير لا معنى لها بدون نقاء القلب والضمير الداخلي الذي من المفترض أن ترمز إليه. رأى يسوع أن معنى السبب قد تم تحريفه في القلق على حمايته من خلال القواعد واللوائح المفرطة. ومثل أنبياء العهد القديم، فقد ندد بمحاولة كسب رضا الله ومغفرته من خلال مراعاة زخارف الدين. كان اهتمامه منصباً على ما يدور في قلوب الناس وعلى تجسيد هذه الروحانية الأصيلة في "ثمار" أعمال ملموسة لصالح المحتاجين والمهمشين في المجتمع. وقد استمد سلطانه على المؤسسة الدينية في عصره - وبالتالي جميع المؤسسات اللاحقة التي تدعى اسمه - من وضوح رؤيته الأخلاقية، وبقيته بأن أباه السماوي أراد "رحمة لا ذبيحة" (هوشع 6: 6) من الساعين إلى ملكوته. سبق أن ذكرنا أن يسوع كان نبياً مثل عاموس أو إشعيا. أطلق على نفسه لقب نبي، وأطلق عليه معاصروه اللقب نفسه. ومع ذلك، كان الأنبياء يتحدثون دائماً باسم الله أو يهوه. يسوع هو نوع جديد من الأنبياء يتحدث باسمه. وكما كتب إدوارد شيلبيكس: "لقد حوّل التوراة إلى تيار متطرف، وفعل ذلك بسلطته الخاصة. وهذا أمر لم أجده في أي مكان في العهد القديم".<sup>3</sup> ويشير عالم اللاهوت الشهير إلى أنه على الرغم من أن يسوع كان ينتمي إلى التراث النبوي الكلاسيكي، إلا أنه رأى نفسه "أكثر من مجرد نبي". هذا جزء من وعيه بذاته. إنه النبي "الأخروي"، النبي الأسمى الذي يبشر بالفقراء".<sup>4</sup> وكان هذا التفرد، هذا التجاوز لكل ما ادعاه أنبياء آخرون حتى الآن، هو ما ساعد في إقناع أتباعه بأن الله فيه كان يقول شيئاً ويفعل شيئاً أكثر حسماً من أي وقت مضى. وقد أكدت تجربتهم في القيامة هذا الإيمان، أو بالأحرى، جعلته كله يتوهج بمعنى متسامي.

## يسوع ومملكة الله

لقد نشأت في بيت إنجيلي تقليدي جداً، وسأظل ممتناً دائماً لكل ما علمني إياه. ومع ذلك، كان جزءاً من هذا التقليد هو الرأي الأرثوذكسي القائل بأن الرسالة المركزية للمسيحية هي يسوع نفسه. وقد صدمت لاحقاً، وأنا أدرس الكتاب المقدس بنفسني، عندما اكتشفت أن هذا ليس ما تقوله الأناجيل إطلاقاً. لم يأت يسوع معلناً عن نفسه؛ بل جاء معلناً بشاره ملكوت الله. بالنسبة لشيلبيك (Schillebeeckx)، ما يُعبرُ عنه الملكوت هو حقيقة أن "شأن الله هو شأن يخصص الإنسان. الله يتماهى مع شأن الإنسان. يهتم بالبشر المضطهدين والمستعبدين".<sup>5</sup> وعلى عكس كل المظاهر التي تشير إلى العكس، يؤكد يسوع بجراً أن الله يتحكم ليس فقط في عالم الطبيعة ولكن في مصير الإنسان. ملكوته قريب، في وسطنا، ويمكن الدخول إليه الآن. إنه حاضر أو واضح أينما يتم تأسيس علاقات صحيحة، وحيثما يتم إظهار العدالة والرحمة. إنه ليس شيئاً تكتسب عضويته لأنك تنتمي إلى مجموعة اجتماعية أو عرقية أو جنسية أو أي مجموعة أخرى. إنه هبة مجانية لكل

من يتمتع بالبساطة وإخلاص الروح لتلقيها. إنه شركة كل أولئك الذين يسامحون لأنهم أدركوا أولاً مدى حرية غفرانهم. لا يعتمد هذا الغفران على الكهنة أو التسلسلات الهرمية الأخرى التي تعمل كوسطاء. لقد أعلن يسوع أنه مجاني ومتاح لأي شخص يطلبه أو يسأل عنه. إنه لا يعتمد على ذبيحة الدم. إنه موجود بالفعل لأن من طبيعة الله أن يكون غفوراً لكل من يدعو. إنه الرب الذي "يغفر جميع ذنوبك؛ والذي يشفي جميع أمراضك" (مزمور 103: 3). كان يسوع قادراً على القول بسلطان أن ملكوت الله "قد اقترب" في حضوره لأنه كان مدرجاً أن الله قد اختاره لإعلان هذه الرسالة وأن روح الله القدوس كان يتحرك فيه، مؤكداً هذه الرسالة بقوة. كانت معجزات الشفاء علامات على هذا الواقع .

كانت مفاجأتي الثانية عند قراءتي للعهد الجديد بنفسه أنه، خلافاً لما تُعلمه معظم الكنائس، لم يكن اهتمام يسوع الرئيسي بالخطيئة، بل بالعدو الحقيقي للبشرية: الخوف. كانت رؤيته لله كملك تعني أنه يستطيع التحرر من كل قلق وخوف. دعا يسوع الناس إلى الإيمان؛ ليس الإيمان بالمعتقدات أو العقائد أو التقاليد أو المنظمات، بل الإيمان - أي الثقة الجذرية - بالله. إن رسالة أن الله هو المسيطر النهائي وأنه يطلب تعاوننا في تحقيق ملكوته" كما في السماء كذلك على الأرض" هي بشرى سارة. وهي بشرى سارة بشكل خاص عندما تقترن برسالة أننا نستطيع أن نتخلى عن مخاوفنا ونقبل هذا الملكوت أو ندخله بثقة طفولية .

لكن يبقى هناك أمرٌ آخر مفقود. أيُّ إلهٍ هذا الذي يُسيطر على الأمور؟ ما الذي يضمن لنا أنه ليس وحشاً سادياً عازماً على تعذيبنا لمصلحتنا المزعومة - أو بلا سببٍ على الإطلاق؟ هنا يصبح يسوع ورسالته محوريين تماماً. مهما بلغت أهمية منهجنا في التعامل مع أدلة العهد الجديد، فإننا نُواجه وجهاً لوجه بيقين مؤلفيه بأننا في يسوع المسيح لدينا، إن جاز التعبير، نافذةً على قلب الله الحي. من خلال أمثاله وأقواله، ثم من خلال "المثل المُمثل" عن حياته وصلبه، علم يسوع أن خالق الكون وحافظه يقول "نعم" للبشرية، "نعم" للحب غير المشروط، والغفران، والقبول. بينما شددت الكهنوتية وغيرها من أشكال الدين على الواجبات والطقوس الخارجية اللازمة لأي مصالحة مع الله، أساس وجودنا، و"البعد العميق" لكل ما هو إنساني حق، أظهر يسوع - على سبيل المثال، في مثلي الابن الضال والدرهم المفقود - أن الله نفسه يُقدّم هذا الكمال أو الخلاص مجاناً. ملكوته حاضر فينا، بيننا. يمكننا أن نتوقف عن سعيينا المحموم ونسترخي ونحن نقبل حقيقة أننا قد قُبلنا، وواثقين في هذه التجربة، يمكننا أن نخرج، مُمكنين بروحه، لقبول الآخرين.

في حديثه إلينا من خلال يسوع، استخدم الله أقوى وسيلة تواصل معروفة لنا كبشر: شخصية بشرية أخرى. كان التلاميذ الأوائل، بكل عيوبهم ونقاط ضعفهم، مقتنعين بأنهم في كلمات يسوع وحياته قد واجهوا "كلام الحياة الأبدية"، وأن الله يخاطبهم من خلاله مباشرةً. ومنذ ذلك الحين، عبدوا باسمه وصلوا لا إليه، بل باسمه. أي أنهم عرفوا منذ ذلك الحين أنهم في علاقة مع إله "شبيهه بيسوع". عبدوا وصلوا في ضوء وحي يسوع عن الأب، وبما يتوافق معه. ومن آمن باسمه اليوم سيفعل الشيء نفسه .

## هل كان يسوع فريداً؟

إن الكثير من الحديث المسيحي عن تفرد يسوع يقترب من الهراء لأنه يبدو أنه يفترض تفرداً مطلقاً. وكما يشير ستوارت ر. ساذرلاند ، فإن تفرد الاختلاف المطلق يفترض وجود كائن لا يمكننا أن نقول عنه شيئاً على الإطلاق<sup>6</sup>. إذا كان شخص ما أو شيء مختلفاً تماماً، فلا توجد نقطة اتصال ولا مصطلحات ذات معنى يمكن تطبيقها عليه أو عليها أو عليه. إذا كان يسوع فريداً، فيجب أن يكون تفرداً نسبياً فيما يتعلق ببعض

السمات أو الجوانب من حياته وتعليمه. وبالتالي، إذا كان يسوع، كما أوضحت، إنساناً كاملاً وليس نوعاً من الله المتنكر، ففي ماذا يكمن تفردّه واختلافه عن المعلمين الآخرين وعنا؟ لقد وصفت بالفعل سلطته وبقينه المذهل، في مواجهة كل المظاهر، في النصر النهائي للحب والعدالة - الإيمان الذي برر الله بإقامته من بين الأموات. لقد كان مختلفاً عنا ليس بسبب اختلاف ميثاقه أو وجودي، أو اختلاف في الجوهر أو الوجود - ولكن في الدرجة التي كان فيها مطيعاً للإله الذي عرفه كأب، والمدى الذي فتح فيه نفسه لحضور وتوجيه نفس الله ( النفس ) أو الروح في داخله .

تُعطينا صفحات العهد الجديد نفسه عدداً من الدلائل الواضحة على أن هذه هي الطريقة التي فهم بها بعض الرسل على الأقل وخلفائهم طبيعة وديناميكية سيدهم. لوقا، الذي لديه أكبر اهتمام بتجربة قرب الله من البشر وسكنه فيهم بروحه القدس، يفهم بوضوح بنوة يسوع بهذه الطريقة الروحية. إن المقطع الحاسم في لاهوت لوقا - والذي أصبح محورياً للغاية بالنسبة للاهوت التحرير اليوم - موجود في لوقا 4: 1 وما يليه: " ورجع يسوع ممتلئاً من الروح القدس من الأردن، واقتاده الروح إلى البرية ... " أن هذه هي الطريقة التي فهم بها يسوع نفسه وخدمته بأكملها يتضح عندما يقرأ من النبي إشعياء - "روح الرب عليّ ... " - وأعلن نفسه أنه الممسوح الذي جاء ليعلن إرادة الله لتحرير كل من يعاني من الظلم والشر. اعتقد أنه لو اتبع علماء اللاهوت في القرنين الرابع والخامس هذا الخط من التفكير اليهودي المملوء بالروح بدلاً من تقسيم الشعر الفلسفي واللاهوتي على غرار الأكاديميات اليونانية - التي تتجادل حول ما إذا كان يسوع هو موسيوس (من نفس الطبيعة) أو هو موسيوس (من طبيعة مماثلة) مع الأب، وهو فرق حرف واحد! - كانت الكنيسة لتتجو من الضرر الرهيب الذي نتج عن جعل يسوع إلهاً .

يسوع واتباعه من الآن فصاعداً هو أن تفردّه لم يكن في طبيعتين، إحداهما إلهية والأخرى بشرية، بل في امتلاكه الطبيعة البشرية نفسها التي نملكها جميعاً، لكنها امتلأت تماماً بروح الله وطاعة مشيئته. إنه فرق يُقاس نوعياً، وليس اختلافاً غامضاً في النوع. فنحن جميعاً، كما يوضح الكتاب المقدس مراراً وتكراراً، أبناء الله أو أولاده بالكامل. حتى إنجيل يوحنا، بنظرته السامية ليسوع، يقول إن كل من يؤمن به (يقبل رسالته) يُمنح "القدرة على أن يصير من أبناء الله". كان يسوع ابن الله تماماً بقدر انفتاحه على مصدر وجوده ووجودنا وطاعته. لقد دعا، ولا يزال، جميعنا لنكون كذلك. لم يكن أكثر "إلهية" منا، بل كان أكثر إنسانية، بالمعنى الذي يُعلمه الكتاب المقدس في جميع أجزائه أن الله خلقنا لهذه العلاقة الوثيقة معه. تتجلى الطبيعة البشرية في أبهى صورها عندما تكون على تماسٍ مع الروحانية، أي في العقل والطاقة الكونية التي نسميها الله، وامتجذرة فيهما. وكما جاء في رسالة العبرانيين، كان يسوع رائدنا في استكشاف هذه الأرض والتعريف بها (6: 20) .

## ملخص

نفهم يسوع بشكل أفضل في عصرنا ومستقبلنا إذا اعتبرناه وكيل الله للرجاء والخلص، الشخص الذي يجب إطاعته كسيد - أو حتى، إن شئت، كمعلم روحي - بدلاً من عبادته عبادة أصنام كإله<sup>7</sup>. لطالما كان من الأسهل على المسيحيين عبادة يسوع كـ "ملك الملوك ورب الأرباب" بدلاً من تنفيذ مشيئة الأب كما أمر. ورغم أنه هو نفسه حذر من الذين يجوبون الشوارع قائلين "يا رب، يا رب" وفي الوقت نفسه يُديمون التعصب والنخبوية الدينية، بل وحتى الحرب، إلا أن الأرثوذكسية التقليدية قد بررت في وقت من الأوقات

كل نوع ممكن من الجرائم ضد الإنسانية. تاريخ الكنيسة التبشيري حافل بأعمال تعصب مروعة ضد من لا يؤمنون بيسوع، بل بمبشر آخر بالطريق إلى أرض الوجود، بينما، كما رأينا، حتى مارتن لوثر كان قادرًا على شن هجمات لاذعة على الشعب اليهودي. في الواقع، من المشكوك فيه جدًا أن محرقة اليهود في عهد هتلر كانت لتحدث لولا قرون من العداء تجاههم، استنادًا إلى التهمة التجديفية بأنهم "قتلة المسيح" - قتل الله المتجسد.

ما لم تبدأ الكنيسة المسيحية في أخذ يسوع على محمل الجد باعتباره سيدها ومرشدها، فإنها ستظل جزءًا من مشاكل العالم وتوتراته الخطيرة وميله إلى الحرب. ولهذا السبب فإن التعصب المتزايد في الولايات المتحدة من جانب الأصوليين تجاه أصحاب الآراء الأخلاقية والدينية المختلفة - والهجمات على التعددية والإنسانية الليبرالية - أمر محزن للغاية. لا يمكنك أن تدعي اتباع يسوع ومع ذلك توافق على العنف، النووي أو غيره. لا يمكنك أن تتبعه وتصر على أن رؤيتك لله هي الوحيدة، وأن جماعتك قد احتكرت سوق الحقيقة الإلهية. لا يمكنك أن تعلنه سيدك وتتجاهل كل ما قاله عن المغفرة اللامحدودة، وعن حب جارك، وعن حب أعدائك. لا يُمكنك أن تسمح للوطنية والرغبة في السلطة بأن تتغلب على الوصية الملحة "اطلبوا ملكوت الله أولاً". لا يُمكنك أن تتناول وجبة ذكراه، أي تناول المقدس، دون أن تكون جزءًا من السعي لإنهاء كل ظلم وفقر وبؤس لجميع الشعوب في كل مكان. لطالما حاولت الكنائس إضفاء طابع روحاني على قول يسوع: "لقد أتيت لتكون لهم الحياة، وليكون لهم أفضل" (يوحنا ١٠: ١٠). من الواضح أن ما كان يتحدث عنه لم يكن حلمًا بعيد المنال، بل حياة مليئة بالصدق في الحاضر.

لا يوجد أي دليل في العهد الجديد على أن يسوع كان ينوي يومًا تأسيس مؤسسة كتلك التي أصبحت عليها الكنيسة المسيحية شديدة التنظيم والانقسام. كان يهدف إلى إصلاح اليهودية في عصره من خلال إعادة تركيز حياتها ورؤيتها جذريًا على الله الحي. وظل يهوديًا تقياً طوال حياته، دائم العبادة إما في المجمع أو في هيكل القدس. استمر المسيحيون الأوائل في العبادة بنفس الطريقة - حتى أن القديس بولس كان يذهب دائمًا إلى المجمع أولاً في رحلاته التبشيرية الكبرى - حتى طردوا واضطهدوا لإعلانهم شخصًا مات بشكل فاضح على الصليب. لم يقل يسوع شيئًا عن الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة أو الشيوخ أو أي موظف آخر في الكنيسة في الوقت الحاضر. لم يقل شيئًا عن البابا؛ في الواقع، كان واضحًا ضد فكرة تسمية أي رجل "أبًا" - وهو ما يعنيه "البابا". لم يقل شيئًا أيضًا عن المباني الكنسية الفخمة أو الكاتدرائيات أو طقوس العبادة المعقدة. كان المسيحيون الأوائل يعبدون في منازل الناس أو في الهواء الطلق عندما أصبحت المجمع مغلقة أمامهم. لأنه كان يعلم أن نفس روح الله التي وجهت خدمته سوف تكون حاضرة معهم، ولأنه كان مدرجًا تمامًا للتضامن الأساسي بين جميع البشر مع بعضهم البعض، فقد كان قادرًا على الوعد بأنه أينما اجتمع اثنان أو ثلاثة معًا باسمه - أي في ضوء الوحي الإلهي الذي أعلنه - فسوف يكون أيضًا "في وسطهم".

هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الإخلاص ليسوع من الآن فصاعدًا سيعني التخلي عن الدين المؤسسي وتدمير مبانيه وتجاهل طقوسه. إنه يعني بالأحرى إصلاح وتجديد كل جانب من جوانب هذه العبادة بحيث تجسد حقًا التعليم الذي قدمه. بدلاً من التركيز على الرسول، يجب أن تشع الحياة والعبادة بالرسالة. هناك حاجة ملحة للنظر إلى حيث كان يسوع يشير، لسماح ما كان ينادي به، للوصول إلى لقاء حقيقي مع الله الذي كان شاهدًا عليه. وبمجرد أن يبدأ ذلك في الحدوث، فإن المثل الأعلى المتمثل في التواصل لاحتضان ليس

فقط المسيحيين الآخرين، بل وأيضاً أتباع جميع الديانات العالمية الكبرى الأخرى - أو من لا دين لهم - سوف يتجاوز الخطاب المسكوني والازدواجية التي لدينا الآن ليصبح حقيقة واقعة.

الأساطير، تلك الحقائق العظيمة التي لا يمكن إصالتها إلا من خلال القصص، تعمل على مستويات مختلفة، إذ تساعدنا على وضع أنفسنا في علاقة مع الله، والذات، والآخرين، والكون ككل. إن فهم أساطير اللاهوت المسيحي الأرثوذكسي حرفياً لا يعني فقط ارتكاب خطأ جوهري في طبيعة الأسطورة وهدفها، بل تجاهلاً لأمر يسوع بأن تحبوا الله من كل قلوبكم، لأنه من الواضح أنه لا يمكن اعتبارها تاريخية. لكن هذا لا يعني أن نتخلى عنها كلياً. على مستوى عميق جداً، تُعبّر أسطورة الله في صورة بشرية، أسطورة المسيح الإيماني لا يسوع التاريخ، عن حقيقة تُعدّ من أقدم الأفكار الدينية وأكثرها شمولية التي عرفتها البشرية. وهي البصيرة أو الاعتقاد بأن كل واحد منا يأتي من الله ويعيش ويتحرك وله وجوده فيه؛ وأن لكل منا قدرًا من روحه، ألوهية باطنية، كجزء أساسي منا، وأنا سُنُبت يومًا ما بعد الموت إلى مصير أبدي معه. على مستوى اللاوعي حيث تجد جميع الأساطير أصلها، رأى الإنجيليون والمسيحيون الأوائل في يسوع النموذج أو "الرائد" لدعوتنا المشتركة ومستقبلنا النهائي. هناك العديد من الأدلة على هذا الواقع في الأناجيل وكتابات العهد الجديد الأخرى، ولكن للعثور عليها يتعين علينا أن نتخلى عن الهوس بالحقيقة الحرفية ونبدأ في البحث عن المعنى وراء الرمزية والصور.

على سبيل المثال، انظر إلى مقدمة إنجيل يوحنا، حيث قيل إن يسوع هو الكلمة، كلمة الله، الذي به خلق كل شيء: "النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان أتياً إلى العالم [كوسموس]". اللغة اليونانية غامضة في أنها يمكن أن تعني "الذي ينير كل إنسان عند مجيئه [النور] إلى العالم"، أو "الذي ينير كل إنسان عند مجيئه/مجيئها [الإنسان] إلى العالم". لكن التوجه العام هو نفسه إلى حد كبير. ما يُذكر بشكل سام هو أننا جميعاً - أنت وأنا وكل شخص آخر سار على وجه الأرض - لدينا في داخلنا شرارة أو "بذرة" (بإستخدام المفهوم الرواقي) من النور الإلهي الذي ليس سوى الله. كما يقول بولس، مقتبساً من الشعراء الوثنيين، "فيه نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال الرسل 17: 28). عندما يقول يسوع أن ملكوت الله "في داخلكم"، فإنه يتحدث عن الشيء نفسه. بمعنى ما، فإن دعوة يسوع من أجل الله هي: أن تصبح ما أنت عليه؛ أن تُترك الإمكانيات التي وهبها الله لك؛ أن تتحلى بالقوة لتكون ابناً أو ابنةً لله كما أنت بالفعل. عندما يدعوننا للقاء الله في رسالته وخدمته، فهي ليست دعوة لعبادة سبب أولي بعيد في السماوات، بل لاكتشاف هبة الله من ذاته من جديد في داخلنا. تكمن إنسانيتنا الحقيقية، على نحو متناقض، في ألوهيتنا.

لذا، من الخطأ الاستنتاج من هذا الكتاب أنني، ومن يفكرون مثلي، لم نعد نؤمن بالألوهية يسوع المسيح. أو من إيماناً راسخاً بالألوهية، بمعنى أن الله كان يعمل بقوة فيه ومن خلاله. لكنني أو من أيضاً بالألوهية الكامنة في كل إنسان وفي جوهره. كان يسوع، إذا استخدمنا مصطلحات التصوف الشرقي، "أكثر إدراكاً" كشخص مني ومنك. لقد قطع شوطاً أبعد في طريق السماح لوجود الله في داخله بالسيطرة على حياته وتوجيهها - "لقد تعلم الطاعة من خلال المعاناة"، على حد تعبير العبرانيين (5: 8). كان منفتحاً على الله ومنفتحاً على رفاقه، وخاصة الضعفاء والجياح والمنبوذين، بدرجة تفوق بكثير ما حققه أي شخص قبله أو بعده. إن سُنت، فقد حقق بالفعل تلك "القفرة النوعية" الروحية التي ندرك الآن أن البشرية جمعاء يجب أن تبدأ في تحقيقها إذا أردنا لعالمنا المحطم والمهدد بالبقاء. لم يكن مجرد ما أطلق عليه علماء اللاهوت في الستينيات "الرجل من أجل الآخرين" - بل كان ولا يزال "الرجل من أجل المستقبل" (أو بالأحرى الإنسان من أجل المستقبل) أيضاً.

ليس لديّ أي اعتراض على ترديد العقائد القديمة أو الحفاظ على جزء كبير من اللغة الرمزية للأرثوذكسية. المهم هو ببساطة أن نتذكر أنها - كما هو الحال مع أي لغة نتحدث عن الله - رمزية. كتب شيلبيكس أنه يجب الاحتفاظ بعقيدة نيقية القديمة "كعلامة اعتراف مشتركة" لجميع المسيحيين.<sup>8</sup> وأنا أتفق معه. كما أشاركه رأيه بأنه، في ضوء فهمنا الجديد ليسوع والأنجيل، علينا واجب السعي لصياغة عقائد جديدة لشرح إيماننا ببسوع من الآن فصاعدًا - عقائد تخاطب الرجال والنساء المعاصرين قدر الإمكان وتتجنب العوائق الفكرية غير الضرورية "للغرباء" عن حسن النية. "أعتقد أنه من الصواب تمامًا صياغة عقائد حديثة - إذا كان لدينا نحن المسيحيين أي احترام حقيقي لأنفسنا، فنحن ملزمون بذلك على المدى الطويل." <sup>9</sup> مع وضع هذه الكلمات في الاعتبار، أود أن أختتم ببيان شخصي حول كيفية قراءة مثل هذه العقيدة الحديثة.

عقيدة جديدة لكنيسة تقترب من عام ربنا 2000 نؤمن بالله ونضع ثقتنا غير المشروطة فيه، خالق كل الأشياء وحافظها، من أبعد المجرات إلى أبعداها.

أشكالٌ مجهريةٌ من الحياة؛ "هو" فوقنا وحولنا وفي داخل كلِّ منا، ومع ذلك يفوقنا مجداً لدرجة أن عقولنا لا تستطيع إدراك سرّه، ولا يكون ردّنا إلا الانحناء عبادةً ودهشةً. ونؤمن أن الله أرسل يسوع، ومسحه بقوة "روحه"، ليعلن قولاً وفعلاً إنجيل التحرر الشخصي والاجتماعي من سلطان الخوف وكل ظلمٍ وقمع. ومع أنه قد مات بقسوةٍ وظلمٍ على الصليب، إلا أن الله أقامه من القبر ووضع "ختمه" إلى الأبد على رسالته وخدمته. فيه نعلم أن الله محبة، وأن المغفرة والقبول لنا اليوم وكل يوم. فيه نحن مدعوون إلى تحقيق ملكوت الله في حياتنا وفي حياة الآخرين، وخاصةً الفقراء والمحتاجين. فيه نحن مدعوون إلى الانضمام إلى أبينا السماوي في تجديد كل شيء. نؤمن أن الله يمنحنا الروح القدس نفسه الذي كان في يسوع، ليخلق لنا مجتمعاً ويمكننا من أن نكون أبناءه وبناته. نؤمن بحياة وبُعد وجودي قادم على الجانب الآخر من الموت. نسعى لبناء ملكوت الله هنا، ولكننا نتطلع أيضاً إلى ما بعد ذلك، إلى ذلك اليوم الذي ستزول فيه الحروب وتُكشف فيه أورشليم الله الجديدة. نحن نؤمن. وهذا هو إيماننا. الله يعين عدم إيماننا. من أجل المسيح، آمين.

أسبوع الآلام ، 1985

## خاتمة

أدرك تماماً أنه عند التشكيك في التعاليم الأرثوذكسية - عقائد الثالوث وألوهية يسوع، والأصول الإلهية للطبقات الكهنوتية، وضرورة التسلسل الهرمي الهرمي، ونظرية الكفارة، وعصمة وثائق العهد الجديد، وادعاء المسيحية المطلق بأنها الطريق الحق الوحيد إلى الله - قد أدان بالهرطقة. لا يسعني إلا أن أشير إلى أنه من المستحيل "إثبات" من الكتاب المقدس أن يسوع المسيح كان ملتزماً بأي من هذه العقائد؛ ولم يؤمن بها التلاميذ الأوائل جميعاً. وبصراحة، إذا اعتُبرت هذه المبادئ العقائدية المعيار الوحيد، فكما ذكرتُ في البداية، لم يكن يسوع مسيحياً. من الواضح من مصادرنا أننا بقدر ما يمكننا أن نتحدث عن دينه، فقد ظل يسوع يهودياً ممارساً طوال أيامه؛ كان "ابن العهد" المتدين. والدين الذي نشأ حول يسوع، والذي تطور لاحقاً، هو ما أصبح المسيحية الأرثوذكسية. وأنا على قناعة بأن هذا التطور انتهى بتشويه خطير لشخصيته وما جاء ليفعله

يتفق العلماء على أن المسيحيين الأوائل لم يعترفوا إلا بعقيدة واحدة بسيطة: يسوع هو الرب (أو يسوع المسيح هو الرب). لم يكن هذا يعني أن "يسوع هو الله" - بل "يسوع هو سيد حياتي؛ أنا مدين بطاعتي

لتعليمه عن الله، ومثاله، وطريقه". هذا بالضبط ما يعنيه لي أن أكون مسيحيًا. لذا، أتمسك بانتمائي إلى الجماعة المسيحية، مهما قال البعض. وكما علم يسوع، يجب ألا ندين الآخرين حتى لا نُدان. هذا النوع من التلمذة لا يحكم على أحد بالهرطقة، ولا على أحد بالخروج عن خطة الله للكمال أو "الخلاص" للبشرية. إنه منفتح تمامًا على رؤية حقيقة الله في جميع أديان العالم العظيمة وعلى "نوره" في حياة كل إنسان. إنه يركز بثبات على قول يسوع أن الانتماء إلى الملكوت ليس مسألة استخدام الكلمات أو الطقوس "الصحيحة" بتقوى، بل هو السعي بتواضع إلى تحقيق مشيئة الله .

إن ما يعانیه العالم اليوم من عذابات وانقسامات هي، إلى حدّ كبير، نتيجةٌ فاضحة، وإن كانت غير مقصودة، لتعصب وغرور المواقف المسيحية الأرثوذكسية التي وضعها البشر. هذا الكتاب نداءً لنتخلى عن هذه المواقف، ولننصت إليه، ولننقله من جديد في "جدة الحياة" التي تُصنع دائمًا بالمحبة من أجل المسيح.

قال يسوع: " ١٢ هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ. ١٣ لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. ١٤ أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ. " (يوحنا ١٥: ١٢-١٤).

- 
1. كتاب الصلاة المشتركة ، 707 .
  2. الجنة والجحيم ، 18 وما بعدها.
  3. إدوارد شيلبيكس، الله جديد في كل لحظة (نيويورك : سيوري ، 1983)، 26.
  4. المرجع نفسه، ص 22.
  5. المرجع نفسه .
  6. ستيوارت ر. ساذرلاند، الله ، ويسوع ، والإيمان (أكسفورد : باسيل بلاكويل ، 1984 ) ، 163 وما يليها .
  7. إنني أتفق تمامًا مع وجهة نظر دون كوبيت بأن الفهم الجديد ليسوع سيكون له نفس التأثير التحريري على الكنيسة ككل الذي كان للعلم الحديث على الكتاب المقدس: "كما أن الكتاب المقدس "المُزال منه المطلق " له قيمة دينية أعظم بلا حدود من وحي الأصولية المسطحة، فإن يسوع " المُزال منه المطلق " يمكن التعرف عليه باعتباره يكشف لنا الله بطرق أكثر تعقيداً بكثير من المسيح في خلقيدونية" (أسطورة الله المتجسد، 141).
  8. شيلبيكس، الله جديد في كل لحظة، 43 .
  9. المرجع نفسه .



## قراءات مختارة

- باريت، سي كيه. يسوع وتقاليد الإنجيل . فيلادلفيا : فورتريس ، ١٩٦٨ .
- بير، ف. و. إنجيل متى . نيويورك : هاربر ورو ، 1981 .
- بوف ، ليوناردو. الكنيسة: الكاريزما والقوة. نيويورك: مفترق الطرق ، ١٩٨٥
- يسوع المسيح المحرر: دراسة نقدية لكريستولوجيا عصرنا. مارينول، نيويورك: أوربيس1978.
- كاربنتر ، همفري . يسوع . أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد ، ١٩٨٠ .
- كولمان، أوسكار . كريستولوجيا العهد الجديد . المحرر القس. فيلادلفيا: وستمنستر الصحافة ، 1980.
- يوحنا . لندن: مطبعة إس سي إم ، ١٩٧٦ .
- فيورينزا، إليزابيث شوسلر. الخبز لا الحجر: تحدي النسوية الكتابية التفسير. بوسطن: بيكون برس، ١٩٨٤ .
- جينيبيرت، تشارلز . يسوع . ترجمة: س.ه. هوك . نيو هايد بارك، نيويورك: جامعة كتب ، 1956.
- هيك، جون، محرر . أسطورة الله المتجسد . فيلادلفيا: مطبعة وستمنستر ، ١٩٧٨ .
- هاوز، فريد. هذا هو النبي يسوع . مارينا ديل راي ، كاليفورنيا : ديفورز ، ١٩٨٢ .
- كومل ، فيرنر ج . العهد الجديد : تاريخ التحقيق في مشاكله . ترجمة إس إم جيلمور وإتش سي كي. لندن: مطبعة إس سي إم ، ١٩٧٨ .
- كونغ، هانز. معصوم؟ تحقيق . نيويورك : دولداي، ١٩٧١ .
- في أن تكون مسيحياً . لندن : كولنز ، ١٩٧٧ .
- لينداز ، برنابا. يسوع ابن الإنسان. غراند رابيدز، ميشيغان: إيردمانز ، ١٩٨٤ .
- ماكينغت ، إدغار ف. ما هو نقد الشكل ؟ فيلادلفيا : فورتريس ، ١٩٦٩
- مورفي، كولين. "من يقول الناس إنني أنا ؟ " تفسير يسوع في العالم الحديث. الأطلسي (1986 258) .
- أوجدن، س.م. المسيح بلا أسطورة. نيويورك : هاربر ورو ، 1961 .
- بيرين، نورمان. ملكوت الله في تعاليم يسوع . لندن: مطبعة إس سي إم ، ١٩٦٣ .
- روبنسون ، ج.م. البحث الجديد عن يسوع التاريخي . لندن: مطبعة إس سي إم ، ١٩٥٩ .
- روبنسون ، جون أ. صادق مع الله . فيلادلفيا : مطبعة وستمنستر ، رويثر، روزماري رادفورد. الإيمان وقتل الأخوة : الجذور اللاهوتية لمعاداة السامية. نيويورك: هاربر ورو ، 1974 .
- الجنسانية والحديث عن الله : نحو لاهوت نسوي . بوسطن: بيكون برس ، ١٩٨٣ .
- شيلبيكس ، إدوارد . الله جديد في كل لحظة . نيويورك: سيبوري .
- يسوع - تجربة في علم المسيح . نيويورك : سيبوري، ١٩٧٩ .
- شفايتزر ، ألبرت . البحث عن يسوع التاريخي . نيويورك : ماكميلان ، ١٩٦٨ .
- شيهان، توماس. المجيء الأول : كيف أصبحت مملكة الله مسيحية . نيويورك: راندوم هاوس، 1986 .
- ستاكهاوس، ريجينالد. الإله الذي لا يعرفه أحد . تورنتو : مركز الكتاب الأنجليكاني، ١٩٨٦ .
- ستيوارت ، ديزموند. الأجنبي : بحث عن يسوع في القرن الأول . لندن: هاميش هاملتون ، 1981.
- ساذرلاند، ستيوارت ر. الله ، يسوع، والإيمان. أكسفورد: باسل بلاكويل، ١٩٨٤ .
- ويكنهاوزر ، ألفريد. مقدمة العهد الجديد . لندن: هيردر وهيردر ، ١٩٦٣ .

## SELECTED READINGS

- Barrett, C. K.** *Jesus and the Gospel Tradition*. Philadelphia: Fortress, 1968.
- Beare, F. W.** *The Gospel According to Matthew*. New York: Harper and Row, 1981.
- Boff, Leonardo.** *Church: Charism and Power*. New York: Crossroads, 1985
- . *Jesus Christ Liberator: A Critical Christology for Our Time*. Maryknoll, N.Y.: Orbis, 1978.
- Carpenter, Humphrey.** *Jesus*. Oxford: Oxford University Press, 1980.
- Cullman, Oscar.** *The Christology of the New Testament*. Rev. ed. Philadelphia: Westminster Press, 1980.
- . *The Johannine Circle*. London: SCM Press, 1976.
- Fiorenza, Elisabeth Schüssler.** *Bread Not Stone: The Challenge of Feminist Biblical Interpretation*. Boston: Beacon Press, 1984.
- Guignebert, Charles.** *Jesus*. Translated by S. H. Hooke. New Hyde Park, N.Y.: University Books, 1956.
- Hick, John,** ed. *The Myth of God Incarnate*. Philadelphia: Westminster Press, 1978.
- Howes, Fred.** *This Is the Prophet Jesus*. Marina del Rey, Cal.: Devorss, 1982.
- Kümmel, Werner G.** *The New Testament: The History of the Investigation of Its Problems*. Translated by S. M. Gilmour and H. C. Kee. London: SCM Press, 1978.
- Küng, Hans.** *Infallible? An Inquiry*. New York: Doubleday, 1971.
- . *On Being a Christian*. London: Collins, 1977.
- Lindars, Barnabas.** *Jesus Son of Man*. Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1984.
- McKight, Edgar V.** *What Is Form Criticism?* Philadelphia: Fortress, 1969
- Murphy, Cullen.** “Who Do Men Say That I Am?” Interpreting Jesus in the Modern World.” *Atlantic* 258 (December 1986).
- Ogden, S. M.** *Christ without Myth*. New York: Harper and Row, 1961.
- Perrin, Norman.** *The Kingdom of God in the Teaching of Jesus*. London: SCM Press, 1963.
- Robinson, J. M.** *The New Quest of the Historical Jesus*. London: SCM Press, 1959.
- Robinson, John A.** *Honest to God*. Philadelphia: Westminster Press,

**Ruether, Rosemary Radford.** *Faith and Fratricide: The Theological Roots of Anti-Semitism.*

**New York:** Harper and Row, 1974.

———. *Sexism and God Talk: Toward a Feminist Theology.* Boston: Beacon Press, 1983.

**Schillebeeckx, Edward.** *God Is New Each Moment.* New York: Seabury,

———. *Jesus—An Experiment in Christology.* New York: Seabury, 1979.

**Schweitzer, Albert.** *The Quest of the Historical Jesus.* New York:

Macmillan, 1968.

**Sheehan, Thomas.** *The First Coming: How the Kingdom of God Became Christianity.* New

**York:** Random House, 1986.

**Stackhouse, Reginald.** *The God Nobody Knows.* Toronto: Anglican Book Centre, 1986.

**Stewart, Desmond.** *The Foreigner: A Search for the First Century Jesus.*

London: Hamish Hamilton, 1981.

**Sutherland, Stewart R.** *God, Jesus, and Belief.* Oxford: Basil Blackwell, 1984.

**Wikenhauser, Alfred.** *New Testament Introduction.* London: Herder and Herder, 1963